

الدكتور  
شرف عبد العزiz عبد الرحمن

# الدرس الـ١٨ من النصي عبد الرحمن

في

## كتاب العجائب القرآنية الكبير

مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

مكتبة الأدب  
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

٢٠١٣

# الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم  
كلية دار العلوم — جامعة المنيا



42 Opera square - Cairo - Egypt

الناشر  
مكتبة الكتاب  
٤٠ ميلان الأوليara - القاهرة - ٢٢٩٠٨٦٨  
البريد الإلكتروني: [adabbook@hotmail.com](mailto:adabbook@hotmail.com)

رقم  
ج. د. ب. : ١٥٨٠٠



النيل

مكتبة الأداب  
حقوق الطبع محفوظة

بطاقة فهرسة

فهرسة أئماء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشئون الفنية

عبدالكريم ، أشرف عبدالبديع . الدرس النحوى النصى فى  
كتب إعجاز القرآن الكريم / أشرف عبدالبديع عبدالكريم . -  
القاهرة: مكتبة الأداب ، ٢٠٠٨ .

١٧٢ ص ٤ .... سم  
٩٧٧ ٩٦٣ ٢٤١ تتمك ٧

- ١- القرآن - إعجاز
- ٢- القرآن - الفلسط
- أ. العنوان

٢٢٩,٧

عنوان الكتاب: الدرس النحوى النصى من كتب إعجاز القرآن الكريم  
تأليف: د. أشرف عبدالبديع عبدالكريم  
رقم الإيداع: ٧٥٣٧ لسنة ٢٠٠٨  
الرقم الدولي: I.S.B.N. 977 - 963 - 241 - 7

مكتبة الأداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

- (٢٠٢) ٢٣٩٠٠٨٦٨

e-mail: adabook@hotmail.com

## تقديم

ما لا شك فيه أن الدرس النصي عملية معقدة؛ لأنها تتطلب أدوات مختلفة ومتعددة، ليس من السهل توفيرها إلا لدى الباحثين الذين يعمدون ببرورية وصبر على جمع تلك الأدوات من مظان عسيرة، تطلب جهداً كبيراً؛ لأن أغليها ما تزال مكتوبة باللغات الأوروبية وبخاصة الألمانية، وبرغم الجهد الذي يبذله عدد قليل من الباحثين لنقل هذه الأفكار والتصورات والمفاهيم والأدوات النصية إلى اللغة العربية، فما يزال أمامهم الكثير لإنجازه هنا من جهة ... ومن جهة أخرى ما تزال البحوث التطبيقية التي تناولت الإفادة من علم النص بوجه عام وعلم لغة النص بوجه خاص قليلة مشتلة تأرجح بين السطحية والعمق . وقد سجل في عدد من الجامعات بعض موضوعات في البحث النصي سواء للماجستير أم الدكتوراه .

وقد فرغ بعض الباحثين من رسائلهم ورفقوا إلى نشرها، ويلاحظ عليها بوجه عام عدم المواءمة بين التصورات الأصلية والتصورات التي تشكلت لديهم من خلال قراءةهم، ومن ثم جاءت في دراساتهم مطالبات وأشكال مختلفة من سوء الفهم، ولكن يهون الأمر أن هناك بعض الباحثين الذين يقومون وبصوبون ومحاولون أن يصلوا بالبحث في هذا المجال إلى درجة عالية من الإتقان، وفي رأيي أنه من أكثر الدراسات توفيقاً في هذا المجال تلك الدراسة التي قدمها د. سعد مصلوح على نص شاعر قديم (نحو أجرامية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية)، فهي توضح يختني، وكذلك دراسة الخطابي في لسانيات النص، وبعنه حماولاتي المتواضعة في تطبيق بعض مفاهيم البحث وبخاصة الإحالات والتكرير والقصد والتماسك أو الربط التحويي والتماسك أو الترابط الدلالي ( أو كما يحلو لبعض الباحثين استخدام مصطلحات القدماء ما يطلق عليهما السبك والحبك ) .

وقد ظهرت عدة كتبيات صغيرة تحمل "نحو النص" ، وهي مفيدة وإن دارت جميعها في فلك واحد مكرر، وغلب عليها النقل دون الإبداع والإضافة، ذلك لأنها لم تحاول البناء على ما سبق تقديمها بإضافة جديد إليه، بل أرادت أن تكون أعلى منه وأعلم ، فتناولته بالقدر المخفي في القليل وغير المخفي؛ لعدم تفهم الأصول التي اعتمدت عليها في الدرس اللغوي النصي

الأوري في الكثیر، ولیس عندي أدنی شك في أن هذا المجال يحتاج إلى معرفة وثيقة بالتراث الأوري فيه، وما تضییله الدراسات الحديثة التي لا تکف عن تقديم ما لا يستطيع الباحثون أفراداً أن یستوعبوه .

على أیة حال أسعدي أن یتاح لي الاطلاع على بحث أحد الشباب، وهو الدكتور أشرف عبد البديع الذي یتعلق كثيراً من أدوات البحث النصي، ذلك البحث الذي تناول فيه قضية صحة، وهي وجوه الإعجاز القرآني ، قضية تناولها القدماء والخلفون على حد سواء، وأفرز هذا الاهتمام عدداً من الدراسات البحوريّة التي تشغّل مساحة لا يأس ۱۶ في مكتبةنا العربية . ولكنّه أراد أن یخوض التجربة بمنظور مختلف — ولكنه واضح — وهو محاولة فراءة هؤلاء الباحثين في ضوء مقولات علماء النص، وتحدد ذلك في رؤية مبدية، وهي أن نصوص المؤلفات التي تناولت قضية الإعجاز القرآني تحتاج إلى قراءات جديدة وواعية بقدرة الوصول إلى تصورات وأفكار واضحة ومحددة حول رؤيتهم لتحليل النص القرآني وكيفية تخثير تلك المكونات التي مزجت بين عناصر لغوية وعناصر نقدية وأدبية، ومزية كل وجه من تلك الأوجه .

حاول الباحث التفاط بعض جوانب من أحد فروع البحث النصي، وهو "نحو النص" من كتب إعجاز القرآن الكريم ، وذلك من خلال فصول بمحظ الأربعة، فكان الأول حول اتجاهات البحث النصي في التراث، والثاني حول معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني، والثالث حول المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بـ "نحو النص" ، والأخير ملاحظات حول بعض المعايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني . وقد وفق الباحث في مزج النرس اللغوي والبلاغي في التراث العربي بالدرس اللغوي النصي المعاصر، دون أن يلتجأ إلى ليّ أعناق النصوص واستخراج ما لم تقله ، فكانت المقابلة بين التصورات المختلفة قديها وحديثها وسيلة معقولة للوصول إلى استنتاجات سليمة حول مفاهيم في جوهر الدرس النصي، مثل الالتفاف والتلازم والربرط والارتباط واليقظة الظاهرة، واليقظة العميقه وغيرها .

وقد اسند في تكوين رؤية واضحة على كتب التراث الأساسية في إعجاز القرآن وبخاصة أعمال الباقلاني والرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، وعلى الدراسات البلاغية

واللغوية الحديثة في الإعجاز وكب الدراسات النصية المترجمة والبحوث المؤلفة في الدرس النصي وبخاصة "محسو النص" وأهم الدراسات الأوروبية في علم النص وبخاصة الألمانية، فاكتملت بذلك أدواته، وأعانته الرؤية الواضحة وعدم التسرع في إصدار الأحكام والرؤية في المعالجة والحكم في المقابلة، كل ذلك أدى به إلى أن يقدم بحثاً طيباً، سوف يحتل مكانه اللائق به في مكتبة اللغوية النصية الحديثة بإذن الله تعالى . . . . .

وأله الموفق وعليه نصيبي

أ. د . سعيد حسن بحري

أستاذ علوم اللغة

بكلية الآلسن — جامعة عين شمس





مَدْحُودٌ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلَّهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اهْتَدَىٰ مَهْدِيهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .. أَمَّا بَعْدُ

فقد بدأ البحث في قضية الإعجاز القرآني منذ وقت مبكر جداً، وتشير الروايات إلى قصة الوليد بن المغيرة وقوله المشهورة، حينما سمع القرآن من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثم ما فلت هذه الإشارات التي اطلقت من منظور لطوي صرف إلى البحث في مجالات عدّة ومختلفة للبحث في الإعجاز القرآني، وبالتالي أسهم عدد كبير من الباحثين على مر العصور ومنذ نزول القرآن الكريم بدراسات لغوية ونقدية وكلامية . وقد اختللت أهدافها ومنهجها بما لا يخالFit فجع كل منهم في الدرس والمحاجلة .

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات ودورها البارز في الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني وتذليل كثير من صعوباته، وعلى الرغم — أيضاً — من كثرة إلا أن لم يسع من خلال التطبيق إلا للركائز على عدد من الدراسات الأساسية في الإعجاز القرآني والمتعلقة بالجانب اللغوسي والبلاغي التي أتيح لها الإطلاع عليها، وعلى أيام حال فإلي أراها دراسات أساسية في هذا الباب .

وعلى الرغم مما كتب حول قضية الإعجاز القرآني، إلا أن أرى نصوص هذه المؤلفات تمسك إلى قراءات جديدة ورواعية ؛ بهمة الوصول إلى تصورات وأفكار واضحة ومحددة حول رؤيتهم لتحليل النص القرآني وكيفية تسخير تلك المكونات التي مزجت بين عناصر لغوية وعناصر نقدية وأدبية ومزية كل وجه دون الوجه الآخر .

لقد سعيت في هذا البحث إلى عقد صلة بين مقولات وآراء الباحثين في الإعجاز، وما يمكن أن تثلّ عناصر/مفاهيم أساسية مكونة للإعجاز، وما جاء عند علماء النص، كلما كان ذلك مقيداً وموضحاً جواباً تلك الجزرية من البحث .

ويضم هذا البحث عدداً من الأفكار الأساسية، وزعت على عدد من الفصول وإطار عام . يضم الإطار العام الموضوع وأسباب اختيار الموضوع وهدف هذا البحث والدراسات السابقة ومادة البحث الخ .

**وجاء الفصل الأول : اتجاهات البحث النصي في التراث، محللاً - يأيجاز - هذه الاتجاهات على ما بها من قضايا نصية لها ما عليها في مجال اللسانيات النصية المعاصرة ، وموضحاً المعايير الحاكمة والhabits لكثير من التيارات العروائية، كل ذلك من خلال إحصاء دقيق ونسبة واضحة .**

**أما الفصل الثاني : معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني، فقد تبعت فيها العناصر الفاعلة في النص لدى الباحثين في الإعجاز القرآني من حددت مؤلفاتهم في مادة البراسة، وقد جاء في موضوعين، الأول : معايير النص عند أصحاب الرسائل : الرمائي، الخطاطي وعبد القاهر الجرجاني، مبيناً مسائل المطابقة والمخالفة ومدى إفادته كل منهم من الآخرين . بينما ركز الموضع الثاني على معايير النص عند أصحاب المؤلفات، مردفاً بذلك ببيان وجه المطابقة والمخالفة، خالصين بعد ذلك إلى مدى الإسهام الفعلي لكل منهم على حدة . ولم يفتني في هذا الفصل أن أقدم تقويمًا لسانياً للبحث في الإعجاز، كما تم عقد مقارنة بين أصحاب البحث في الإعجاز وبين علماء النص .**

**في حين جاء الفصل الثالث : المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بـ "نحو النص" ، إذ ناقشت فيه عدداً من العناصر الأساسية التي تمثل سمة جوهرية عند كل منهم، وتحلل هذه العناصر قاسماً مشعر كأ فيما بينهم، وحاولت تفكيرك الشفرة اللغوية لذلك النصوص الواردة لديهم جميعاً، متبيناً هذه الأفكار لديهم منذ البداية ومبيناً التطور/التغير الذي حدث فيها، وعلاقة كل ذلك في تحليل النصوص لديهم، بما هو وارد في "نحو النص" .**

**وناقش الفصل الرابع : ملاحظات حول بعض المعايير النصية عند الباحثين في الإعجاز. فقد جاء في عدد من المخاور كالاختلاف والالتزام أو ما اصطلاح عليه بالحبك والارتباط والربط أو ما سمي بالسبك والاقتراض أو ما يطلق عليه بالقناصية والقصدية .... الخ . هذه العناصر الحاكمة والجامعة لقضايا النص، بناء على تصور بوجراند/درسلر . وقد أبنت عن رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني من خلال مناقشة قضايا الاختلاف والالتزام والربط والارتباط من خلال عدد من قضايا : البديع والمناسبة وقضايا أخرى لغوية بحجة ودورها في البياني الظاهرية والبياني الباطنة للنص . كما ثبت قبل ذلك بفضل بيان مناقشة العلاقة بين "نحو النص" وعلم البلاغة والقضايا الجامعة بينهما،**

وفي عقب مناقشة المعيارين الأولين، تمت مناقشة قضيائنا نحو الجملة ونحو النص وما يشتراط فيهما  
وما ينماز به كل منها عن الآخر .

أرجو أن تكون فصول البحث مولقة في مناقشة قضيائنا التي ارتکز عليها .  
والله من وراء القصد ،

أشرف عبد البديع عبد الكرم

# الإطار العام

١٠ : الإطار العام :

١١ : مهاد :

لا ريب أن مجئ عنوان البحث على هذا النحو، إنما يراد به أن يستجلِّي أموراً، ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في صدر هذا البحث، نذكر منها :

أولاً : إن إقامة تصور بين الدرس النصي عند الباحثين في الإعجاز القرآني، لما يمكن أن يسمى بـ "نحو النص" عندهم، وبين ما يقدمه علماء النص، أمر لا يسلم في سهولة ويسر، ذلك أن البحث في الإعجاز القرآني، إنما جاء حاجة ملحة، وهدف محدد في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، وهو اتجاه ذو أرومة عريقة في الثقافة العربية، وهو توجه أصيل في التراث عنها، ضد أولئك القوم الذين وجهوا أقلامهم وكتاباتهم ضد هذا الدين.

أما "نحو النص" فعلم نشأ حديثاً مستقياً إجراءاته من عدد من العلوم المختلفة، ومست AdapterView من كل ذلك في تقديم تفسير أرجح للنص من خلال تلك الماهج، وما زالت اتجاهاته وتصوراته النهائية لم تستقر بعد فيما بين الباحثين في هذا الاتجاه، إذ تراهم - المختصين - مختلفين في المبادئ والأسس والأهداف والإجراءات للوصول إلىغاية المنشودة، وربما تقبل رؤية بعض الباحثين صدق تلك الرؤية من : أن علم اللغة النصي لم يتضح بعد في تلك البيانات التي ثبت فيها<sup>(١)</sup>. وما زال أهلها والمختصون بجدواه يبحثون له عن الدور في إعادة صياغة النظرية العربية المعاصرة في دراسة النص، وهذا مكمن الصعوبة بين علم قديم رسا ورسخ، وآخر حديث ما يزال يتلمس طريقه إلى تلقيها.

ثانياً : إن إشارتنا استعمال مصطلح "نحو النص" Textgrammatik بدلاً من مصطلح آخر شائع على اختلاف بينهم في الدرجة، علم اللغة النصي/ علم لغة النص Textlinguistik، لأن المصطلح الأول أقصر وأسهل في النطق.... كما أن فيه ما يشي بالتركيب بشكل مباشر على

(١) قوله تعالى من وديه فهو يجيئ: مدخل إلى علم اللغة النصي من ١٢، وقد صدر هذا الكتاب باللغة الألمانية، ١٩٩١، توبين، وينظر : د. سعيد بحرى : اتجاهات لغوية معاصرة من ١٧٢، وسوف تعكس المراجعة هذه الرؤية في ثناياها .

القواعد المخصصة بالنص، ويتحقق لهذا المفهوم النسبة العربية في صك المصطلحات مثل : نحو العربية، نحو اللغة العربية، قواعد العربية، التحو الأأساسي، التحو الوظيفي وهلم جرا .

ثالثاً : إن استخدامنا لمصطلح "نحو النص" يعكس ضمناً ذلك القدر المشترك في معاجلة قضيائنا النص عند التراثيين والمعاصرين على السواء، ومن هنا يقف هذا البحث بقدم في التراث، وبأغلى في المعاصرة في محاولة للربط بينهما .

رابعاً : إن اختيار العنوان على تلك الصيغة، يراد منه أن البحث في الإعجاز القرآني، إنما يقع على محورين، الأول : ألقى، والمقصود به بيان مذهبهم البحري ومنطلقاهم الفكرية فيما يتعلّق بالكشف عن أوجه الإعجاز. الثاني : رأسي، ونقصد به تلك التابعات الواردة هذه المعايير البلاغية والنقديّة، ومن خلال هذين المحورين تتبّع قسمات معايير النص لديهم، ومن ثم فإن عملهم والـ لا ريب — بين هذين التيارين، وعلى الرغم من أن المحورين قد يبدوان متناقضين، إلا أن كليهما يكمل الآخر، وهذا ما دعانا إلى أن نجعل العنوان على تلك الهيئة الواردة سلفاً .

## ٤/١ : موضوع البحث :

تتمثل مادة هذا البحث في كتب الإعجاز القرآني، حيث نستطيع من خلالها الكشف عن جوانب "نحو النص"، مع الأخذ في الاعتبار الظرف التاريخي الذي أدى إلى نشأة البحث في الإعجاز القرآني، و"نحو النص" مما ساعد على ظهور معايير نصية مختلفة عما هي عليه الآن، وربما تخلص المراة في أحد مطالبيها (ينظر: ١/٣) إلى أن يعاد توزيع المظومة التحليلية لهذه المعايير بما يناسب الإطار العام عند أصحاب هذا الاتجاه .

إذ تتمثل هذه العناصر في عملهم إجمالاً لمعايير عامة أو مخصوصة أو نقديّة، غير أن توزيع هذه المظومة في إطار جديد، ربما يشكل منها مادة جديدة (ينظر: ١/٣) يعاد على أساسها النظر إلى التراث بروزية معايرة، يمكن أن تقدم إسهاماً خالصاً للدرس اللسانى بعامة، والدرس النصي بخاصة ، للوصول إلى تصور لـ "نحو النص" العربي .

وثمة عدد من الدراسات التي أقيمت حول بعض الاتجاهات التراثية، ييد أن تناولها للقضية، وإن جاء مركزاً بشكل عام، فإنه — عندي — ربما كان يحتاج إلى تعميق النظر في كثير من جوانبه، وقد دفع هذا الأساس د. العبد أن يعاود النظر فيما قدم (ينظر: ٦/١)، ويأتي هذا

البحث كخطوة مع الدراسات السابقة (ينظر: ٦/١) فيما يمكن أن يمثل إطاراً عاماً لـ "نحو النص" العربي من خلال التراث.

ولن أتناول في هذا البحث قضايا الإعجاز الخالص<sup>(٤)</sup>، لأن لذلك دراساته واحتضاناته ، وما بنا أن نتبع ذلك، فمن شاء للرجوع ثمة، وإنما نركز فقط على ما يمكن اعتباره عناصر فاعلة في سبك النص وحبكه من منظورهم .

### ٣/١ : أسباب اختيار الموضوع :

١— على الرغم من الدراسات التي قامت حول بعض الاتجاهات التراثية (ينظر: ٦/١) لبيان سبك النص وحبكه، إلا أن هذا الاتجاه — البحث في الإعجاز القرآني — لم يتناول أحد من الباحثين .

٢— تزايد الاهتمام في الآونة الأخيرة بـ "نحو النص" لفت نظري إلى أن أتناول هذه المادة تناولاً مختلفاً، بخالق تبيان مدى إسهام التراث العربي في هذا الجانب مثليين في كتاب "البحث في الإعجاز القرآني" مع الأخذ في الاعتبار الظروف التاريخية التي لها أثر في نشأة كل منها .

٣— محاولة الربط بين ما قدم من خلال التراث — البحث في الإعجاز القرآني — وما يقدم في "نحو النص"؛ لتوضيح مدى إسهام الثقافة العربية في إقامة منهجة تتفق مع ذلك المسعى الملح لديهم في بيان أوجه الإعجاز القرآني .

٤— المشاركة مع ما قدم (ينظر: ٦/١ من البحث) في إقامة تصورات واضحة وقوية لـ "نحو النص" العربي من خلال ما ورد هنا وهناك من مادة تراثية .

### ٤/٤ : أهداف البحث

١— محاولة تقديم رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني فيما يمكن أن يسمى "نحو النص" العربي .  
٢— تحديد العناصر النصية الدقيقة لأوجه الإعجاز القرآني فيما يتعلق بسبك وحبك النص من منظور عربي .

(٤) — نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : أثر القرآن في تطور النقد الأدبي د. محمد زغلول سلام، الإعجاز في دراسات السابقين عبد الكرم الخطيب. الإعجاز البلاغي د. محمد محمد أبو موسى. فكرة إعجاز القرآن نعيم الحمعي، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار د. عبد الفتاح لاشين ، الخ .

- ٣— بيان رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني ومقارنتها بما قدمته السيارات التراثية الأخرى — من خلل ما يقدم من أبحاث — وبالتالي نوضح مدى التداخل المعرفي بين السيارات التراثية العربية ومعرفة الإسهام الحقيقي لكل تيار على حدة .
- ٤— بيان الفروق الدقيقة حول تصور/رؤى الباحثين في الإعجاز القرآني لـ "نحو الجملة" و "نحو النص" وأن الأمر تطور/غير شيئاً فشيئاً ، وببلغ مبلغه ، وأن البداية ليست كما كانت النهاية .
- ٥— الإسهام الفعلي مع مما يقدم (بินظر: ٦/١ من البحث) في تكوين نظرية لـ "نحو النص" العربي .

#### ٥/١ : مادة البحث<sup>(\*)</sup>

- ١— أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦ - ٣٨٦ هـ) :  
الكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، (د.ت)  
تحقيق: محمد خلف الله أحد، محمد زغلول سلام .
- ٢— أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي (٣١٩ - ٣٨٨ هـ) :  
بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف (د.ت) تحقيق  
محمد خلف الله أحد، محمد زغلول سلام .
- ٣— أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفى ٤٠٣ هـ) :  
إعجاز القرآن، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ  
— ١٩٩١ م.
- ٤— القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد أبيادي (المتوفى ٤١٥ هـ) :  
المفتى في أبواب التوحيد والعدل، الجزء السادس عشر: إعجاز القرآن، قوم نصه أمين الخلوي،  
وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط١، ١٩٦٠ م.

(\*) دربت هذه الدراسات تبعاً لن تاريخ وفاة المؤلفين .

٥- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (.....٤٧١هـ) :

- الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف، (د.ت) ، تحقيق: محمد خلف الله أحد ، محمد زغلول سلام .

- دلائل الإعجاز في علم المعانى، صحيحه وعلق على حواشيه الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

- أسرار البلاهة في علم البيان، صحيحه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط٦١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .

٦- فخر الدين الرازي محمد بن عمر (المتوفى ٦٦٠هـ) :

نهاية الإعجاز في دراسة الإعجاز ، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي ، مصر ، ط١٩٨٩م .

٧- كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم خلف الأنصاري الزملكاوى(المتوفى ٦٥١هـ) :

الجيد في إعجاز القرآن الجيد ، دراسة وتحقيق د.شعبان صلاح، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

٨- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المسيوطي (المتوفى ٩١١هـ) :

\* تناسق المترور في تناسب السور، دراسة وتحقيق عبد القادر أحد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٦ .

\* مفترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق : علي محمد المجاوي، القسم الأول، دار الفكر العربي ، (د.ت) .

وفي هذا السياق لا بد من التوجيه بعدد من الملاحظات التي يمكن أن نذكر منها :

الأولى : أن كتاب "الإتقان في علوم القرآن" على الرغم من أن المسيوطي شخص جانباً كبيراً منه للدراسة جواب الإعجاز، يبد أن المطالعة الأولية تشير إلى أنه اسcreased آراء السابقين على اختلافها ، وبناء عليه ، فإن كل العناصر الواردة عنده ليس فيها جديد إفاده، وبالتالي فهي موجودة في المفترك ، ومن ثم تم استبعاده، بناء على هذا الأساس .

الثالثية : ثمة بعض المؤلفات التي تناولت فكرة "الإعجاز القرآني" أو مسنته مسأّ خصيًّا، مثل: الوساطة بين المشي وخصومه ، للقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٢٦٦ هـ) . الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، والموازنة للأمدي (ت ٣٧٠ هـ)، والبيان والتبيين للمحافظ (ت ٤٥٦ هـ) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، غير أن هذا لا يعفيها من الاستعارة ببعضها في ثواباً البحث .

الثالثة : لا بد من التوبيه أن ثمة دراسات ظهرت حول "الإعجاز القرآني" في العصر الحديث، غير أنها جمعًا بدأية من مصطفى صادق الرواتي "إعجاز القرآن والملاحة النبوية" واتهاء بالشيخ الشعراوي (معجزة القرآن) والدكتور زغول النجار "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم" الخ ، مما يتناول جواب مهم تتعلق بالأمور الحياتية وكشف دلائلها وتاثيرها في نفوس الناس، ومن ثم ركزت هذه الدراسات جهودها حول هذا الجانب، وبالتالي اختلفت هذه العناصر التي يمكن أن تُمثل تواصلًا بين السابقين واللاحقين في هذا المجال، غير أنه أخذ قالبًا جديداً متمايزاً عما قبله، وبناء على هذا تم استبعاد مثل هذا الصنف من المؤلفات .

الرابعة : يلاحظ أن مؤلفات الرهاني والخطيوي والباقلياني وعبد الجبار وعبد القاهر، قد نالت عناية خاصة من قبل الباحثين في الإعجاز والبلاغة بصفة خاصة، وتعدت على مؤلفاً قلم الباحثين ، بيد أن الرازي في "إيجازه" ، والزملكاني في "مجده" ، والسيوطى في "معتركه" كان الأمر فيما يتعلق بهم معكوساً، على الرغم من تلك الإصدارات التي أسهموا بها في هذا المجال (ينظر: ٨: ٢/٣).

من البحث)، وإذا كان السيوطى يعد حوصلة المجهود السابقة عليه ، فيما أرى ، وكما تبين التحليلات في طوابيا البحث ، غير أن المختصين في هذا المجال لم يسكنوه مسكنه اللائق به .

وتبدو هذه رؤية أولية (مبكرة) في أنه ما هو إلا حوصلة أفكار وتصورات سابقة عليه، غير أن ثابياً التحليل والعرض تكشف عن تصورات أخرى متمايزه عن آقرانه في هذا المجال .

الأمر الذي يبدى في النهاية إلى خلق/ استبطاط عناصره أكثر، مما عليه عند الإمام عبد القاهر :

(عناصر البديع ثم وذجاً) .

من هذا المنطلق خطا بالبحث في الإعجاز خطى حديثة، وأقر عناصر وتصورات وأفكار أكثر رحابة، يمكن من خلالها كشف جوانب (مناطق) يكُر في القرآن الكريم . ومن خلال عرض نصوصه يتضح جهده الذي لا ريب فيه .

وإذا كان "نحو النص" لا يزال يُضفي إليه عناصر جديدة، تطور من المكاره وتصوراته الأخيرة التي لم تستقر بعد، فإن إضافة روافد جديدة في البحث في الإعجاز أمر مطلوب، بل ملح خاصة إذا كانت لبيان جوانب يكُر في الإعجاز القرآني وكشف لأسراره اللغوية بشكل عام .

#### ٦/١ : الدراسات السابقة :

١ - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى السجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١٩٩١ م.

جاءت هذه الدراسة مشتملة على جانبين، الأول: الاقتراحات العربية، الثاني: المساهمات العربية، وما يعيننا في هذا السياق الجانب الثاني، وقد جاء عمله على ثلاثة مستويات ترتائية: المستوى البلاغي، ومستوى النقد الأدبي، والمستوى التفسيري والباحثون في علوم القرآن . وتؤخذ هذه المسوّيات أنه اختار عناصر ترتائية متباينة، حاول أن يقدم معاييرها النصية . وإذا كانت التيارات بـ (٦) ستة تيارات (يُنظر: ٥/٣)، تتضمن معايير نصية، فإن ما عرض له الأستاذ خطابي (٤) أربعة مثل ٦٦,٧ %، وبالتالي يبقى تياران : الباحثون في الإعجاز القرآني، اللغويون، يمثلان ٣٣,٣ % .

غير أن ثمة ملاحظة<sup>(١)</sup> على تناول الأستاذ خطابي أنها جاءت تقلل رؤية عامة، يمكن أن تتطور وتعمق بشكل أكثر فاعلية، وصولاً إلى نتائج أكثر دقة من تلك الملاحظات العامة، والتي لا يمكن تجاهلها أو الغض منها .

(\*) رُبِّت هذه الدراسات تبعاً ل تاريخ نشرها.

(١) تنسق هذه الرؤية مع النتائج التي انتهى إليها د. العبد من أن رؤية محمد خطابي تحتاج إلى توسيع وعمق فيما تقدمه — مثلاً — جلال السيوطي، ينظر د. محمد العبد : حك النص... ص ٢٠٥ .

ويعا تكون هذه الرؤية هي التي دفعت الدكتور محمد العبد من إجراء بحثه : حبك النص : منظورات من التراث العربي، خاصة وأن مادة د.العبد : النقد الأدبي، وهي مادة محددة المعالم واضحة الأركان عند الأستاذ خطابي، وتکاد النصوص المعتمدة عند كلیهما تعطى تصوراً عاماً.

وربما يكون هذا التصور العام عند الأستاذ خطابي هو الذي أعطى الطياعاً بأن هذه المدونات القديمة، يمكن أن تحمل بشكل أكثر عمقاً، يؤدي إلى نتائج أكثر دقة، وإذا كانت هذه الرؤية صالية، وما أخالها إلا كذلك، فإن هذه البيانات التي أوردها الأستاذ خطابي، تحتاج إلى إعادة النظر بحيث يفضي إلى نتائج مختلفة يفيد منها الدرس اللساني النصي المعاصر ويشتت أقدامه في التراث .

#### ٢- د. جليل عبد الجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دكتوراه منشورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ م.

عرضت العديد من القضايا في إطار الخطة الموضوعة لدراسة، فتناول "البديع" كمصطلح وموقعه بين المصطلحات، ودراسة البلاعجين لهذا الجانب . أما الباب الثاني، فينطلق من معالجة عدد من القضايا المعاصرة، وتحصر بشكل أساسي في كيفية العامل مع "البديع" من منظور لساني/نصي، وفي هذا الإطار وجه الباحث عنايته إلى التركيز على معيارين من المعايير النصية عند بوجرانه/درسلر، وهما المعياران المرتبطان بالنص ، أقصد النظر إلى "البديع" من جهة السبك والحبك .

#### ٣- د. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين نظرية والتطبيق، جزءان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

جاء التناول بعد من عناصر التماسك النصي كالضمان والترابع والشكرا و المناسبة والخلف، مثيراً إلى أنها – العناصر – موجودة في التراث، مازجاً في مناقشته بين ما هو تراثي، وما هو لساني معاصر، ومن هنا فلما توقف بقدم في التراث وبآخر في الدرس اللساني النصي، ومن ثم يصل إلى أن المعالجة عند كلیهما متداخلة، ويقى التمايز في عدد المعايير وفي الكيفية التي تستمر كر حول معالجة هذه العناصر، فإذا كانوا يتناولون التكرار – مثلاً – بتعريفه وأغراضه

وبيان شواهد، ومن هنا لم يدرس في ضوء "نحو النص"، ومرد ذلك أن دراساتهم، إنما اقتصرت على الجانب الجمالي والبلاغي<sup>(١)</sup> حسب تصوره، وحاول أن يختبر فاعلية هذه المعاير على تلك العناصر التي تعرض لها، مطبقاً إياها على النص القرآني/السور المكية.

#### ٤- د. محمد العبد : حبك النص من منظورات التراث العربي :

وقد نشر هذا البحث مررتين:

الأولى : بعنوان : مبادئ تحليل النص غاذج من الأدب العباسي، دار الكتاب الجامعي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ . وقد اشتغل على هذا البحث، يضاف إليه غاذج تطبيقة من الشعر العباسي، كما يشير إلى ذلك الجزء الآخر من العنوان.

الثانية : نشر بعنوان : حبك النص منظورات من التراث العربي : مجلة الدراسات اللغوية<sup>(٢)</sup>، المجلد ٣، ٣٤، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ .

وحاول أن يقدم رؤية أوسع وأشمل مما قدمها خطابي مستدركاً عدداً من العناصر الأساسية<sup>(٣)</sup> حول الحب ومعاييره الأساسية، ثم عرض للحبك من منظور التراث العربي، أحدها في الاعتبار الفروق السياقية وعدداً من الاعتبارات المأترة.

ومن ثم استخلص المبادئ الأساسية للحبك (في النقد الأدبي) مسجلاً الميزات من ناحية، والمسنات من ناحية أخرى، وقد أدى به التحليل والمناقشة إلى أن عناصر الحبك موجودة في التراث، وأنهم كانوا مدربين لذلك إدراكاً تاماً وعلى وعي لا مناص من الاعتراف به.

(١) د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق . ١٧/٢ .

(٢) ندوة إلى أنا سوف نعتمد على هذه الطبيعة في هذا البحث ، تأرکین الأخرى .

(٣) ي cortisol د. العبد بعد مناقشة ظواهر التماض بين النصوص من خلال "نماذج الدرر في تناسب السور": من أجل ذلك لا نرى وجهاً لاقتصر محمد خطابي على ثلاثة من العلاقات الدلالية في عمل السيوطي. نرى في ذلك إيجاباً بجهود السيوطي الجهد في تحليل النص القرآني من منظور التماض من ناحية. ومن ناحية أخرى، أقل كثيراً من أن يتصور حقيقة ثراء العلاقات بين طائفتين من النصوص ببعضها نص أكبر واحد. ص ٢٠٥، ولنا حول هذه الرؤية في قابل من البحث وقفه متأنة .

## الاتجاهات البحث النصي في التراث

بدائيات :

بدأ الانشغال بالاعجاز اللغوي للقرآن الكريم منذ وقت مبكر، ويشكل لافت للنظر، وتجسد تلك القصة التي أوردها لنا كتب السيرة حول موقف الوليد بن المغيرة، حينما سمع القرآن لأول مرة، وعاد ليصف لقريش رأيه فيما ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتذكر لنا الروايات وصفاً دقيقاً لصنيع الكفار حول تصنّت كل من : أبي جهل وأبي سفيان، والأخنس بن شريف منفردًا لسماع القرآن، وعودة كل منهم إلى بيته على لا يعود أحدهم مرة أخرى<sup>(١)</sup>، وبقى الأمر مقصورةً على الملاحظات الفردية التي لم ترق إلى حد البحث، وهكذا إلى أن بدأ الصراع بين علي (كرم الله وجهه) وبين معاوية (رضي الله عنه) يأخذ شكلاً مغايراً، ثم بدأت مرحلة ثالثة مع الفترة الأخيرة من أواخر الدولة الأموية، وبالتحديد في أيام الخليفة "مرwan بن محمد" آخر خلفاء بنى أمية، ويشير الأستاذ نعيم الحمصي إشارة صريحة إلى أن "مروان بن محمد" كان يرى رأي مؤدبه اجلده بن درهم، وكان يصرح بكلق القرآن، وأنه ليس معجزاً، في دمشق عاصمة الأمويين، وكان الخليفة فيما يظهر يرى رأيه، أو يسكت عليه، حتى نسبة بعضهم بـمروان الجعدي<sup>(٢)</sup>.

وجاءت الدولة العباسية، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخلت أمم من غير العرب في دين الله، هنا تلاقفها وعاداتها وأغاثتها المائزة عن غط الحياة التي اعتاد عليها العرب في مناقشتهم وطريقة إدارة الحوار، ومن ثم واجه العرب نوعاً جديداً من أغاث التفكير، كان له الأثر الأكبر في ذلك الصراع الذي دارت رحاه في الدولة الإسلامية، وكان ثمة نوع من الناس متخفين، يظهرون الإسلام ويعملون بغيره، وهذا هو ال Hankي الذي فجر الطاولات، وشحد المهمم لعلماء المسلمين أن ينتاروا للدفاع عن القرآن ضد من أراد له سوءاً، حتى أولئك الذين ألقوا في قضية الاعجاز القرآني لم يسلم بعضهم من النقد، وذلك أفهم نسبوا الإعجاز إلى "الصرفة"؛ بمعنى أن الله صرفهم على أن يأتوا بعلمه، وأن مرد ذلك ليس إلى ما فيه من الغلط

(١) ينظر حول تفصيل القول في ذلك د. محمود السيد شعبون : الإعجاز في لظم القرآن ص ٩ ، ١٠ .

(٢) نعيم الحمصي : فكرة إعجاز القرآن ص ٣٧ .

وانتظام وانسجام وتعالق، كما سأي، إلا أن الله يقضى لأولئك أن يرد سهامهم وشوروهم إلى شوروهم.

وحلة القول إن نشأة قضية "الإعجاز القرآني" ، كان لها ظرفها الخاص، الذي غلى تلك البيئة بما هيأ لها أرضاً خصباً، وبجمعها عدد من المناصر منها :

- ١- دخول عدد من الأمم في دين الله (الإسلام) التي لها ثقافات وعادات مطابقة، كما هو موجود عند العرب .

- ٢- محاولة الطعن والليل من الإسلام مجسداً في القرآن دسّور هذه الأمة .
- ٣- ذلك الجدل اليوناني الذي حاولت فيه هذه الأمم، خاصة أن أبناءها تستخدمه ضد القرآن للليل منه والطعن فيه .

على أيّة حال ، فإني على يقين من أن الله يقتضي لدينه من يدافع عنه، ويشكل هذا الدفاع ثراء وكشفاً لأسرار جوانب حية في النص القرآني، تجلّت بوضوح في تلك المؤلفات التي أنتجهما الباحثون في الإعجاز اللغوي والبلاغي بشكل محدد .

## ٤٠ : اتجاهات البحث النصي في التراث

### ٤٠/١: اتجاه البحث التقديي :

يتركز عمل هؤلاء القوم حول تقديم نقد أدبي، يعني فيما يعني بتقديم الأعمال الشعرية لبعض الشعراء، وما يصل بذلك حول تحضير جيد الشعر من ردينه، وتجسد أعمال قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) في كتابه: "نقد الشعر" وابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) في كتابه "البدیع" وابن قیۃ (ت ٢٧٦هـ) في كتابه "الشعر والعشراء" وأبی هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كتابه "الصناعتين" ، وابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في "عيار الشعر" بشكل لافت للنظر، وتحتاج هذه الأعمال إلى غربلة ، لاستخلاص ما يمكن استخلاصه، فيما يمكن أن يقدم إسهاماً حقيقياً للدرس اللساني/النصي المعاصر .

### ٤٠/٢: اتجاه البحث البلاغي :

اختللت الاتجاهات التي عاجلت تاريخ البلاغة بما لاختلف الเหج، غير أن الذي يقع في حوزتنا هنا، هي تلك التي قامت حول تقديم صيغ متعددة لتحليل نصي، إن صح العبر،

ونعى بما تلّك التي ولّت وجهها شطر البلاغة بشكلها المعياري الحالى، وتعد دراسة الإمام عبد القاهر، رحمه الله ، في "الدلائل" و "الأسرار" النصّ الفعلى والشمار الجنية لتلك التي تقدّمت، وبالنّتالي يأتى عمله كنقطة تحول غير مسوقة، في تاريخ البلاغة، مما دعا خالقيه أن يأخذوا بعض الاعبار تلك المقولات التقديمة من جهة، واللغوية من جهة أخرى، في تقدّم تفسير أرحب، يعتمد عدداً من المنهاج .

غير أنّ الذي يقى ماللاً — ولا مفر منه — أنّ فكر الشيخ عبد القاهر أخذ يتجدد في صيغ شق، وإنجاهات مفروقة تبعاً لذلك النهج ، وتوضّح الدراسات التي قامت حول كتابات الجرجاني صدق ذلك، فقد قلم السكاكي "مفتاح العلوم" محاولاً أن يقدم صورة أشمل وأكثر تطويراً ووضوحاً، تتجدد فيها معالم المراسة النصية للأدب بشكل أكثر بروزاً، ومن جهة أخرى، قلم الرازى صوراً أخرى لفكرة الشيخ، أرادها لا نقل أهلية، إن وجهت الوجهة الصحيحة، مما اقرّجه السكاكي، أما الرمخشري، فاستهم زماناً، وطبق آراء الجرجاني، كما حاول أن يكتسب مدى فاعلية تلك الآراء، تطبيقاً عملياً في "الكشف" .

وخلال هذه السوأى عندي، أنه نظر إلى القضايا الملحقة، فيما يرتبط بتأسّير النص، كعلاقة التضامن، والربط والالتفات والتكرار، ووظائف المعرف، ودور هذه العناصر في تماّسك وفاعلية بنية النص، والذي يفرق الرمخشري عن غيره من لاحقى، أنه قدم ذلك عملياً من خلال تفسيره، بينما قلم اللاحقون صيفاً في دراسات محددة، وأظن وأخالني مصيباً، أنّ الفكر البلاغي العربي، يحتاج أن يقدم بشكل آخر من منظور المسائين النسبة، يقترح الأبعاد الحقيقة التي تعلّم استئثاراً واعياً للمسائين النصية لها .

## ٢/٠: اتجاه البحث في علوم القرآن :

بذا هذَا الاتّجاه متأخراً نسبياً ، وبالتحديد مع بداية مطلع القرن السادس الهجري، وبشكل البحث في القرآن الكريم السمة الجوهيرية الفارقة لهذا التيار، ييد أنه أخذ يتشكل من خلال مبادئ جوهيرية مانّزة، وتأتي دراسة كل من الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في "البرهان في علوم القرآن" ، والعلوي (ت ٧٤٩هـ) في "الطراز" ، وابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) في المثل السائر، والسوطي (ت ٩١١هـ) في "الإتقان في علوم القرآن" تُقتل الملامح الأساسية لصلب البحث في

علوم القرآن ، وهي تعمّك بشكل مباشر حول قضيّاً يمكن أن تُحدّد بدأة فعلية لـ "نحو النص" العربي، وقضيّاً مثل: التكرار والتضام والربط بأشكاله المختلفة، تُحدّد صلب البحث في هذه المؤلفات، باعتبارها ظواهر أساسية لتضارف عناصرها في تماّسها ببنية النص، وهي قضيّاً أساسية بالنسبة لـ "نحو النص" .

#### ٤/٤: اتجاه البحث في التفسير/التفسيري :

تشكلت الملامح الأساسية لهذا الاتجاه بالنسبة لتحليل النص القرآني في وقت مبكر . وقد ألاحت لهم طبيعة عملهم أن يقدموا تفسيرات مدحوظة إلى جانب المقولات النظرية في مواضع من تفسيراتهم للنص القرآني، وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، وأمكنان دراستها في سياقات متباينة، وفي أئمّة مختلفة في إطار القرآن وحده، دون توسيع في معاجلة الربط في نصوص أخرى .<sup>(١)</sup>

وقد تضمن الاتجاه التفسيري العام عدداً من الاتجاهات التي تقع داخل دائرة بما شكل منها الاتجاهات تفسيرية متباينة، فثمة تفسير بالتأثر وثان بالرأي الخمود وثالث بالرأي المفهوم، وواضح أن هذه التفاسير – على الرغم من التباين فيما بينها – قريب من قريب، وأن هذه الغريّبات، إنما هي في عاقيبة الأمر وخاتمه، تصب في رؤى مختلفة، تعمل جميعها على إثراء النص القرآني من جهات عدّة، وحاصل القول إنما تعتمد زواياً متباينة منها : الاتجاه الذي يركّز جاهداً على الفصل القرآني، كتفسير ابن كثير، ومنها ما يعتمد الجانب البلاغي والنحووي كتفسير "الكشف" للزمخشري، أما تفسير القرطبي والطبراني، إنما يوضحان جواب لغوية وقراءات قرآنية، إضافة إلى عدد من التفاسير الأخرى، وإذا كانت هذه التسوّعات التفسيرية لا تخرج عن كوفّاً جلة واحدة، فذلك لقاء اتجاه إيدرولوجي آخر، أعني به تفسير الإسماعيلية، إذ يقوم على دعامتين أخرى مغایرة لمنظّمات الاتجاه الأول .

ونشير إلى أن ثمة اتجاهات آخر، يمكن أن يضاف من خلال تصوريّن/موقعين ، الأولى : يقع ضمن حوزة الاتجاه التفسيري ، من خلال الاتجاه العام في هذه المؤلفات . الثانية : أنه يتعلّم بداية فحصية للبحث في الإعجاز القرآني، ويمثل هذا الاتجاه كل من الفراء

(١) د. سعيد حسن بحوري : من أشكال الربط في القرآن الكريم ص ٨٠ .

(ت ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن . أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) : مجاز القرآن . الزجاج (ت ٣١٠ هـ) : إعراب القرآن المنسوب للزجاج، ومعاني القرآن وإعرابه . النحاس (ت ٣٣٨ هـ) : (إعراب القرآن، على سبيل المثال لا الحصر .

وتشكل هذه المؤلفات جوهر البحث في هذا الاتجاه، واعتماداً على هذا النهج تحددت المسميات والمبادئ الأساسية له في إطارها العام، إلا أن استظهار هذه الدراسات بين بوضوح المواتز الخاصة لكل دراسة على حدة، وفي تصوري أن هذا الاتجاه يمثل نموذجاً مهماً للبحث في الإعجاز اللغوی للقرآن، بشكل ضمني، إذ لم تنشر هذه المؤلفات إلى أنها أقيمت في الأصل لهذا الفساد . ومن ثم تحتاج إلى دراسة موسعة في ظل الاتجاه النصي؛ لمقارنة النصوص واستخلاص النتائج التي يمكن أن يفيد منها علم اللهجة الحديث، فيما يشهي التواصل البشري بين القدم والحديث .

## ٥/٥: الاتجاه البحث اللغوی :

جاء عمل هذا الاتجاه في صورة تقديم تفسير/شرح لمعد من القهائد لعيون الشعر العربي القديم، كتلك التي قدمها الرمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ) للامية العرب للشنيري، وشرح معلقة طرفة برواية أبي بكر أحمد بن محمد الفضل بن الجراح لابن الأنباري، وشرح قصيدة "باتت سعاد" لابن هشام الأنباري (ت ٧٦١ هـ)، وشرح معلقة امرى القيس لابن كيسان، وشرح معلقة عنترة برواية أبي بكر أحمد بن محمد الفضل الجراح لابن الأنباري، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى للإمام أبي العباس ثعلب (ت ٩١ هـ) .

وتحتمد هذه الشروح جميعها على تقديم تحليل، إما بالاعتماد على تقديم تفسير معاني الكلمات المعجمية، أو التركيز على الناحية الإعرابية، وما لا شك فيه أن هذا الصنف من تفسير الخطاب، يعطي ميادئ أولية، وبين هذا بشكل أكثر بروزاً في تقديم ملائحة الكلمات، وما يقوم به الإعراب من إيصال جانب من جوانب العلاقات التركيبية، وإن كان هذا لا يرقى إلى ما نطبع إليه في هذا البحث .

## ٦/٢: اتجاه البحث في الإعجاز القرآني :

انشغل الباحثون في إعجاز القرآن الكريم بقضايا مختلفة شكلت جميعها أساساً للبحث فيه، وإن نال الإعجاز اللغوي والبلاغي حظاً موفوراً من الباحثين باعتباره مناط الإعجاز المقصري، حسب رأي جهور الباحثين فيه، وبالتالي جاءت المؤلفات في هذا المجال كافية عما يمكن أن يمثل سبكاً وحيناً للنص القرآني من جهة، وتضافر عناصره من جهة أخرى.

جاء كتاب "إعجاز القرآن" للبلايلي يمثل نقطة تحول فاصلة في تاريخ البحث في هذا الاتجاه، كما أن كتاب "معترك الأفوان"، يحتاج إلى من يكشف عنه اللئام، وأن يسكن مسكنه من الدراسات العربية التراجمية التي يمكن أن يفيد منها النرس النصي، فيما يعرف بالتواصل البحثي الذي ربما يعكسه هذا البحث، أو يعكس جوانب منه، وسوف يركّز هذا البحث على المعاير الأساسية التي ركز عليها أصحاب هذا الاتجاه، وإن كانت لا تغفل العناصر العامة الأساسية لدى أصحاب الاتجاهات النصية من خلال التراث.

وإذا كانت تلك الاتجاهات متقاربة في كيفية الترکيز على تلك العناصر بما يشكل منها سمة فارقة، فإننا نعرض موجزاً للعناصر الأساسية عند أصحاب كل اتجاه في المطلب التالي :

### ١/٢ : معاير النص في الاتجاهات التراجمية :

### ١/١/٢ : معاير النص في الاتجاه الت כדי (\*) :

#### ١ - ثوابت المفاصل:

أ - أن يكون معتمداً على السجع

ب - أن يكون غط النظم مناسباً للفرض .

ج - تقديم المهم فالأهم .

د - أن تكون بين أسمائه علاقة اصطفاء: كالسلبية والحاكمة والتفسير... الخ .

(\*) استخلصنا معاير النصية لكل من الاتجاه الت כדי والبلاغي وأصحاب علوم القرآن والملسرين من خلال ما توصل إليه الأستاذ محمد خطابي في : لسانيات النص من ٢٠٥.

## ٢- خمسة الفصول :

- أ— استعمال عرض الفصل السابق في اللاحق .
- ب— أن تكون الفصول متصلة العبارة والغرض .
- ج— أن تكون الفصول متصلة العبارة دون الغرض .
- د— أن تكون الفصول متصلة الغرض دون العبارة .

## ٣- العلاقات بين الفصول :

- أ— الانتماء من الجزء إلى الكل أو العكس .
- ب— أن يكون رأس الفصل دالاً على بقية الفصل (حيث تكون الأبيات التي تليه تمهيد له...).
- ج— أن يكون آخر الفصل (القصيدة) استدلالاً على ما تقدم منه (منها) .

## ٤/١/٢: معايير النص في الاتجاه البلاغي :

### ١- المستوى المعجمي :

- أ— المطابقة      ب— التكرير: رد العجز على الصدر — البناء — المناسبة .

### ٢- المستوى الدلالي :

- مبدأ الإشراك : \* معنى الجمع ، الشريك والنظير \* التضام العقلي \* الجامع العقلي
- \* الجامع الوهمي \* التعقل \* التأكيد، الإيضاح، نقصان المعنى \* صيغة الخطاب .

### ٣- المستوى التداولي :

- تقدير السؤال — النضام النفسي — الجامع الخيالي — اختلاف الأفعال الكلامية وتدخل المقام لرفع الاختلاف .

## ٤/١/٢: معايير النص في اتجاهي الباحثين في علوم القرآن والمفسرين :

### ١— المستوى النحووي : أ— العطف      ب— الإحالة      ج— الإشارة .

٢- المستوى الدلالي :

- أ— موضوع الخطاب
- ب— تنظيم الخطاب
- ج— ترتيب الخطاب
- د— العلاقات : البيان والتفسير الإجمالي
- والفصل : العموم/الخصوص .

٤/٤ : معايير النص في الاتجاه اللغوي :

- ١— المستوى المعجمي : تفسير الكلمات — التكرار، الإعراب .
- ٢— المستوى التحوي : العطف، الإشارة .

غير أن اللافت للنظر في هذه الاتجاهات المختلفة، أنها ليست واحدة، ومن ثم نرى تداخلًا من جهة، ومقارنات من جهة ثانية مع اتجاهات أخرى .

٤/٥ : معايير النص عند الباحثين في إعجاز القرآن :

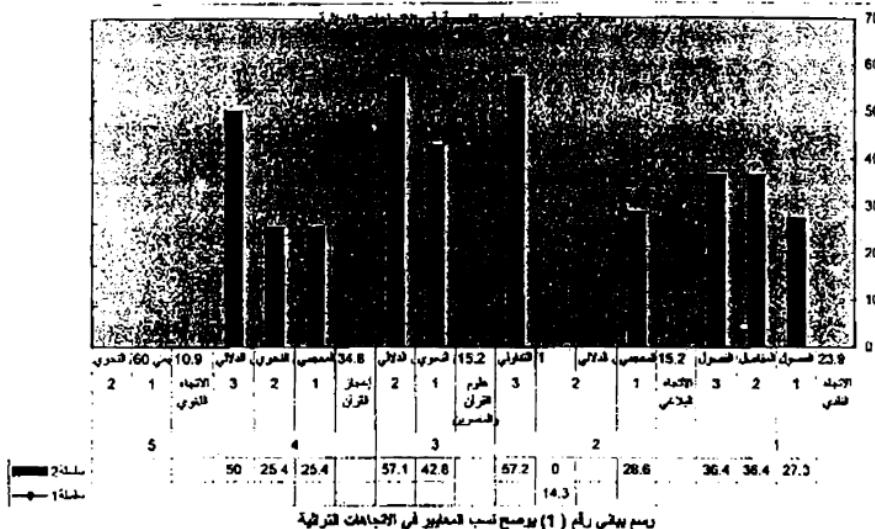
يمكن تلخيص العناصر الأساسية هنا، بناء على ما ورد عند السوطري في "المعرك" الجزء الأول، مثنتها في الأشكال العامة التالية :

- ١— المستوى المعجمي : العموم/الخصوص — التكرار، الإجمال  
الإيجاز/الإطناب .

٢— المستوى التحوي : الخبر والإنشاء — التاليف والالتلاف — الإيهام .

- ٣— المستوى الدلالي : العدل، الرجاء، التخويف، الحصر والاختصاص،  
الاتصال السور، المناسبة، تقديم الألفاظ، الناسخ والنسوخ .

ولاشك أن مثل هذه المعايير معايير عامة لدى أصحاب هذا الاتجاه، وستكشف المناقشة عن تقديم معايير أخرى لدى أصحاب هذا الاتجاه كل على حدة؛ لاستخلاص المعايير الدقيقة، ولما كان هذا الاتجاه لم يعرض له أحد من الباحثين، ومن هنا فإننا سنقصر هذا البحث عليه، ويبين المخطط التالي توضيحاً لتلك المعايير الواردة عالياً :



#### ملحوظات : (١) :

- ١— تتفق هذه الاتجاهات في معاير العيبة عند أربعة منهم، علاوةً لأصحاب الاتجاه النعري.
- ٢— تشبين من المخطط أن هذه المعاير على الرغم من المطابقة العامة في المند، إلا أنهم مختلفون في الفضائل وتناول أنواعها.
- ٣— تشبين أن المعاير العامة عند أصحاب الإعجاز القرآني واحدة، إلا أن البحث في تفاصيله، وما يكشف عن معاير أساسية ودقيقة.
- ٤— يتفق اتجاه البحث في إعجاز القرآن وعلومه والمفسرين فيما بينهم في المعاير العامة إلى حد ما، ويفتى التمايز في الفضائل وتناولها.

- ٥— يتسق الاتجاه اللغوي مع الاتجاه الوارد في رقم(٤) في المعيار المعجمي والتحوي بشكل عام، وبيفى الاختلاف قالماً من حيث عدم ورود المعيار الدلالي .
- ٦— يفارق الاتجاه البلاغي الاتجاهات الأخرى، من حيث إن معايره مغايرة في المسمى، وإن كان يتفق مع بعضها في ثابيا التفاصيل للعناصر الأساسية .
- ٧— يشير المخطط إلى أن المعاير الجوهريه، تبنت منها معاير في تقسمات ثانوية على قدر من الأهمية في التحليل النصي .
- ٨— يوضح الرسم البياني التساوي في القيمة بين المعيار الأول والثاني عند أصحاب الاتجاه النقدي، ويأتي المعيار الثالث أقل منهـما بقليل، في إشارة عامة إلى التقارب النسبي بينها.
- ٩— نسبـين من الرسم، أن المعيار الدلالي يمثل أعلى قيمة عند أصحاب الاتجاهات التالية قاطبة، يليـه المعيار المعجمي، وبالتالي فإنـما أعلىـماً مـعـاـيـرـين عند أصحاب الاتجاهـاتـ فيـ السـرـاتـ، وـيـقـوـدـنـاـ هـذـاـ المـلـحـظـ إـلـىـ آـفـهـاـ نـالـاـ عـنـيـةـ خـاصـةـ، وـمـنـ ثـمـ فـإـنـهـ اـتـجـاهـ جـدـيرـ بـأنـ نـفـرـدـ لـهـ هـذـاـ الـبـحـثـ، مـوـضـحـنـ الصـنـایـاـ الإـعـجـازـ الـلـغـوـيـ وـالـعـوـالـقـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ "ـلـخـ النـصـ"ـ الـعـاـصـرـ، فـيـ حـاـوـلـةـ تـأـصـيـلـ لـهـ فـيـ التـرـاثـ .
- ١٠— تستـظهـرـ مـنـ الرـسـمـ أـنـ مـعـاـيـرـيـ تـماـسـكـ المـفـاـصـلـ، تـماـسـكـ الـفـصـولـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـ النقـديـ، وـالـمـعـاـيـرـ الـعـادـوـلـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـ الـبـلـاغـيـ، وـالـمـعـاـيـرـ الدـلـالـيـ وـالـمـعـجمـيـ عـنـدـ أصحابـ تـارـيـخـ عـلـومـ الـقـرـآنـ وـالـمـفـسـرـيـنـ وـرـدـتـ مـتـارـيـةـ إـلـىـ حدـ ماـ .
- ١١— جاءـ المـعـاـيـرـ الدـلـالـيـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـ الـبـلـاغـيـ وـالـمـعـاـيـرـ التـحـويـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـ الـلـغـوـيـ مـتـطـابـقـيـنـ مـنـ حيثـ النـسـبةـ، وـهـيـ أـلـلـ نـسـبـةـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـاتـ التـرـالـيـ المـخـلـفـةـ .
- ١٢— جاءـتـ النـسـبـةـ مـتـطـاـوـرـةـ بـشـكـلـ كـبـيرـ بـيـنـ الـمـعـاـيـرـ الـوـارـدـيـنـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـ الـلـغـوـيـ .
- ١٣— أـشـارـتـ نـسـبـ المـعـاـيـرـ النـصـيـةـ عـنـدـ أصحابـ الـبـحـثـ فـيـ عـلـومـ الـقـرـآنـ وـالـمـفـسـرـيـنـ إـلـىـ آـفـهـاـ مـتـسـاوـيـةـ مـنـ حيثـ العـدـ وـنـوـعـةـ الـمـعـاـيـرـ .
- ١٤— تستـخلـصـ مـنـ المـخـطـطـ الـبـيـانـيـ أـنـ نـسـبـ الـمـعـاـيـرـ: الـمـعـجمـيـ وـالـدـلـالـيـ عـنـدـ أصحابـ الـاتـجـاهـ الـبـلـاغـيـ وـاحـدـةـ، فـيـ جـاءـ المـعـاـيـرـ الـتـدـارـوـلـيـ، يـمـثـلـ مـفـارـقـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ هـذـيـنـ الـمـعـاـيـرـ .

- ١٥ - ثمة مقارنة بين المعيار الدلالي عند أصحاب الاتجاه البلاغي والمعيار المعجمي عند أصحاب الاتجاه في علوم القرآن والمفسرين، والمعيار التحوي عند الباحثين في الإعجاز، في أن كلاً من هذه المعايير جاءت أقل المعايير عند أصحاب الاتجاهات النصية والتراثية.
- ١٦ - يشير الرسم إلى أن المعيار المعجمي في الاتجاه البلاغي والتحوي عند أصحاب الاتجاهات النصية والتراثية يشير الرسم إلى أن المعيار المعجمي في الاتجاه البلاغي والتحوي عند أصحاب الاتجاهات النصية والتراثية.
- ١٧ - تفيد الملاحظات إلى أن التيار التقدي لقي اهتماماً ملحوظاً من قبل الباحثين، في محاولة للكشف عن عناصر اتساق والمسجام النص وكذلك التيار التفسيري، وأرى أن هذين التيارين على الرغم من تلك الحاولات التي قدمت، بيد أنها لا تزال تحتاج إلى من يعمق النظر فيها، لتقديم طائفة من المبادئ الأساسية لـ "المو النص" العربي من خاللها.
- ١٨ - تخلصن فيما ورد سابقاً أن البحث في "إعجاز القرآن" لم يعرض له أحد من الباحثين، ومن ثم فإن هذا التيار يحتاج إلى وقفة منا، تستوضح معالمه، وتتبين أركانه؛ دعماً للتواصل البحثي بين القديم والحديث.

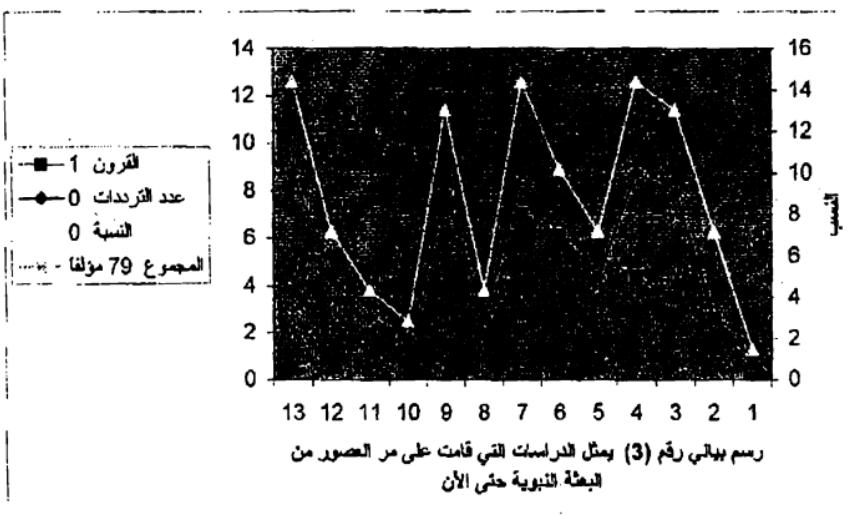
## ٦/١٢: عدد المؤلفات في القرون الإسلامية اهتماماً بالإعجاز القرآني<sup>(\*)</sup>

نوع الدراسة	القرن	العدد	نسبة (%)
بلغت الدراسات ٧٩ دراسة	١,٣	١	٢
	٦,٣	٥	٣
	١١,٤	٩	٤
	١٢,٦	١٠	٥
	٦,٣	٥	٦
	٨,٩	٧	٧

(\*) تم تصميم هذا الجدول بناء على الموسوعات التي ذكرها الأستاذ نعيم الحصري في كتابه "لكرة إعجاز القرآن".

	١٢,٦	١٠	٨
	٣,٨	٣	٩
	١١,٤	٩	١٠
	٢,٥	٢	١١
	٣,٨	٣	١٢
	٦,٣	٥	١٣
	١٢,٦	١٠	١٤

جدول رقم (٢) بيانات المؤلفات في الإعجاز القرآني عبر القرون الإسلامية

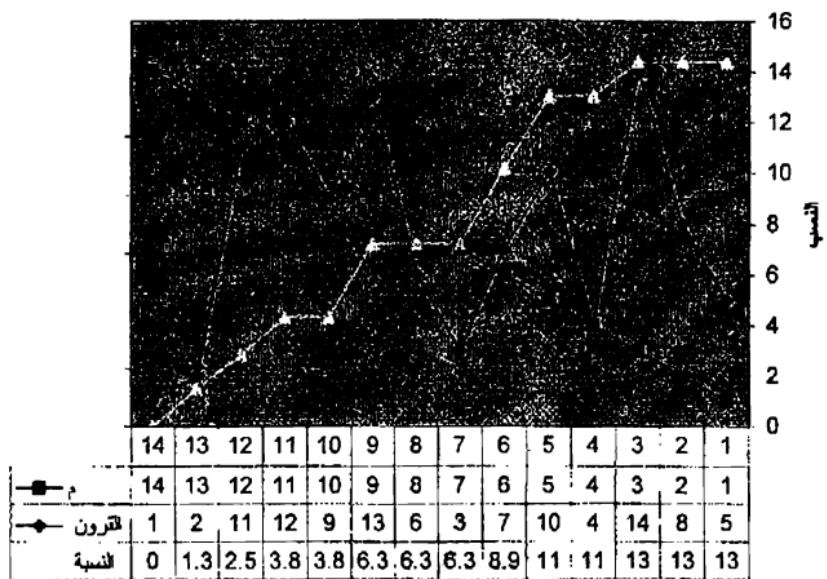


### ملحوظات : (٢) :

- ١- يمثل الرسم الدراسات حول الإعجاز القرآني في نواحٍ مختلفة .
  - ٢- خلا القرن الأول من الدراسات حول الإعجاز القرآني ودراسة واحدة للفرن الثاني<sup>(١)</sup> .
  - ٣- استوى القرن الخامس والثامن والرابع عشر من حيث عدد الدراسات التي قامت حول الإعجاز، ومثلت هذه القرون أعلى معدل لها من حيث الدراسات عشر دراسات لكل قرن .
  - ٤- استوى القرنان الرابع والعشر في عدد الدراسات التي قامت حول الإعجاز، تسع دراسات لكل منها، وهذا القرآن في المرتبة الثالثة بعد ما ورد في الرقم<sup>(٣)</sup> .
  - ٥- جاء القرآن السابع في المرتبة الثالثة من حيث عدد الدراسات والاهمام بقضايا الإعجاز، سبع دراسات .
  - ٦- استوت القرن الثالث والسادس والثالث عشر، خمس دراسات لكل منهم، وهو عدد يجعلها في المرتبة الرابعة من حيث الترتيب بين القرون .
  - ٧- استوى القرآن: التاسع، الثاني عشر، ثلاث دراسات، تجعلهما في المرتبة الخامسة .
  - ٨- أما القرن الحادي عشر، فلم ترد له إلا دراستان، جعلته في المرتبة السادسة، في مقابل القرن الستاني أقل القرون، مثلاً فيما ورد عند ابن المقفع، يمثل نسبة ١، ٣ . تجعله في المرتبة الأخيرة .
- وتفعك هذه الملاحظة تصوراً آخر، يمكن أن ترتب على أساسه القرون من حيث اهتمامها بالدراسات حول الإعجاز القرآني في الشكل التالي :

---

(١) تستحق هذه النتيجة بما توصل إليه عبد الكريم الخطيب من خلو القرنين الأولين من الدراسات حول الإعجاز القرآني، كما خالقه في تعويله على عدم وجود دراسات، إلى تقييم المسلمين. إعجاز القرآن في دراسات السابقين ص ١٨٠، ولا ينبع المقام هنا لمناقشة آرائه التي تحتاج إلى تفصيل بيان .



رسم بياني رقم (٤) يوضح ترتيب قرون من حيث اهتمامها بالدراسات حول الإعجاز القرآني

### ملحوظات (٣) :

إذا كان الرسم البياني رقم (١) و(٤) يمثلان دراسات عامة في الإعجاز القرآني، أقصد الإعجاز في نسواح مختلفة: العلمي، العددي، الصرفية، اللغوي، البلاغي ... الخ. ييد أن الذي يسوقونا من هذه الأنواع: اللغوي والبلاغي، وهو الذي يمس دراستنا مسأً مباشراً، وإذا اختبرنا ما أورده الحمسي من الدراسات حول الإعجاز القرآني تبين لنا الجدول التالي :

مجموع الدراسات	x	x	١
(٥٤) دراسة	x	x	٢
	٣,٧	٢	٣

٩,٣	٥	٤
٧,٤	٤	٥
٥,٦	٣	٦
١٣	٧	٧
١١	٦	٨
٣,٧	٢	٩
١٤,٨	٨	١٠
٣,٧	٢	١١
٣,٧	٢	١٢
٧,٤	٤	١٣
١٦,٧	٩	١٤

جدول (٥) يوضح عدد الدراسات حول الإعجاز اللغوي والبلاغي، بناءً على ما أوردته الأستاذ نعيم الحمصي

#### ملحوظات : (٤) :

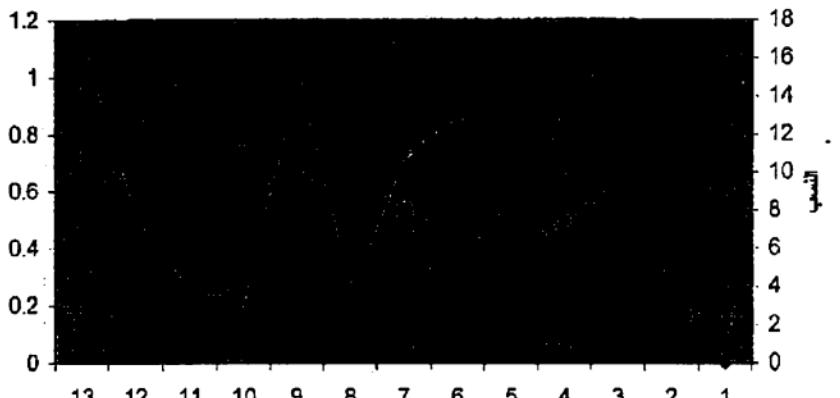
- ١— خلال القرن الأول والثاني والرابع عشر من الدراسات التي تركز على هذا الجانب في الإعجاز القرآني.
- ٢— يشير الجدول إلى أن القرن السابع والثامن والعاشر تقلل قيمة الاهتمام بالجانب البلاغي، وبالتالي فإنما تقلل قيمة ما وصلت إليه في هذه القرون كافية.
- ٣— جاء القرن الرابع المحرري في مرحلة تالية لها، حيث ورد في رقم (٢) من حيث تركيزه على الجانب اللغوي؛ إظهاراً لإعجازه.
- ٤— أما القرن الخامس، فجاء تالياً في مرتبته للقرن الرابع، في حين احتل القرن السادس المرتبة الرابعة متساوياً مع القرن الثالث عشر.

- ٥ - في حين جاء القرن الثالث، لتساوي مع القرن الحادى عشر، وجاء في المرتبة الخامسة، بينما جاء القرن التاسع في المرتبة الأخيرة .
- ٦ - هذه الدراسات حول الإعجاز اللغوي، منها ما يركز على الجانب البلاطي، ومنها ما يتناول إضافة إليه جوانب أخرى .
- ٧ - إذا كانت الدراسات التي قامت حول الإعجاز بلفت (٧٩)، بناء على ما جاء في جدول (٤)، فإن إحصاء الدراسات التي ركزت على الجانب البلاطي بلفت (٤٢) دراسة، أي ما يعادل ٢٪، مما أورده المفسرون والباحثون في هذا المجال، وهو صلب البحث في الإعجاز وإن كانت الجوانب الأخرى للإعجاز تحمل مكانة تصل نسبتها إلى ٤٧,٣٪، وتؤدي بما هذه النسبة أن نولي وجهتنا شطراً .
- ٨ - أكد الجدول رؤية ما توصل إليه أحد الباحثين<sup>(١)</sup>، أن القرن السادس كان قرن حمود بالنسبة لهذا المجال، غير أن الفارق يبقى في كلامه أن مرحلة الركود ، هي المرحلة الأخيرة في هذا المجال ، إلا أن جدول (٥) والرسم (٦) يشيران إلى نتيجة مغايرة ، إذ للاحظ أن القرن السابع والثامن اللذين يمثلان قمة ازدهار البحث في الإعجاز .
- وبالعملي فإن الرؤية هنا ذات شقين متمايزين، وتنقى ملاحظة أخرى هي تلك المقولة التي أشار إليها أحد الباحثين<sup>(٢)</sup>، أن مسألة الإعجاز اللغوي، هي التي استأثرت بأجل الاهتمام سلباً أو إيجاباً من إطلاعات القرن الثالث وحتى مرحلة الركود<sup>(٣)</sup>، وبالعملي فإن ما تلا ذلك من القول في الإعجاز، لا ينطلق من وجهة نظر لغوية بحتة، وهذه الملاحظة تحتاج إلى إعادة نظر، إذا كانت الدراسات التي قامت حول هذا الموضوع الخدلت هذا الخط دون تغيير، وإنما ربما يكون حدث فيها تغيير وتطور .

(١) عمر لطفي : المستشرقون والقرآن من ١٧٨ (هامش ٣) .

(٢) عمر لطفي العالم: المستشرقون والقرآن من ١٧٨ .

(٣) السابق : الموضع ذاته .



رسم بياني رقم (6) يوضح نسب لفظون في تركيزها على الجذب البلاغي والتغري في بین الإعجاز القرآني

وإذا كانت هذه الدراسات التي قامت لإظهار الإعجاز القرآني تنتهي إلى عدد من السينارات المتباعدة ، كما يوضح الجدول رقم (٥) ، بيد أنها تحاول أن تركز على الدراسات التي ركزت بشكل مباشر على الإعجاز اللغوي والبلاغي ، مركزتين على عدد من الدراسات التي تستجلِّي جوانب لغوية وبلاطية من تلك العناصر التي تعمل على تماسته وترتبط ببنية النص القرآني ، بما يخلق منها نصاً محكم الأجزاء ، لا يأبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو ما جعلهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وتنتظم هذه الدراسة في تناول مسائل الالتفاق والاختلاف عند أصحاب "الرسائل" و"المؤلفات" في الإعجاز القرآني ونظمها ، وقد اختبرنا منها ما ي詖م المبادئ الجوهرية التي يمكن أن يفيد منها البحث النصي .

وإذا كانت هذه الرؤية تعرض للمطابقة في الرؤى من ناحية ، والمخالفة من ناحية أخرى ، فإن لذلك مرجعاً أساسياً في أن هذا الإجراء يعفياناً أن نعقد مقارنة بينهم في ثابات التحليل ،

ويستطيع القارئ أن يستخلص طائفة من الملاحظات التي يحتاج إليها، والتي ربما لم نكن قد دونناها، وهي لا تخفي على القارئ الليب.

وبعد هذا التصور الأولي، عرضنا لرؤية كل فريق منهم من خلال "نحو الجملة" و"نحو النص" من خلال عدد من القضايا الأساسية :

- ١— التصورات والمقاهيم .
- ٢— المكون البلاغي ودوره .
- ٣— ما يشارك فيه النمطان كلاما .
- ٤— ما يمتاز فيه النمطان كلاما .
- ٥— طرق التحليل ومعايير الوصف .

## الفصل الثاني معايير النص عند الباحثين في إعجاز القرآن

### ١/٣ : معايير النص عند أصحاب الرسائل :

فاختة :

تأتي هذه "الرسائل" على هيئة حوار يجريه صاحبها، في محاولة للتدليل على الإعجاز القرآني على الاختلاف بينهم، في الإجراءات المتبعة، وقد نالت هذه الرسائل شهرة لا اكتسبته في تاريخ الثقافة الإسلامية، في مجال من أدتها وأحاطرها على الإطلاق. مجال الإعجاز القرآني، وهي ثلاثة رسائل، للرماني (ت ٣٨٦ھـ)، والخطابي (ت ٣٨٨ھـ)، والجرجاني (ت ٤٧١ھـ).

وتعكس تاریخ الوفاة، أن الرماني أسبقهم تالیماً في هذا المجال، إلى حد كبير، بله الخطابي. ويأتي الإمام عبد القاهر في وقت لاحق، يد أن تاریخ الوفاة للرماني والخطابي يعكس من ناحية أخرى تلك الفترة الزمنية الفريدة جداً التي يتسمان إليها، ومن هنا يزددي هذا الملحوظ إلى أقماً كانوا يعيشان في فترة زمنية واحدة، وتحلى هذه الصورة بشكل أكبر في أن الرماني والخطابي، لم يعرض كل منهما للآخر، رجأ على أساس حداة العهد، أو أن أحد هما لم يطلع بشكل أو باخر على ما كتبه الآخر، على أن ما يهمنا هي قضية العناصر التصيفية التي اعتمد عليها كل منهما، وسوف نبدأ بالإقليم، حسب تاریخ الوفاة؛ ليتسق لنا معرفة الناقل/الأحدث منهم عن الآخر، ومن ثم نصل إلى مدى الإسهام الحقيقي لكل هؤلاء في الإعجاز القرآني.

غير أننا ينبغي أن نشير – اختصاراً – إلى أن فكرة الإعجاز عند أصحاب الرسائل قد سارت في طريقين، أحدهما : المنهج الذي سار فيها ابن المعتز وقديمة ويعومها فيها الرماني ، وهي تعليل الإعجاز عن طريق البديع (البلاغة). الثاني : منهك القائلين بالنظم والتاليف، وهي طريقة الجساحظ والأمسدي، وفيها سار الخطابي ، عندما تحدث عن الإعجاز<sup>(١)</sup>. وسوف نولي وجهتنا شطر الطريقة الثانية .

(١) د. إحسان عباس: تاريخ النقد عند العرب من ٣٣٧، ويري د. متى سلطان أن نظرية الإعجاز لها جانبان بارزان، الأول : منها فلسفى جدلى. الآخر : بلاهى أدبي إعجاز القرآن بين المحرلة والأشاعرة من ٢٢١.

### ١/١/٣ : معايير النص عند الرماني في النكت في إعجاز القرآن :

يحدد الرماني بدايةً أن وجوه إعجاز القرآن، إنما تظهر في سبع جهات : ترك المعارضه مع توفر الدواعي، وشدة الحاجة، والتحدي للكافله، والصرفه، والبلاغه، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقص العادة، وقياسه بكل معجزة<sup>(١)</sup>.

وربما لم تجد في الجهات السبع التي أشار إليها الرماني شيئاً يتعلق بما يمكن أن ندعها عناصر نسبة من منظور التراثيين، ولنستطيع أن نحصل على هذا في ثانياً تحليله لمعنى البلاغه، وأنا على عشرة أقسام: الإيجاز، والتبسيه، والإستعارة، واللازم، والقواعد، والضمين، والبالغه، وحسن البيان<sup>(٢)</sup>. وبالتالي يمكننا أن نظر على ذلك فيما يحصل بأقسام البلاغه، فإذا كان قد أشار إلى أن جهات الإعجاز (سبعة)، فإن ما نحصل عليه (هنا) من هذه السبعة "البلاغه"، وبالتالي نحصل على ١٠٪، مما ورد في إعجاز القرآن.

وتوضح هذه الملاحظة المرجع الأساسي عنده، فيما يتعلق بقضية الإعجاز إذ ليست هي جوانب لغوية، بقدر ما هو كامن في البلاغه، إلا أن هذه الرؤية لا تنفي كلية استعمال هذه المعايير التي قيل بنوراً للجانب النصي، إن صح التعبير. وما يمكن أن نفيد منه تلك المعايير التالية: الإيجاز، اللازم، القواعد، التضمين، الضمين.

وببناء عليه، فإن المعايير البلاغية التي جاءت عند الرماني، ليست كلها صالحة؛ لأن توظيف في الجانب النصي، وإنما قليل - فقط - ٥٥٪، ومن ثم فإن هذا يؤدي إلى نتيجة تعكس أن جواب الإعجاز، إنما تأتي، ليس من الجانب اللغوي بقدر ما هو جانب بلاغي في الأساس، وإن كانت هذه الملاحظة لا تفضي في النهاية إلى إثبات الجانب اللغوي، المتصل في ذلك المزاج بين المصطلحات.

وإذا كان الرماني قد ذكر موجزاً جهات الإعجاز، فإنه لم يشر إلا إلى الجانب البلاغي، وربما ينسق هذا مع الملاحظ السابق، أن مدار الإعجاز عنده هي البلاغة - النظم - وإن كان لا

(١) الرماني : النكت في إعجاز القرآن ص ٦٩.

(٢) السابق : ص ٧٠.

يسمى الجهات الأخرى، أعني اللغة ثانية في المرتبة الأولى، ويدل على ذلك أنه وضج جوانبها وذكر أقسامها، وقصر رسالته عليها.

### ٢/١/٣ : معايير النص عند الخطابي في: بيان إعجاز القرآن :

منذ البداية يعالن الخطابي في وضوح أن القول في هذا الباب قديم، ولم يتوقف حدinya ولن يتوقف . ويلخص بشكل موسّع، خلافاً لما أورده الرماني موجزاً للمذاهب في هذا، بأن ثمة قوماً قالوا: إن العلة في إعجازه الصرف؛ أي صرف المهم عن المعارضة، وإن كان مقتداً عليه، غير معجوز عنها<sup>(١)</sup> . وطالفة أخرى ذهبت إلى أن إعجازه، إنما يرجع لما تضمنته من الأخبار عن الكوالن في مستقبل الزمان<sup>(٢)</sup> . أما المذهب الثالث: يرى أن إعجازه إنما هو من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر.

وعلى الرغم من تصريحه أن المذهب البلاغي هو مذهب الكثرة الكالارة من أهل النظر، وهو مذهب الرماني المعاصر له، إلا أنه لا يرتفعه ويرده بعد كلام طويل، ينسبه لأهل البلاغة بقوله: وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنما هو إشكال أحيل به إلى إهام<sup>(٣)</sup> .

وإذا كان الخطابي يرد ظاهراً في أول الأمر رؤية البلاغيين، ليس لأنه لا يرتفعها، وإنما لا تعجبه حججهم وأقوالهم في "بيان إعجاز القرآن"، وقد أدى به هذا إلى أن يحاول توضيح هذه الجوانب تفصيلاً في الرسالة، وإذا كان قد ذكر جوانب عدّة، فإننا نتفق منها ما يمكن أن يمثل معايير لصيحة ترايا: الاختلاف والارتباط، التاليف والنظم والتلازم والتشاكل، الانتظام والاتساق، الكلام المنظوم، النظم، حسن التاليف، سوء الانتظام، تفصيل الكلام وتقطيع الأبواب، حسن الترتيب، التكرار وتركه، النظم، كلام مبني ومؤلف من كلام العرب، الحذف، المزوف . على أن ثمة ملحوظاً أود التبيه عليه فيما أورده أصحاب الرسائل، يكاد يكون متفقاً في جوهره، خالقاً في عرضه، ولا أدل على ذلك ما أورده الرماني والخطابي في رسالتينهما .

(١) الخطابي: بيان إعجاز القرآن ص ٢٠.

(٢) السابق: ص ٢١.

(٣) السابق: ص ٢٢.

إن ما جاء عند "الرماني" مركزاً على المعايير البلاغية، يتمثل في تحليله وتفصيله لكل معيار منها ، عارضاً منه البداية لوجود الإعجاز، غير أن الخطابي لاحظاً مغايراً لما عليه الرماني، إذ بدأ بعرض معايير الإعجاز بشئ من التفصيل، آخرها عند الإحساس ببيان القرآن ورورعه، وأوهما عنده القول بـ"الصرف" التي جاء عرضها فيما مضى، ويختل ذلك آراء أهل البلاغة التي لا ترقى للخطابي، فراح يوضح جوانبها فيما يشبه تحليل الرماني، وإن كان الرماني قد أفرد لكل قسم من أقسام البلاغة جانبها، وقد جاءت تحليلاته في صيغة سؤال من مععرض على جوانب نصية قرآنية - حسب تصوّره - وفي عاقبة الأمر يجيب على هذه الأسئلة، ويوضح جوانب الإعجاز فيها في نواحٍ شتى وجوانب معاييره من القرآن الكريم، ونركز على العناصر التي يمكن أن يفيد منها الدرس المسائي المعاصر .

وما يتميز به تحليل الخطابي، أن كل العناصر تنصب بشكل مباشر على جوانب بلاغية بمحضها، مسمازاً عن الرماني في عدد من القضايا، فإذا كانت رؤية الرماني، تقيّم عليها الجوانب البلاغية؛ أعني تركيزه على الجانب البلياني من ذكره الاستعارة والبيان، والتبيه، فإننا واجدون مفارقة واضحة لهذا النهج الذي تميز به سمة تحليلية خاصة، ميّزته أو جعلته في مرتبة المؤذن بينه وبين الرماني، ذلك أن عناصر الخطابي، جاءت فيما تحن بصدره، أما تحليل الرماني، فجاء منها ٥٥% - حسب ما ورد قبلًا - وتنظم هذه الملاحظة مع ما ورد سابقاً .

### ٣/١ : معايير النص عند الجرجاني في: الرسالة الشافية :

تأتي هذه الرسالة في المرتبة الثالثة تاريخياً، وعلى الرغم من التأخير الزمني، إلا أنها - رعاية على ما سبّلت من عناصر - تعد أخنافاً بالعناصر الأقرب تارة، وللمطابقة تارة أخرى مع تلك المعايير التي توصل إليها علماء النص المعاصرون، ولعرض العناصر كالتالي : الديباجة الكربعة، السروق العجمي، السبك والتحت، الالتحام، كثرة الماء والرونق، النظم، اللفظ والنظام، لفظ ونظم يوازي نظمها .

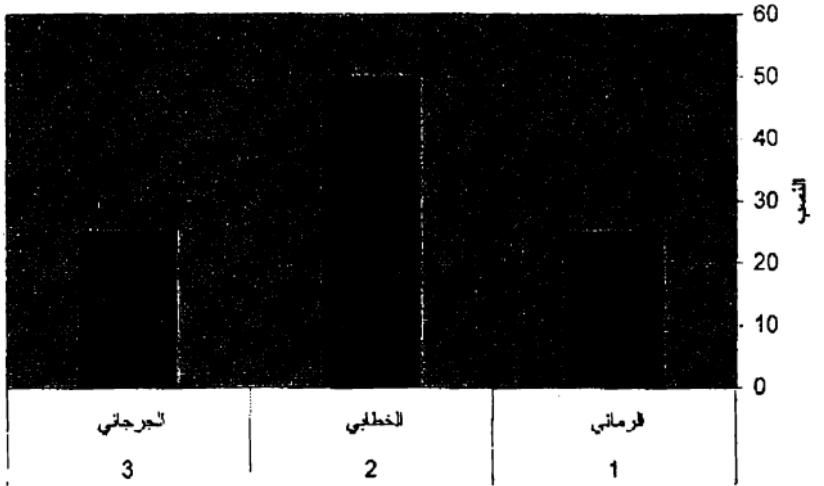
٤/١/٤ : مسائل عالقة :٤/١/٥ : جمع وتحليل :

تشير الملاحظات الأولى عندهم إلى التمايز في الناول والعرض، على الرغم من الشابه العام من ناحية المعاملة، وقد أفضى هذا التمايز إلى عدد من المعايير التي تميز بها كل واحد منهم  
فإذا كانت تحليلات عبد القاهر فيما يختص بالإعجاز القرآني في محاوره الإلادة من الجانبي الجمالي في تفسير النص، فإنه يرتكب على ذلك وجود عناصر نقدية، ميزة — فيما ميزة — عبد القاهر عن أصحاب الرسائل، وبالتالي وجدها عنده: الديباجة الكرونة، الرونق العجيب، كثرة الماء والرونق.

وإذا كانت المعايير الواردة عنده بلغت ثانية ، فإن ثلاثة منها تتعلق — بشكل أكبر — بالجانب النقدي/الجمالي، ومن ثم تخرج (٣) ثلاثة عناصر، مما هو نصي بشكل مباشر، من هنا فإن العناصر المتبقية عند الجرجاني تظل ٦٢,٥٪ مما هو وارد له من معايير في "الرسالة" ، وبالتالي تخلص إلى نتيجة مؤداها أنه إذا كان ينطلق من جوانب نصية، بناء على النسبة السابقة، فإنه لم يغفل كلية الجانب النقدي/الجمالي، إلا أن الجانب اللغوي نال مساحة أكبر في مرحلة مبكرة. ويمكن القول إن جملة العناصر التي يمكن أن يفيد منها الدرس اللساني النصي ، والتي يمكن توظيفها على ما سيأتي في ما يلي من هذا البحث ، قد بلغت (٢٠) عشرين عنصراً ، على الرغم من المطابقة الفعلية بينهم في بعضها، فإن ثمة عدداً منها قد جاء غير مباشر .

العنوان	النوع	النوع	النوع	النوع	النوع
عدد العناصر / المعايير (٢٠)	%٤٥	٥	٥	١	الرماني
معياراً	%٥٥	١٠	٥	٢	الخطابي
	%٤٥			٣	الجرجاني

جدول رقم (٧) يوضح عدد تردد العناصر النصية عند ( أصحاب الرسائل )



رسم بياني رقم (8) يوضح النسب المئوية في الجدول رقم (7)

- ١- يشير الإحصاء إلى أن الرماني تساوى مع الجرجاني في هذه المعايير، على الرغم من التباين في السياق العام، ومن ناحية أخرى، فإن ثلاثة مطابقة أولى في تلك الكثرة الكلورية ، التي تترافق بها رسالة الخطابي، وما لها من أهمية ، وأي أهمية في هذا الجانب .<sup>١٩</sup>
- ٢- كما أن هناك ملاحظة أود الإشارة إليها ، تتمثل في المقارنة والتمايز بين الخطابي من جهة، والرماني والجرجي من من جهة ثانية، لا تنس ما نحن فيه مسأ ماشراً، ومن ثم استبعدت عند كل من الجرجاني والرماني على سواء، في حين يبقى عمل الخطابي - رسالته - ذو أهمية بالغة، وأي أهمية؟!، وستأتي إليه في حياته من البحث (بنظر: ٣/٣)، وإذا كانت المعايير عندهم (٢٠) عشرين معياراً، فإن هذا العدد، إنما يمثل العدد الإجمالي، ومن ثم فإننا نذكر موجزاً لها : السبك والتحت، الالتبام، النظم، اللنفظ والنظام، لفظ ونظم يسوازي نظمه، الالتفاف والارتباط، الانتظام والاتساق، الكلام المنظوم ،

التاليف والتشاكل، حسن التأليف، تفصيل الكلام، وتقسيم الأبواب، حسن الترتيب،  
العکرار، المخلف، الحروف، الإيجاز، التلازم، التجانس، حسن البيان، العواصيل.

### ٢/٤ : مسائل المطابقة: الرسائل :

تتمثل هذه المعايير بجملة ما ورد عند أصحاب الرسائل، غير أنه يمكن القول إن هناك  
قدراً من المطابقة بين هذه العناصر نوجزها كالتالي :



وبناءً عليه، فإن أحد عشر معياراً، يمثل نسبة ٥٥% من جملة العناصر عندهم، وهي  
نسبة تمثل تداخلاً فعلياً بين أصحاب البحث في الإعجاز (الرسائل)، بيد أن هذا التداخل، ليس  
على إطلاقه، إذ يمكن القول إن التداخل بين كل منهم، ليس كلاً واحداً، ويمكن أن يغفل له بما  
يللي :

- ١- ر      ← (خ + خ) و (ر + ر)
- ٢- خ      ← (ر + ر) و (ج + ج)
- ٣- ج      ← (ر + ر) و (خ + خ)

وخلص من ذلك بعدد من النتائج :

- ١- تشير الرموز السابقة إلى أن الخطاطي والمرجاني قد نقلا نقاً مباشراً عن الرمانى،  
ويستويان في عدد الكلمات العالى .

- ٢- يُتضح أن المطابقة بين الرماني والخطابي<sup>(١)</sup>، بناء على أنهما ينتميان إلى عصر واحد، كما يتضح أن الجرجاني نقل - كذلك - عن الخطابي بشكل مباشر وغير مباشر.
- ٣- نسخة من الجزئية الأخيرة أن الجرجاني أفاد من كل ما أورده الرماني من ناحية، والخطابي من جهة ثانية.
- ٤- رعما تشير المقاربة المنهجية بين كل من الرماني من جهة والخطابي من جهة أخرى إلى التقارب الفكري خاصة أن كليهما ينطلق من وجهة نظر بالاغية، مع المعايير بينهما في الإجراءات المنهجية.
- ٥- إذا كانت حصيلة المعايير بلغت (١٥) خمسة عشر معايير، فإن الثالث يظل واقعاً بلا ريب في دائرته عمل الخطابي، وبالتالي فإن إضافته يصل إلى ٦٢٥٪ مما ورد من معايير، وتقاربها جيداً في ٧٥٪، مما جاء من عناصر، وتؤدي هذه الملاحظة الواردة في رقم (٥) إلى أن المعايير النصية التي وردت عند الخطابي متفردة : تفصيل الكلام وتقسيمه، التكرار، الحذف، الحروف، الكلام المنظوم، هذه العناصر الباقية تمثل الرماني والجهري، وما دون ذلك من المعايير الباقية تظل فيما بينها علاقات مشابكة ومتعرجة، وإن لم تكون متحدة .

## ٢/٣ : معايير النص عند أصحاب المؤلفات :

لوطينة :

حظي الإعجاز القرآني لما له من أهمية بمؤلفات عظيمة النفع، وتشير المصادر التاريخية وأحوالات الباحثين في هذا المجال إلى عدد غير قليل وكامل غير منقوص، من ذلك ما جاء عند محقق كتاب "إعجاز القرآن" للباقلي تحت : أشهر من كتبوا في الإعجاز القرآني "إعجاز

(١) على الرغم مما يمكن أن يلاحظ بشكل عام على المطابقة بين الرماني والخطابي، إلا أن تمايزاً فالملخص في أن الخطابي لم يقل كما قال الرماني بأن بلاغة القرآن تقتصر على النوع (البلاغي الرصين الجزيل)، بل ذهب إلى أنها أخذت حصة من كل نوع من الأنواع الثلاثة، فكان من امتراج تلك الأنماط شطط جديد بين صفيق المخامة لتنبع عن الجزالة والمدورة وعن السهولة، وهو صفتان كالتصادفين. د. إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب ص ٣٣٥.

القرآن" لأبي عبيدة (ت ٢٠٨ هـ)، ونظم القرآن للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، إعجاز القرآن في نظمه وتلمسه للواسطي (ت ٣٢٠ هـ)، ونظم القرآن لابن الإخشيد وابن داورد (ت ٣١٦ هـ)، وإعجاز القرآن للرماني (ت ٣٨٣ هـ)، وإعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) وبعد الباقلاني جاء الجرجاني بدراساته الفذة، وقد اختصرت من عدد من الباحثين كالرازي في "الإعجاز في دراسة الإعجاز" (ت ٦٠٦ هـ)، حتى الزملکاني (ت ٦٥١ هـ) : الجيد في إعجاز القرآن الجيد، والرافعي (ت ٩٣٧ م) : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .

وسيدو بوضوح القاسم المشترك الذي يجمع بينها، وهي المخولة الدائبة لبيان أوجه الإعجاز، ومرتكزات متابنته، مما أدى بما إلى التباين حول العنوان، أو التمايز في اختياره، فهذه الدراسات جاءت تحت عنوانين لا ثالث لهما، إعجاز القرآن، ونظم القرآن، وهي تشتهر حول الكشف عن الإعجاز القرآني، ويمثل هذا ملحوظاً عاماً .

غير أن الذي يمكن أن نستظهره من المواتز بين هذين العنوانين، أن الإعجاز القرآني، إنما يبحث في مجالات متعددة ومتباينة كامنة فيه، والعنوان بهذه الصيغة شامل جامع عام، يتضمن تحفه عدد من قضايا الإعجاز .

وتأسساً على ذلك، يحدّد العنوان الآخر: نظم القرآن، الذي يدل بوضوح على اهتمال الأساسي لبحث قضية "الإعجاز"؛ وأن البحث في هذه القضية، إنما هو بحث باللغوي/نحووي، منه المنطلق وإليه المتأت، وقتل هذه علامة ماتوز بين العنوانين، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا التمايز لا يلقي بشكل أو بأخر أواصر القربي/العلاقات التي تجمع بينها .

ولما كانت الدراسات/المؤلفات السابقة غير متوفرة لدى الباحث، فإن الاكتفاء بالأساسية منها (بنظر: ١/٦) من البحث، ربما يتضمن على التصور العام لما يمكن أن يكون تصوراً لـ"نحو النص" العربي .

إن هذه المؤلفات يمكن أن تشتمل على معايير نصية وغيرها، وإننا مدونون ما ينتهي إلى هذا الجانب وزمبون ما ليس داخلاً فيه، وتعد هذه منهجهية مختلفة لما جاء استعماله في "الرسائل"، ذلك أن معاييرها مقارنة بما هو وارد في هذه المؤلفات قليلاً، وبالتالي فإن إدراج المعايير الموجودة "في الرسائل" لا يغفل عيناً، ومن هنا جاءت مثل هذه المخالفة المنهجية .

### ١/٢/٣ : معايير النص عند الباقلاني في : إعجاز القرآن<sup>(١)</sup>

جاءت إشارة الباقلاني منذ البداية مر كثرة على جوانب من إعجاز القرآن، كتوبيخ أن معجزة النبي (صلى الله عليه وسلم) القرآن الكريم، ثم التدليل على أن القرآن معجز، ويؤدي به الأمر إلى حلقة وجوه في إعجاز القرآن، وإذا كانت هذه الوجوه جاءت موجزة، فإنه يوضح وبفصل بشكل أوسع كـ: نفي الشعر، والمسجع، واليديع عن القرآن، وهلم جرا. وينبغي أن نقرر هنا أن الباقلاني قد أفاد من عدد من الباحثين قبله ، كابن قتيبة، والأمدي والخطاطي<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ هنا بشكل عام، أن عناصر كثيرة عند الباقلاني تنتهي إلى النقد الأدبي، وهذا ما حدا بمحقق الكتاب أن يفرد جزءاً من مقدمة التي صدر بها الكتاب عن آرائه في النقد الأدبي<sup>(٣)</sup>، وهي تحتاج من يعمق النظر فيها وإلا مستظهرون هذه العناصر عنده كال التالي :

البسالة والغلو، الإيسال، التو شمع، المضارعة، العكافو، باب التعطف، السلب والإيجاب، الإشارة، بديع السنطم، عجيب التأليف، بديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، حسن النظم، والمرصف، الفصل والوصل، والعلو، العكس والتبدل والتزول، والتقريب والتبعيد، الضم والجمع، جودة السنطم، الكتابة والصريض، وحسن الوصف، المخالف والمختلف، والتباين والمتناسب، والمتناقو في الإفراط إلى حد الأحاد، المغاللة، المطابقة، التجنيس، الموارنة، المساواة، رد العجز على الصدر، صحة التقسيم، صحة التفسير، التكميل والتحريم؛ الترصيع، الترصيع مع التجنيس، الالتفات، العكرار، التذليل، الاستطراد، الاستثناء، الاستهارة، التشبيه .

تلخص هو ما استظهروناه من معايير عند الباقلاني فيما يتعلق بما نطلق عليه عناصر نصية، وليس من قبيل الصدفة القول إن الدراسات التي قامت حول "إعجاز القرآن" تبدو لنا دراسات

(١) إذا كان الباقلاني له عدد من المؤلفات الأخرى في هذا الباب، كالمهيد والانتصار، فالمهيد كتاب في العقيدة بوجه عسام، يدخل إعجاز القرآن فصلاً فيه، "الانتصار" عناصر بعلوم القرآن يبحث تاريشه ونقشه وسورة... إلخ. أما "إعجاز القرآن" فهو دراسة تامة شاملة للمسألة. د. محمد زغلول سلام : أن القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري من ٢٦٨ وآراء الباقلاني في إعجاز القرآن ، هي الدراسة الناضجة لما جاء في هذه الكتب. ص ٢٧٩. ومن هنا كان الاقتصار عليه .

(٢) د. إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب من ٣٣٩.

(٣) ينظر حول تأكيد هذه الفكرة عند د. إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب من ٣٤٦.

نصية، فيما اصطلح عليه حديثاً، وهي كذلك — إن شاء الله — ويؤكد هذه النظرة ما تتمخض عنه من ملاحظة متتلة فيما بعد.

### ٢/٢ : معايير النص عند الجرجاني في : دلائل الإعجاز :

إذا كانت "الرسالة الشافية" للجرجاني، قد احوت على عناصر أساسية في كثير من جوانبها في "نحو النص" فإني على يقين ليس عليه ظل لريب، في أنها تمثل البذور الأولى لكتاب "دلائل الإعجاز"، ويؤكد هذه الرؤية بشكل أولى أن المعايير في "الرسالة الشافية" غنة، تتكرر بشكل أكثر تفصيلاً هنا في "الدلائل" بيد أنها هنا يمكن أن نوجزها في : السجع / المقابلة / التجريد، الجناس (التجنيس)، المزاوجة، النظم، تعلق الاسم، الكلم، تعلق الحرف، تعلق بمجموع الجملة، تعلق حرف النفي والاسطهان والشرط والجزاء، وما يدخل عليه التقديم والتأخير، الخذف، القصل والوصل، اللفظ والنظم، القصر والاختصاص، الموازنة .

هذا هو موجز العناصر التي وردت عنده، والذي يمكن قوله إنما على الرغم من قلتها، إلا أن كل واحد منها قابل لأن يفرغ عنه عدد من العناصر التي تتعمى إليه أو تندرج تحته، وهذا الملحوظ يميز الجرجاني عن الباقلين، الذي جاءت تفسيراته في موضع محددة .

وتؤدي هذه الرؤية إلى التمييز بين عملهما في التحليل والعرض من جهة، وتعكس بشكل مؤكّد ذلك التغير في التحليل والرؤية التي جسدها الجرجاني بشكل لافت للنظر في تاريخ البلاغة من جهة ثانية، وفصل القول في تلك المعايير عند الجرجاني إن "النظم" مدار الإعجاز، وعليه تدور أحداث الكتاب بشكل لا يدع مجالاً لريب .

### ٣/٢ : معايير النص عند الجرجاني في : أسرار البلاغة :

ما تشير الإشارة إليه أن "أسرار البلاغة" يضم مجموعة من العناصر التي يمكن توظيفها في عقد الصلة بين الدراسات القرائية والمساليط النصية بوجه خاص، وربما يمسأله متسائل، لماذا أسرار البلاغة؟، وإنما يستقي من الاتجاهات القرائية، ما يتناول الإعجاز القرآني، لما يلي :

- ١— أن عبد القاهر لم يكن يفصل بين ما غُرف بعد بـ"علم البديع" ، ومن ثم اشتمل "أسرار البلاغة" على عناصر نصية، أراها غاية في الألامية، يمكن أن توظف التوظيف الأمثل في التحليل النصي والإلادة منها .

أن دراسات عبد القاهر لا يمكن أن تفصل إحداثها عن الأخرى، وبالتالي جاءت دراساته، لتكون نظرية في البلاغة العربية، فيما عُرف بـ“نظريّة النظم”， ومن هنا فإن إدراج “الأسرار” ضمن هذا المجال ليس فيه كبير إيجاد على الاتجاه في الإعجاز القرآني، ويؤدي هذا التضور إلى محاولة حصر المعايير التي تهديد الجانب النصي: الجناس، السجع<sup>(١)</sup>، الحسن والقبيح، حسن التاليف، حسن الكلام بالمعنى لا بالألفاظ . وعلى الرغم من قلة المعايير إلا أنها توضح جواب لدى الجرجاني ليست واردة في “الدلائل”， وهي موجودة عند أصحاب المؤلفات في الإعجاز، ومن ثم ينسى لنا إضافة إلى ما سبق أهمية العناية بهذا المؤلف لدى الجرجاني، على الرغم من مغایرة موضوعه العام، إلا أن هذا يؤكّد أننا نعتمد بعض المؤلفات التي لا تنتهي في عمومها إلى مجال الإعجاز، محاولين تقديم تفسير أوضح وأعمق لجوانب لسالية .

### ٤/٢/٤: معايير النص عند الرazi في نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز:

يشير مقدم الكتاب إلى أنه تلخيص لـ“الدلائل” مع كتب أخرى كـ“مفتاح العلوم” لأبي يعقوب السكاككي، والزمخنثري في “الكتشاف” وعلى الرّوّط من هذا التصرّيف، فإن الملاحظات العامة، تعكس الفروق بين طريقة العرض، التي تظهر الخلاف بين عقلية الرجلين، والذائات والمقاصد من وراء دراسات كلّ منها . وعلى الرغم من ذلك، نجد للرازي تعبيرات لسالية/نصية نعرضها فيما يلي: الدلالة النطقية، الجناس، رد العجز على الصدر، الحذف، تركيب الحروف، الدلالة الالتزامية، دلالات الألفاظ، السجع، الترصيع، الدلالات المعنوية، النظم، التقديم، التأخير، الفصل والوصل، العطف، الإيجاز .

وما يمكن أن يلاحظ على تلك العناصر التي وردت عند الرazi، أنها تعكس تلك التي أوردتها الجرجاني، وغداها برزقه هو، حتى أننا لا يمكننا القول مباشرة بأنه خلص آراء الشيخ

(١) يستنق هذه الاستخلاص مع ما ذهب إليه د. العمرى من أن اهتمام عبد القاهر الجرجانى بعلم البدىع كان محدوداً، بينما أراه يرى أن الجرجانى من خلال هذين القرين قدم منهجاً فذاً، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز من ٢٤٩.

تلخيصاً مباشراً، ويبدى ذلك بوضوح في رقم (٧/٤ من البحث) التي تظهر التفارق في معاجلة الرجلين .

والذى يجلى بوضوح - أيضاً - أن الرازى عكس في "الإيجاز" معايير بلاغية صرفة، وردت عند الشيخ في مواضع أخرى كالتшибىء، ومن هنا يمكن أن نرى خلافاً لما ذهب إليه مقدم كتاب "الإيجاز" أنه تلخيص لأراء الجرجانى في "الدلائل"، وإنما هو الإفادة وتقديره في إطار جديد، وطبعيمه بما رأى الله ورؤيه الفلسفية من ناحية، ومن جهة أخرى تقدم فكر الجرجانى بشكل عام ويزكى ذلك أن الرازى عكس ذلك في "الإيجاز" حينما عرض في القاعدة الرابعة (الاستعارة) جانبًا لما أورده الجرجانى في "الأسرار" بشكل موسع، وفي "الدلائل" بشكل موجز.

ورى ما توضح هذه الرؤية، أن الرازى يحاول أن يقدم رؤى الجرجانى في إطار جديد، إلا أن المؤشر بينهما تظل باقية، وتحقق ذلك من خلال أن الرازى، لا يرى النظم وحده، هو الذي عليه المولى الأساسى في قضية الإعجاز، وبالتالي يمكن التفارق والتناقض فى أن الرازى يحمل الإعجاز إلى عدد من القواعد التي تتعلق من أقل وحدة في بناء الكلمات - حسب تعبيره - إلى أكبر وحدة، وهو النظم، وجوانب أخرى كالبيان .

وعلى الرغم من هذه المواتى، فإن المقاربات تظل باقية ، تمثل في أن المعايير النصية لديها تتمثل عناصر أساسية (ينظر: ٢/٨ من البحث) تتفرع عنها معايير أخرى ثالوية، وبالتالي فإن هذه التقسيمات عندما تبدو في هذه القسمات بوضوح .

### ٣/٢/٥: معايير النص عند الزملكاوى في: الجيد في إعجاز القرآن الجديد :

وما يمكن أن نغير عليه عند الزملكاوى هو الركن الثاني: مراعاة أحوال النايف. والركن الثالث: معرفة أحوال اللفظ، وهذا يمكن أن تظهره كالتالى : تقديم الاسم على الفعل، التأخير، خبر المستدأ، الإيجاز، التأكيد، الحذف، الفصل والموصل، دلالة الكلام، التجيس، الترصيع، الالتحاد، اللف والنشر، الطسir، رد العجز على الصدر، المساواة، العكس والتبدل، الرجوع، الاستطراد، الاستهلال؛ التخلص، الترديد، التسميم، التبيه. وعلى الرغم من أنه لم يلخص ما أورد الشيخ الجرجانى، إلا أنها لا تعدد المقاربات المائلة التي تأتى في موضعها من البحث (ينظر: رقم (٣) من جملة النتائج المستخلصة من ملحوظات: ٦، ٧ من البحث) .

### ٦/٣: معايير النص عند السيوطي في: معرك الأقران في إعجاز القرآن:

تعيد قسمات المفارقة في هذا الكتاب، أنه بداية من الجرجاني في مؤلفاته، التي مثلت فسحةً مبكرةً في الدراسات البلاغية بعامة، وفي الإعجاز القرآني بخاصة، جاء الماء على رغباته، ولقد كل منهم لسلسة الجرجاني في إطار مختلف، حق الرملة كائي، إلا أنها ملاحظون هنا عند السيوطي سلسلةً معايرةً في طريقة العرض، وإن جمعهم في العاقبة غاية واحدة، يمكن أن توسع من رصيده؛ لأن قضية الإعجاز – في نظره – متسلعةً شعراً متعلقةً ومداخلةً، عرض لها في إطار منهجية مركزية ومحدة.

على أن ما أريد الإشارة إليه، تلك النظرة المعاكفة، التي أراها فاحصةً، وهي تلك التي ذهب إليها السيوطي، ويفضي بها هذا الرأي إلى اعتبار هذا الكتاب أجرأ محاولة مخلصة في هذا المجال، وللت وجهتها شطر الإعجاز القرآني الخالص. وجعلته مجالاً خصباً لها، ولم يحاول أن يقدم مادة شعرية تحدى للإطار، وتوضحها للمنهج، وسوف أقف عنده على جملة من المعايير كال التالي :

حسن التأليف، الشام الكلام، مراعاة المناسبة، الارتباط، التقدم، العموم، الخصوص، الإجمال، التبيين، التفسير، الإيجاز، الإيهام، الحصر، الاختصاص، التقدم، التأخير، النظم، الفوائل، المسجع، التصدير، العروض، المستخلص، حسن المطلب، براعة الاستهلال، الفتاح السور وخواطئها، ترتيب السور، الحذف، التأكيد، العكرير، الإعادة، التفصيل بعد الإجمال، الإيضاح بعد الإجمال، الزيادة بالخرف، الأحرف الرزالة، الاكتناص، التكميل، التدليل، التصميم، التعليل، المزاوجة، المبالغة، المشاكلة، حسن النسق، التقسيم، المطابقة، الفرضي، المقابلة، المواربة، المراجعة، الراءة، الإبداع، التسرب والتقطيس، القول بالملوجب، المسلم، الإستجال، الانتقال، المناقضة، المهمات، التخصيص والعرض، حرف تخصيص، إنكار، الإلصاق والتعدية، الاستعانة، السبيبة، المصباحة، التبصيص، الغاية، المقابلة، التشريك، الترتيب، المهملة، الاستحقاق، الاختصاص، الملك .

ويشير استقراء المعايير التي أوردنا بعضها أن "المعرك" يضم عدداً من التيارات القرآنية المختلفة، ومن ثم ينوي عناصر: فقهية، لغوية، نحوية، وغو وظيفي/دلالي وتفسرية، وبناء على

ذلك يمكن القول إنه موسوعة بحثية، يضم عدداً من العلوم التي رأى أن تآزرها وتكلفتها، إنما يقلم في النهاية توضيحاً وكشفاً للإعجاز القرآن ي.

وعدل "المعرك" تحولاً مهماً في كيفية معالجة الإعجاز والنظر والبحث فيه، فإذا كانت دراسات أصحاب الرسائل، تظل بلوراً أولى، فإن المجرجاني قد أعطى لها كياناً خاصاً، ونظر إليها نظرة مختلفة، عما عليه الحال عند سابقه، وهكذا يؤدي هذا التصور إلى أنه يمكن أن تظل المراحل التي مر بها البحث في الإعجاز كالتالي :

#### المرحلة الأولى :

جاءت هذه الدراسات فيما تشبه البنور الأولى ولبناً حسناً استله المخالفون وطوروه فيما مثل معاير محددة، وتظل الرسائل هذه الدراسات التي قامت حول القرآن (ينظر: ١/٣) .

#### المرحلة الثانية :

هذه المرحلة تظل البداية الفعلية لstalk المعاير، إذ أخذت تتحدد ملامحها وتشكل في معان ودلائل كانت غالبة عند أصحاب الرسائل، ويغير "نهاية الإيجاز" للوازي عن هذه المرحلة بشكل دقيق .

#### المرحلة الثالثة :

أخذت تشكل المعاير لديه بحيث صارت منهجاً لهرياً وبلاهياً وأضيق المعنى، وأخذ يضيف كل لاحق إلى السابق ليزداد التحليل والكشف عن إعجاز القرآن عمقاً ووعياً باسراره، وهكذا بلغت هذه المرحلة قمة نضجها عند الزملكاوي في "اطيبي في إعجاز القرآن المجيد" .

#### المرحلة الرابعة :

وتعود هذه المرحلة خلاصة ما أورده السابقون بشكل عام، وبناء عليه، تجد عندهم معاير مكرزة ، تعطي معنى واحداً (ينظر: ٧/٥ من هذا البحث) ، ومن ثم فالقليل لم يكن بمقدمة وتحفص، يقدر ما كان نقلآً لآراء السابقين، وهذا ما حدا بالسيوطى في كتابه "المعرك" ، الذي عزل هذه المرحلة خزى قليل .

### المرحلة الخامسة :

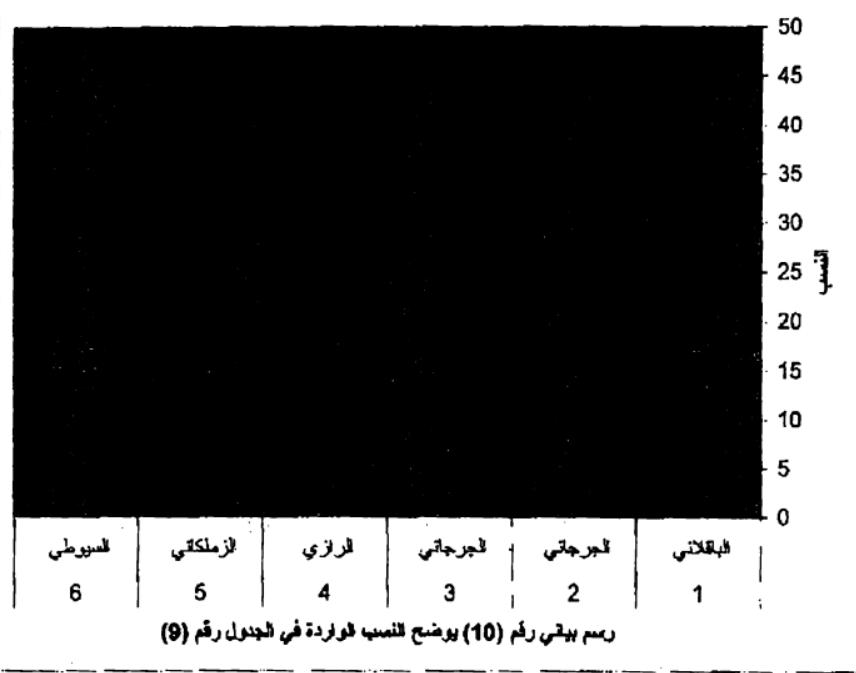
لا يعتمد "مباحث البديع" الكشف عن الإعجاز، وإنما ينطلق من مذهب نحوي خالص، وهكذا نجد مصطلح "البديع" لا يرد عندهم إلا ملأه، وعلى رأس هذا الاتجاه عبد القاهر الجرجاني في "الدلائل" و "الأسرار" وعند الرازبي في "نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز"، غير أن السكاكي شارح "الدلائل" ينبعق فجأةً مفارقًا للجرجاني والرازبي في إقامة الجبال للبديع ودوره في سبك النص وحركته، وهو ما لم تلمحه في عمل الرجلين، ومن هنا فإن دوره ليس دور الخلية والتزيين، وإنما أعمق في بناء النص وتماسك أجزائه.

### ٧/٢/٣ : جمع وتخلص :

إذا كانت الملحوظات العامة ترى أن الجرجاني وسع وطور المنهجية البحثية التي ظهرت جلية في عناصره، وجاء الحاليون وتفرقوا شعباً وقبائل، لاختلاف الرؤى والمذاهب، إلا أن السيوطي يمثل مرحلة مختلفة لما قام عليه بعده في الإعجاز من دعائم أقوى ورؤية أشمل مما عليه السابقون، وقد أدى هم إلى التغاير بين تلك المراحل في استعمال المعايير.

البلاقلي	الرازي	الزملاكي	السيوطني	الرازبي	الجرجاني	الآباء	الكلبي	الدلالل	نهاية الإعجاز	المجيد في القرآن	معترك الأقران	إعجاز القرآن	المجموع
١	٢	٣	٤	٥	٦			%٧	%٩,٥	%١٥,٢	%٤٧,٥	%١٧,٧	(١٥٨)
								١١	١٥	٢٤	٧٥	٢٨	١٠٠
								٥					

جدول رقم (٩) يمثل إجمالي المعايير التي وردت عند أصحاب المؤلفات



#### ملحوظات : (٥) :

- ١- مثل "المعرك" أعلى قيمة بالنسبة لعناصر النسبة عند أصحاب المؤلفات، فيما يقارب .%٤٧,٥ جاءت عناصر الهمجي تقل تقريباً %١٥,٢ جعلته في المرتبة الثالثة .
- ٢- مثلت عناصر الباقلي أعلى نسبة %١٧,٧ وهي نسبة جعلته في المرتبة الثانية .
- ٣- أما الرازي فقد جاء في المرتبة الرابعة بنسبة .%٩,٥ .
- ٤- تشير الجداول والنسب إلى أن الجرجاني في كتابيه ألمما حصل على أقل نسبة في "الدلائل" %٧,٥ و "الأسرار" %٣,٢ .
- ٥- عناصر الباقلي تقل %١٧,٧ بزيادة ١٪، مما فسّر "الدلائل" للجرجاني و "نهاية الإيجاز" للرازي .

—٧ مثلت العناصر عند السيوطى في "المعرك" زيادة عما ورد عند الباقلاوى والزملاكى في "الجيد في القرآن" والجرجاجى في "الأسرار" والرازى في "نهاية الإيجاز" ١٩٪ .

وإذا كانت العناصر الإيجازية في الجدول (٩) تثل (١٥٨) عنصراً، فإنه يحتاج إلى غربلة، إذ ثمة عناصر تكرر ورودها عند بعضهم، ومن هنا فإننا - فيما يلى - لخاول استخلاص المعايير وهى قتل معايير المرحلتين، لمعرفة التداخل والتشابك المعرفى بين الباحثين.

### ٨/٢/٣: مسائل الاتفاق والاختلاف بين الباحثين في الإعجاز القرآني من

#### أصحاب المؤلفات

إذا كان كتاب الباقلاوى وعبد الجبار هما أقدم مؤلفين، فإن هذا يؤدي إلى اعتبارهما المركز، الذي سنشير إليه باعتبارهما الأصل، ومن هنا نرى كيناً أو حواراً في بعض جوابها، وهذه الأخيرة خاصة بالباقلاوى، خلافاً للسيوطى المتأخر، وهذه ملاحظة أولى .

نخاول أن نرصد المعايير التي تلاقى فيها أصحاب المؤلفات على هذا النحو: بديع النظم، عجيب التأليف، حسن النظم، بديع التأليف والرصف، الفصل والوصل، القسم والجمع، جودة النظم وحسن الوصف، المناسبة، المماثلة، المطابقة، التجانس، المقابلة، الموازنة، المساواة، رد الأعجاز على الصدور، التكميل والتعميم، الترصيع، الترصيع والتتجانس، التفسير، الآلغات، الستكوار، السنطم، التقديم والتاخر، القصر والاختصاص، الحذف، السجع، الإيجاز، الرجوع، الاستهلال، العخلان، التعميم .

وإذا كانت هذه ملاحظة عامة، فإن المطابقة فيما بينهم ليست سواء، من حيث تلاقاهم مع بعضهم، وبالتالي نشير فيما يلى إلى جملة بيان في المطالب التالية :

#### ١/٨/٢/٣ : المطابقة بين الباقلاوى والجرجاجى :

جاءت إشارة الباقلاوى إلى جملة من العناصر الأساسية التي استمررها الجرجاجى في تفسيره وتقدم رؤى أرحب للبنص القرآنى، ومن ثم فقد تقيا فيما يلى : بديع التأليف، الفصل والوصل، الموازنة، التجانس، ويعكس التلاقي بينهما عدداً من النتائج : -

١ - التقيا في ٩,١٪ .

- ٢ إذا كان الباقلاني رائداً، على الرغم من كونه ليس المبتداً، فلأنما لم يلتقطها في نسبة ٩٦٩٪، وهي نسبة كبيرة بشكل لافت للنظر.
- ٣ إن المخالفة بين الجرجاجي والباقلاني، إنما توضح مدى الإسهام في دعم وترسيخ هذا المبدأ في الثقافة العربية والإسلامية.

### ٢/٨/٢/٣ : المطابقة بين الباقلاني والرازي :

- ثمة عدد من المعايير التي الفقى فيها الرجالان مثل : الفصل والوصل، القسم والجمع، رد العجز على الصدر، التربيع، التجييس، النظم، وتخلص إلى ما يلي :
- ١ أن قيمة ما نقله الرازي عن الباقلاني يمثل ١٣,٦٪.
  - ٢ تعكس الملاحظة الواردة في رقم (١) محاربة الرازي الدائمة من الإسهام الفعلي في هذا المجال.
  - ٣ أن الرازي قدم مشاركة فعلية، خاصة أن ما نقله عن الباقلاني يمثل ١٣,٦٪، وبالتالي فإن إسهامه العام يمثل ٤,٤٪، وربما تظهر الملاحظات عند مقارنة الرازي بصدق هذه الرؤية وتوكيدها بشكل دقيق.
- غير أن هذا يعني أن يؤخذ في إطاره العام بما سبقه، خاصة أن الرازي، إنما جاء عارضاً كتبه بوجه عام، وبالتالي فإن مسائل المطابقة بينه وبين الجرجاجي ربما تعكس شيئاً من هذا في المطلب التالي.

### ٣/٨/٢/٣ : المطابقة بين الرازي والجرجاجي :

- جاءت معايير المطابقة عندهما في عدد قليل كـ: النظم، التلخيص، الأختير، المذكى، السجع. وعلى الرغم من أن عمل الرازي يتطلق من مؤلف الجرجاجي، إلا أنها ملاحظون :
- ١ يتطابق الرجالان فيما يمثل ٣٣,٣٪.
  - ٢ ما أصله الرازي بعيداً عن الجرجاجي يمثل ٦,٦٪، ويؤكد هذه الملاحظة ما ذهبت إليه (ينظر: ٢/٨/٢ من البحث) أن عمل الرازي مشروع يحشى قائم بذاته، يعني أن يسكن مسكنه في الدرس النصي؛ لاستخلاص النتائج التي يفيد منها الدرس النصي بعامة.

ويتبين أن ندرك إذا كان الرازي قد نقل عن الجرجاني ما ورد في (٣/٨/٢)، فإن : الترصيع، الفصل والوصل، رد العجز على الصدر، قد أفاد منه الجرجاني ما هو وارد عند الباقلاني، وبالتالي فإن "الترصيع" الذي نقله الرازي، إنما هو الباقلاني، ويُمثل هذا ملحوظاً مهماً، تناقضه اللاحقون عن السابقين دون العناصر الأخرى في هذا المجال .

وإذا كان الرازي والزملكاني يتميّزان إلى لفترة تاريخية واحدة، فإن هذه العناصر تمكّس هذه الرؤية وتوضّح جوانبها، ومن ثم تجد كليهما ينفلان عن الباقلاني والجرجاني، فينفلان عن الباقلاني: الترصيع، رد العجز على الصدر، التجينس، في حين ينفلز الزملکاني عن الباقلاني منفرداً دون غيره: "الالتفات" الذي لم يرد له ذكر عند كليهما .

ويُمثل هذا تصوراً عاماً، على الرغم من التداخل المعرفي بينهم، إلا أن ذلك لا يعني الإسهام الفعلي، فإن هذه المقدمة توضح الإسهام الحقيقي لكل منهم على السواء، فعلى الرغم من جوانب الإلادة من السابقين، فإن مقومات الإضافة لكل منهم تظل واضحة، وتدل الملاحظة الواردة في جوانب كثيرة منها (يُنظر: ٣/٨/٣ من البحث) على مدى تحقق هذا الفرض النظري، الذي يبلو غير حقيقي .

وبناءً على ذلك، فإن إلادة الزملکاني من الباقلاني ثابتة له بيقين بما لا يتجاوز ٥٣٧,٥٪ ورد عنه: الفصل والوصل، المساواة، رد العجز على الصدر، التفسير، التتميم، الترصيع، التجينس، الالتفات .

أما ما جاء عند الزملکاني مما هو وارد عند الجرجاني، في Mishal, ٥١٢,٥٪، أخذته عنه مما هو وارد عنده، في حين أفاد الزملکاني من الرازي ٥٦,٥٪ في "الإيجاز" . وتكشف أول الملاحظات ما يمكن أن يُمثله مما أفاده الزملکاني، إنما يبلغت حوالي ٥٥٦,٥٪ مما هو وارد عنده مما يُعد دراسة نصياً خالصاً من منظور الباحثين في الإيجاز .

وترجع هذه الملاحظة إنما ظاهرياً تسي إلى، غير إنما ترجع ميزاً له وتُنقل حسانته، إذ تُرى من خلالها النسبة المتبقية ٤٣,٥٪، هي إسهامه الحقيقي، وهي نسبة جديرة باللاحظة، وتحتاج إلى تدقيق .

وعلى الرغم من الملاحظات التي خلصنا إليها، أن اللاحقين بعد عبد القاهر، لم يجدوا تغييراً يذكر، إلا أن مقارنة النصوص تبين خلافاً لذلك، إذ تصبح شخصية كل واحد منهم ولو بشكل متفاوت، إذ الإفادة لا تعني النقل، بل مما تعني محاولة تحدث فكر ما هو سابق والإفادة فيما هو بصدده.

وهكذا فإن ثمة عناصر أساسية وفاعلة، وجدت مكانها عند الباحثين، يمكن أن نطلق عليها العناصر الأساسية، في مقابل العناصر الثانوية.

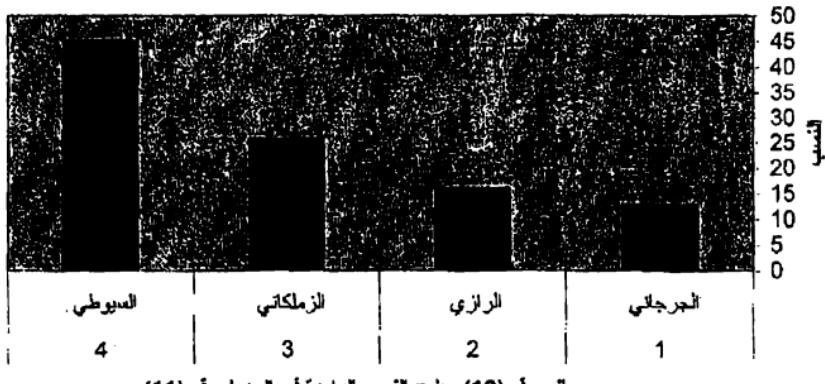
وتمثل العناصر الأساسية عدد كل من الجرجاني والرازي والزمكاني والسيوطى في التجيس، التلضم، الخذف، في حين يتلاقى الباقلانى والجرجاني والرازي والزمكاني في : الفصل والوصل، التجيس. أما مسائل المطابقة عن كل من الباقلانى والرازي والزمكاني فيمثلها "رد العجز على الصدر".

#### ٤/٢/٣ : الباقلانى واللاحقون في الإعجاز القرآنى :

تشير الملاحظات إلى أن الباقلانى تلacci مع بعض الباحثين في الإعجاز (بنظر: ٢/٨: ١، ٢) من البحث، غير أنها يمكن أن نجمل العناصر المهمة في الجدول التالي:

الباقلانى	السيوطى	الزمكاني	الرازي	الجرجاني	المجموع الكلى (٣)	معياراً
	٤			١	%١٢,٩	المجموع الكلى (٣)
	٥			٢	%١٩,١	
	٨			٣	%٢٥,٨	
	١٤			٤	%٤٥,٢	

جدول رقم (١١) يوضح عدد العناصر التي شارك فيها الباحثون في الإعجاز



رسم بياني رقم (١٢) يوضح النسب الواردة في الجدول رقم (١١)

#### ملاحظات : (٦) :

- ١ يشير الجدول (١١) والخطيط (١٢) إلى أن تأثير الباقلاني بدأ ضعيفاً، غير أنه أخذ يقوى حتى بلغ قيمته عند السيويطي في "المعرك".
- ٢ جاءت إلادة الجرجاني من الباقلاني أقل الخالفين  $12,9\%$ .
- ٣ تستخرج من خلال الجدول (١١) أن نسبة الراري والزملكاوي مجتمعة  $41,9\%$ ، تقل عن النسبة التي نقلها السيويطي  $53,3\%$ .
- ٤ توضح النسب الواردة في الجدول (١١) أن العناصر التي أفاد منها الزملكاوي ضعف التي وردت عند الجرجاني.
- ٥ تستعين من الملاحظة الواردة في رقم (١) من هذه الملاحظات، أن النسب عند الجرجاني والراري تزيد قليلاً ( $3,2\%$ ) عما ورد عند الرملكاوي منفرداً، وهذه الملاحظة توكل للخطاب السابق (١).
- ٦ ويؤكد - أيضاً - الخط الصاعد للإفادة من تلك المعايير عند الباقلاني، أن نسبة المعايير عند الرملكاوي مقارنة بما أفاده السيويطي من الباقلاني، أنها تزيد عن النصف

%٤٥,٢ للسيوطى، وهي فكرة يمكن أن تقارن أيضاً في ضوء مقارنة الزملكاوى مع سابقه - الجرجانى والرازى - وبالتالي يمثل الزملكاوى محوراً أساسياً هنا .

### ٥/٨/٣ : الجرجانى واللاحقون :

يقارن هذا المطلب معايير الجرجانى مع مخالفيه، وبالتالي تكون المقارنة مقصورة على كل من الرازى والزملكاوى والسيوطى في الجدول التالي :

الراجح	الزملكاوى	الرازى	السيوطى	الكلى	المجموع
١	٢	٣	٥	٥	%٤٩,٢
٢	٣	٤	٧	٧	%٤١,٢
٣	٤	٥	٥	٥	%٤٩,٢
٤	٥	٦	٧	٧	%٤٥,٢
٥	٦	٧	٧	٧	%٤٥,٢
٦	٧	٨	٨	٨	%٤٥,٢

جدول توضيحي (١٣) بالنسبة التي تلقي فيها الجرجانى مع الباحثين في الإعجاز وعدد ترددتها



رسم بياني رقم (١٤) يوضح النسبة المئوية في الجدول رقم (١٣)

### ملحوظات (٧) :

- ١- شارك الرازى الجرجانى في عدد من المعايير(٧) سبعة، وبعد أعلى رقم، يمثل ٤١,٢٪.
- ٢- تساوى كل من الزملكاوى والسيوطى في المطابقة مع الجرجانى، إلا أن هذه النسبة عندها تعكس واقعاً آخر، فإذا كانت المعايير عند السيوطى بلغت (٧٥) (ينظر: ٣/٢).
- ٣- من البحث) فإن هذه النسبة قليلة مقارنة مع ما ورد عند الزملكاوى، ومن هنا رأينا يشير إلى أن نسبة الزملكاوى في تلقيه مع الجرجانى نسبة كبيرة.
- يمكّن جدول (١٣) أن أصحاب المؤلفات في الإعجاز القرآنى قد قلل، وبالتالي فإن هذا ربما يعكس المفارقة بينهما من حيث الجموع الكلية للمعايير في الجدول (١١) والواردة في الجدول (١٣)، إذ جاءت في الأخيرة أقل إلى النصف، وهذا يعكس المفارقة في الجموع الكلية في الجدولين.
- ورعايا نبي هذه الملاحظة عند عقد صلة بين الزملكاوى والتأخرين، خاصة أن المفارقة تؤدي عند الزملكاوى إلى مقارنة معاييره بما ورد عند السيوطى، وبشكل الأمر عند السيوطى إلى الصفر، إذ هو الأخير زميّناً في مصادر هذه الدراسة، ومن ثم نفرض الطرف عن عقد مثل هذه الصلة. ويؤدي الملاحظان (ملحوظات: ٦,٧) إلى جملة من النتائج يمكن توضيحها كما يلي :
- ١- المعايير التي وردت عند الباقلانى، تناقلها الخالفون على اختلافهم، وعلى الرغم من ذلك بقيت أربعة منهم لم يتلقوا أحد، قتل ٣,٤٪، وبذلك يمثل هذا النقل أثمنة باللغة لهذا الكتاب في تاريخ الإعجاز.
- ٢- إذا كانت حصيلة فكر الرازى ٧,٢٦٪، فإن ما نقله يمثل ٣,٧٪، يمكن توزيعها على النحو التالي :
- أ- نقل الرازى عن الباقلانى : الفصل والوصل، رد العجز على الصدر، الترصيع، التجنس، خمسة (٥) معايير، قتل ٥,٣٧,٥٪.
- ب- نقل عن الجرجانى : التقديم والتأخير، الحذف، المسجع، النظم، قتل ٢,٥٪، ١,٣٪، وبالناتي فإن جملة ما نقله يمثل ٧,٨٪.

- ج - يؤدي ما ورد في (أ، ب) أن ما أضافه الرازي يمثل ٢٥٪، بما يعادل (٥) خمسة معايير، وهي : تركيب الحروف، الدلالة الالتزامية، دلالات الحروف، الدلالة النطقية، الإيجاز .
- ـ ٣ قائم الزملكا尼 عدداً من العناصر التي بلغت (٢٤)، ليست كلها من عنده، وإنما حاول أن يكون له إسهامه زيادة على السابقين عليه :
- ـ آفاد ما أورده الياقلاني في إعجازه (٨) ثانية معايير، يمثل ٣٤,٨٪ .
- ب - يمثل ما نقله عن الجرجاني في مؤلفاته (المعتمدة هنا) (٦) ستة معايير، قتل ٢٦,١٪.
- ـ ج - آفاد من الرازي معايير، يمثلان ٨,٧٪ .
- ـ د - بناء على ما ورد أعلاه، فإن إضافة الزملكاني سبعة (٧) معايير، قتل ٥٣,٤٪، وهو يتسمى في عمومه إلى التيار التقدي والبلاغي سواء بسواء، مثل: التبديل، الرجوع، الاستطراد، الاستهلال، الترديد، التبيه .
- ـ ٤ تثل العناصر القرائية عند السيوطى في "المعترك" كما كبرأ، إلا أن ما يمكن أن يلاحظ أنه يأخذ من كل بطرف، بمعنى أنه آفاد ما جاء عند السابقين، وحاول أن يقدم رؤية مستطرورة، وقد انعكس بشكل ملحوظ في مؤلفاته، وبعد التيار البلاغي والتقدي، أهم رالذين نهل منها السيوطى في توضيح جوانب الإعجاز، ومن هنا حاول أن يوظف الإمكانيات المعاقة والإلحادية مما عند أصحاب التيارات الأخرى .
- وتسدل عناصر النص فيما يخص بالتيار البلاغي صدق هذه الرؤية، فتجد المواربة، الرواية، الإبدال، القسول بالمحجب، التسليم، الاستعمال، المناقضة، الاقتراض، الخصر، حسن المطلب، التقدم، التقسيم .
- ذلك في مقابل إفادته من تيار النحاة والبلاغيين، ويتبدى ذلك بشكل واضح فيما يلي المسميات، التخصيص، العرض، حرف الشخص، الإنكار، الإلصاق، التعميدية، الاستعانة، السبيبة، المصاحبة، التبعيض، الغاية، التشريب، المهلة، الاستحقاق، الاختصاص، الملك، وكلها دلالات تنتهي إلى النحو الوظيفي، وتدل أدنى مقارنة بينها وبين ما أورده ابن هشام - مثلاً - في "معنى الليب" على اعتماده عليه بشكل واضح في هذا المجال .

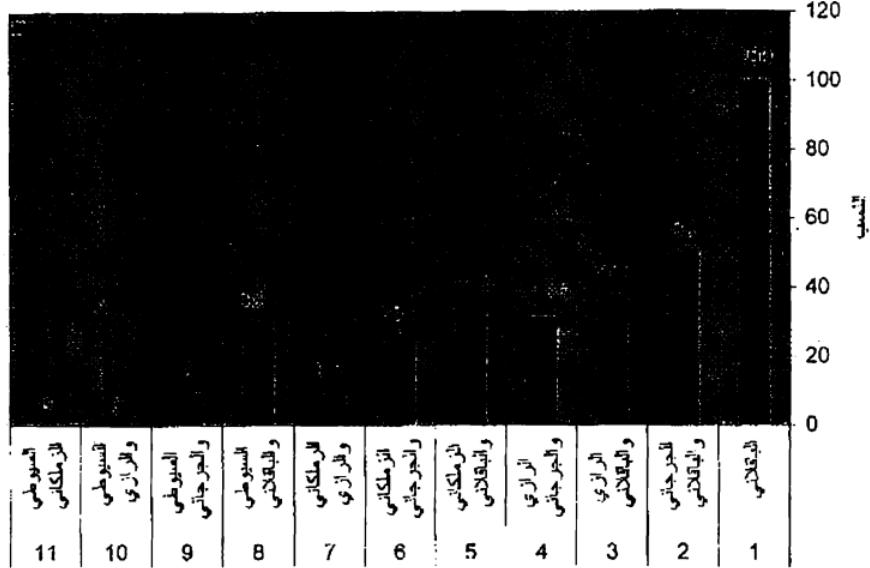
هذه التيارات التي كَمِلَ منها السيوطي ما وجده بحاجة إلى تكميل عنده، وقد وجد ضالته في هذين التيارين، كما أن ثمة ملاحظة، أن هنالك معايير وردت عنده بشكل يكاد يكون مكرراً، وتولى ما نجده: الإهام، المبهمات، الإعادة، وأحسب أن ثلاثة ليس بينهما فارق كبير، إذ تدل كلها على دلاله واحدة، مع الفارق النظفي، فالمبهمات تمثل في الإهام، وتكون العلاقة بين الإهام من ناحية، والمبهمات من ناحية أخرى، في أن كل ما يعيد سواء بالإحاله إلى سابق والإحاله إلى لاحق، لا يفيد معنى بنفسه، وإنما يفهـد بغيره، بمعنى أنه يتدرج ضمن إطار المبهمات، فالإعادة ترتبط مع الجمل السابقة أو اللاحقة لتكتسب لها معنى، وبالتالي فإنما ليس لها دلاله منفردة، وهكذا تدخل الإحاله ضمن إطار المبهمات، بناء على أن كليهما لا يفيد معنى بنفسه، وإنما من خلال الرابط، (الإحاله) تدخل ضمن إطار المبهمات، هي علاقة العلوم والخصوص.

كما أنه إذا كان الباقلاني يستخدم تعبير "التفسير"، فإنه لا يختفي عند السيوطي، وإنما يستبدل به معياراً آخر قريباً منه "الإيضاح بعد الإهام" وهو قريب من التفسير بعد الإجمال.

كما أن "الجمع" و"الضم" الوارد عند الباقلاني، لم يرق للسيوطى واستعمل بدلاً منه "الارتباط"، ولم تقتصر المفارقة بينهما على هذا الحد، وإنما مثلت بما يشبه الظاهرة، وهكذا نجد محاولة السيوطي الدائبة في هذا الشأن .

الصلة	المعنى	الرقم
حسن النسق	حسن النظم	١
الناسبة	الناسب	٢
المشاكلة	المائلة	٣
التحليلص	صحة التقسيم	٤
حسن النسق	حسن التأليف	٥

جدول (١٥) يوضح المقابلات بين معايير النص العرالية بين الباقلاني والسيوطى



رسم بياني رقم (16) يوضح مدى إشارة كل منهم من الآخر في الإعجاز القرقي

لم تذكر هذه الظاهرة بين السيوطي والخالفين له، وربما كانت هناك دواع، أن الباقلاني متقدم، وبالتالي نقل عنه عدد كبير، مما يضيق الخناق على الخالفين فيما بعد، وأدخل عنه بالشكل المشار إليه في (١٥).

### ٣/٣: نحو النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني :

#### ١/٣/٣ : "نحو النص" بين أصحاب "الرسائل" وأصحاب "المؤلفات" :

إذا كان ما ورد من ملاحظات ينطبق على ما جاء عند أصحاب المؤلفات في الإعجاز التي تمثل أحد جوانب مادة هذا البحث، فإن المقارنة بين ما ورد عند أصحاب كل من الرسائل، المؤلفات، ربما يعطي ملاحظات أخرى تعمق النظر في تلك التي وردت سابقاً من البحث.

وبناء على ذلك، فإذا كان الباقلاني يمثل عمدة ضمن أصحاب المؤلفات، بالنسبة لهذه الدراسة، فإن الرماني عند أصحاب الرسائل، هو الأقدم تاريخياً، بيد أننا نعتمد كل أصحاب الرسائل؛ لستي كيف أفاد الباقلاني من هذه الدراسات التي كانت قائمة قبله، ومن هنا فإن الرماني والخطابي سابقان للباقلاني من ناحية أخرى، وعلى أيّة حال فإن تأخر الجرجاني فيما بعد الباقلاني لا يغير كثيراً، خاصة أن الخطابي وردت له معايير غاية في الأهمية في هذا الشأن. وتدل المقارنة بين معايير النص عند كل من الباقلاني والخطابي، كيف أفاد الباقلاني واللاحقون له من السابقين عليهم.

السبك والتحت الملقط والنظام لفظه يوازي نظمه	بديع النظم عجب التأليف بديع تأليفه لا يغافوت ولا يتعارض حسن النظم الموازنة ، المساواة ، التكرار ، التمكيل والتميم	حسن التأليف التأليف والتشاكل تفصيل الكلام تقسيم الأبواب التكرار ، الانتظام والاتساق	الإجاز العلازم التجانس الفواصل
---	--	--	---

وإذا كان الباقلاني — بناء على ما سبق — قد أفاد جملة من العناصر، غير أنها ليست كما هي، وتشير التحليلات عند كل من الباقلاني والخطابي إلى التمايز الضمني في المفهوم المتطابق في المعنى، وهكذا نجد ما هو عند الباقلاني له مقابلات عند الخطابي.

حسن النظم التكرار الموازنة ، المساواة التمكيل والتميم	حسن التأليف التكرار الانتظام والاتساق	١ ٢ ٣
--	---	-------------

وتبين ما هو وارد في هذا الجدول مدى المطابقة بينهما، وبصير أدق، إفاده الباقلاني من الخطابي، ومن هنا فإن المعاير عند الباقلاني، نحو: بديع النظم، عجيب التأليف، بديع لا يخاوت، حسن النظم، صحة التقسيم، المساراة ، التكرار..... وبالتألي بلغت(٧) سبعة قرابة %٢٥ تقرباً، نقله عن السابقين، وربما تكون هناك ملاحظات أخرى من نواح عددة .

وفي الواقع تكشف مقارنة أصحاب الرسائل أن "الإيجاز" الوارد عند الرازى، إنما هو مفاد من "الرمائى"، كما أن "الفوacial" الواردة عند الرماوى، هو "التجنیس" عند الباقلاني، وبالتألي فإن إفادة الباقلاني من الرماوى مهمة لآثاره من الخطابي، وانعدمت إفادة الباقلاني من الجرجاجي؛ نظراً لأن الجرجاجي (٤٧١هـ) بعد الباقلاني (٣٤٠هـ). وهكذا تستظهر أن الباقلاني قد أفاد من الرماوى ١٪٧، وبالتألي فإن ما نقله عن السابقين يصل ١٪٣٢، وتوصل المخلصة النهاية نتيجة إسهامه فيما قدّمه، حيث بلغ ٩٪٦٧.

ومن هنا تظهر لنا هذه المقارنات أن الباقلاني أفاد كما نوضح أيضًا مدى وقوفه بكتابه شاعرًا، ومدى تقديم ملاحظات ذات أهمية في هذا الشأن .

وجملة القول إننا إزاء هذه الدراسات في مجال التحليل لجوانب الإعجاز، إنما وقفت يازء النص القرآني تعلم تفسيرًا للعلاقة الرابطة سواء ما هو كامن في علاوه : الالتمام، والاصطدام، والاتساق، والالستلاف والالرتباط، والنظام واللفظ، والحروف دلالتها والمحذف ودوره، والمشاكلة والفوacial القرآنية.... الخ .

## ٢/٣: المقارنة المنهجية بين الباحثين في الإعجاز القرآني والمعنيين بـ "النحو"

### النص:

إذا كان "النحو النص" يفيد من كل الإمكانيات المتاحة ، لتقديم تفسير أوسع وأرحب للنص، ومن هنا فإن ما يقوم به الباحثون في "الإعجاز" ، خاصة أولئك الذين وكوا وجهتهم تجاه البحث في الإعجاز القرآني، إذ ركزوا على جوانب معجمية كالذكرار، وعناصر أخرى خاصة بـ "الخطاب": كالروابط بأنواعها وأشكالها، وكذلك : النظم والالتفاف، والضم والجمع واللغات وحلقه وذكره واستبداله، وفصله ووصله الخ .

وتجدد كل هذه العناصر مكانتاً بارزاً في "نحو النص" ويؤكد هذا عندهم أنها منتشرة في ثنايا بحوثهم، وقد أدى هذا الاتجاه إلى أن نصف مؤلفاتهم في إطار "نحو النص" العربي شحاماً وشحاماً. وتفزّع هذه الرؤية من خلال عدد من المقاربات تجملها فيما يلي :

- ١- تشير الدراسات حول الإعجاز خاصة الأولى منها — الرسائل — أن معابر النص لم تكن قد اتضحت بعد بشكل كبير، اللهم إلا عند الرامي بشكل ملحوظ. ومثال هذه الرؤية ما عليه الآن "نحو النص" في مراحله الأولى، أن ثمة عدداً من العناصر النصية لم تتضح بعد عن المشتغلين بهذا الاتجاه.
  - ٢- أن هناك اختلافاً في فهم عدد من العناصر النصية بين أصحاب البحث في الإعجاز، وهذه خلل رؤية شبيهة بما هو عند أصحاب "نحو النص" ذلك أن قنوا لا يأس به من المعابر مختلفون حول مكانه وجداوله<sup>(١)</sup>.
  - ٣- إذا كان أصحاب البحث في الإعجاز، قد بدأوا بالرسائل التي تمثل بدايات أولية، فإن هذا الاتجاه، قد تطورت ملامحه فيما بعد عند أصحاب "المؤلفات" في خطوة مهمة، أدت إلى التطور في فهم العناصر النصية بشكل أكبر فاعلية، ومحاولة الإفادة من علوم البلاحة المختلفة، كل حسب رؤيته، وقد بلغت ذروتها عند السيوطي في "المعرك". غير أن الذي يميز " أصحاب الرسائل " عن المعنيين بـ "نحو النص" ، أن ثمة بعض العناصر جاءت على اسميهما عند أصحاب "الرسائل" في تخليل الإعجاز، غير أنها أخذت تبدى في شكل مختلف لما عليه عبد أصحاب "المؤلفات" .
- ويتضح مما أورده السيوطي أنه حاول أن يفيد من عدد من العلوم في الثقافة الإسلامية، كما انتفع بعلم السديع التي مازالت الدراسات النصية المعاصرة، تحاول أن توظف عناصره/جوانبه، وتبين قدرته في تفاعل ومقاسك بنية النص الصغرى والكبير على السواء .

(١) انسعد فاتر رؤية كل من فان دايك و بوجراند/ درسلي حول قضايا السبك ، ورأى أنها عند فان دايك غير واضحة، وفارق بوجراند/ درسلي فيما ذهبوا إليه فيما يتعلق بالإحالة . ينظر :

Einführung in die Textlinguistik, S. 32 .

وقد قدم د. سعيد الجري تفصيلاً حول هذه القضية في : اتجاهات لغوية معاصرة من ١٧٢ وما بعدها .

وعلى ذلك يبدو واضحاً مدى إلادة السيوطي من مباحث "علم البدع" الذي شكل بروزاً واعياً، وبعد "المعرك" واحداً من المؤلفات التي يمكن أن توظف في إطار جديد، وأن يُرَوَّل مرتلة في إطار الدراسات النصية المعاصرة .

وقد تبدت قسمات ذلك بوضوح عند الباقلانى في إعجاز القرآن والزملاكاني في "الجيد" هي إلادته مما هو من جوهر "علم البدع"، غير أن الذي أريد أن أثبته أنه بدا واضحاً مكتملاً الأركان عند السيوطي في "المعرك" والذي جسدَ من خلاله قمة النضج عند أصحاب هذا الاتجاه، مضيئاً إليهم عناصر نصية تراثية، لم يدرجها السابقون عليه في الإعجاز .

### ٣/٣/٣ : تقويم لساني للبحث في الإعجاز القرآني :

١/٣ : يركز البحث في الإعجاز على تقديم تفسير/توضيح لمادة القرآن الكريم، بينما يقوم "نحو النص" بتقديم تفسير لآلية مادة لغوية كانت .

٢/٣ : مادة البحث في "الإعجاز" ، القرآن الكريم، وهي مادة ذات مستوى خاص/عال من البلاغة والبيان، أما مادة "نحو النص" فالنصوص اللغوية المتتحقق فيها المعايير السبعة أو بعضها لاعتبارها نصاً<sup>(١)</sup> .

٣/٣ : افتقر الباحثون في الإعجاز على تقديم تفسير لجوانب محددة كالاهتمام بالتوابع اللغوية والبلاغية، أو ما يمكن أن نطلق عليه بـ"النظم" أو "معانٍ التحو" حسب تعبير الجرجاني، وبالتالي فإن عناصر أخرى، كالموابد الصرفية والصوتية، لم يكن لها مكان في تحليلاتهم، إلا في القليل، أما علماء "نحو النص" فيحاولون أن يفيدوا من كل هذه الجوانب لتقديم إسهام واسع، ومن هنا فإنه يفيد من الجوانب الصوتية والصرفية وال نحوية والدلالية والمعجمية ... الخ .

٤/٣ : يعتمد الباحثون في "الإعجاز" في تحليلاتهم على الإلادة من مادة شعرية لإظهار وجه الإعجاز، في حين ينصب عمل "نحو النص" على المادة اللغوية (فقط)؛ لاستخلاص قواعد من النص ذاته، وليس وفي قواعد (معايير) مسبقة .

٥/٣ : لم يكن الباحثون في "الإعجاز" يفصلون - شكلياً - بين معياري السبك والحبك، وإن المعياران المختصان بالنص، وإن لم يتف هذا علمهم بالموازن بينهما، أما "نحو النص" فيقصد تم تفريقاً واضحاً بينهما بشكل محدد .

٦/٣ : لم يكن هدف الباحثين في الإعجاز إنتاج قواعد/نحو للنصوص من خلال تفسيرات جواب من النص القرآني، بينما يسعى "نحو النص" من خلال تفسير وتحليل النصوص المختلفة، إلى تقديم "نحو النص" .

٧/٣ : لا يستند الباحثون في الإعجاز إلى علوم أخرى، كعلوم مساعدة في بيان أوجه الإعجاز، بينما "نحو النص" يفيد من علوم و المعارف مختلفة/متباينة و متعددة الاختصاصات في تقديم تفسيرات مقنعة للنص .

٨/٣ : يهتم البحث في الإعجاز بالتركيز على الجوانب البلاغية واللغوية الخالصة، لإظهار أوجه الإعجاز، بينما البحث في "نحو النص" يعتمد ذلك، وفيه من السياقات المختلفة في تقديم تصورات وأفكار عميقه وأكثر إضاءة من خلال محاولته استخلاص المعانى الإضافية مما هو وراء الصياغات اللغوية/التابعات الجملية، وليس المعنى الأول (المباشر) الكامن في النص .

٩/٣ : البحث في قضية "الإعجاز القرآني"، بحث أصيل في الثقافة العربية والإسلامية، أما "نحو النص" فعلم حديث نسبياً، بهذه التصورات، وإن كانت التحليلات التي وردت في ثابيا البحث قبلأ، أدت إلى نوع من المقاربة في الرؤى، مع الاختلاف في المسارك والمهاجر .

١٠/٣ : يعتمد البحث في الإعجاز على اختيار عيادات مختلف باعحلاف الباحثين، وأن المقاربة بينهم في النهج الشيعي، في حين يعتمد "نحو النص" على كفاءة الخلل/المفسر في استغلال الإمكانيات/الطاقات التي تسريحها السياقات المتباينة داخل النص، فإذا كانت الأبهية الصغرى/المترادفات الجملية، تتحاج إلى كفاءة محدودة توفر في الخلل، فإن تحليل الأبهية الكبرى التي هي تصورات تجريدية مفترضة تجتمع أو تتكشف فيها الدلالات الجزرية، وعلاقت التماسك تحتاج كفاءة أكثر تعقيداً تستند إلى مكونات متشابكة تشغل فيها العناصر المعرفية مساحة أكبر من العناصر التحليلية سواء أكانت نحوية أم دلالية<sup>(١)</sup> .

---

(١) د. سعيد حسن بحري : إنهايات لغوية معاصرة عن ١٨٩.

١١/٣ : بدأ البحث في الإعجاز القرآني منذ وقت مبكر، إذ تذكر الروايات أنه بدأ مع نزول القرآن الكريم، وعليه فإنه بدأ في إطار ديني، في حين بدأ "نحو النص" في أوائل الستينات مع مقالة زيلخ هاريس، ١٩٥٢ تحليل الخطاب : Discourse Analysis ، وتأكدت منهجه في أواخر الستينات وطيلة فترة السبعينات، وهي البداية الفعلية لهذا الاتجاه <sup>(١)</sup> فيما أرى .

Sche:R.deBeaugrande,W.Dressler:Einführung in dieTextlinguistik,S.15:31. (١)

وقد ذكر عدداً من الدراسات في هذا المجال التي تعد دراسات أولية بطر : ص ١٥ . وتجدر الإشارة في هذا المقام أن الباحثين في "نحو النص" منفkin على أنفسهم ، ومحاجز ذلك أن غالبية منهم من يرجع البداية الحقيقة إلى مقالة زيلخ هاريس التي نشرها تحت عنوان: تحليل الخطاب, Discourse Analysis ، ١٩٥٢ ، وربما أكسبتا أهمية منهجه في تاريخ اللسانيات: د. سعد مصلوح : العربية : من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" من ٤٠٨ . Van Dijk : Aspekte einer Textgrammatik, S. 270. ، إلا أن اللافت للنظر أن فان دايك في موضع آخر ، لا يرجع إليها أهمية ، لأنها لا تمت إلى دراسة الخطاب إلا في القليل النادر، ينظر: Text and Context , p 14 ، ويؤكد د. محري رأيه د. سعد في جملته، بيد أن تصعيده يحتاج إلى فعل بيان . فإذا كان "نحو النص" قد بدأ ملامحه تتحقق في النصف الثاني من القرن العشرين، فإن هذا القول لا يبني إن غالبية أخرى منتشرة، تقبل بدوراً واعية لهذا الاتجاه، ومن ثم فإن جلوره تمت في فترة زمنية أبعد تعود إلى ١٩٩٢ د. سعيد بحوري : علم لغة النص ص ١٨ .

ولمزيد الأمثل توضيحاً وتوكيداً لما ذهب إليه د. سعد مصلوح ود. سعيد بحوري، فالقول إن درسler في كتابه "النص اللغوي" ١٩٧٨ Textlinguistik مع عدداً من الأبحاث التي تسمى إلى اللسانيات النصية، حسب رأيه، و ضمن كتابه مقالة لـ "أريني" بعنوان "بناء الجملة عند ليفيوس" غودجا: Satzverbindung besonders bei Livius, 1912.

للليل، ثم تأتي بقية الأبحاث في فترة تاريخية تكاد تكون واحدة .  
وإذا استثنينا من كتاب درسler السابق، يعني "أريني" ، و"زيلخ هاريس" ، فإننا واجدون أن هذه الأبحاث، إنما تقع في فترة تاريخية لا تتجاوز سبع سنوات ، وكذلك يشير - ضمنا - إلى أن هذه الفترة، هي المرحلة الخامسة في اكتساب هذا الاتجاه ملامحه المألنة، وإذا وضعت الرؤية ، بناء على ما أوردته درسler في كتاب آخر Einführung in die Textlinguistik, (١٩٧٨) .

=  
امكنا فصل القول في هذه القضية بما يلي :

١— أن البداية الفعلية لـ "نحو النص" وأنه أخذ يعلن عن نفسه كعلم له أركان وأهداف يسعى إلى تحقيقها في النصف الثاني من السبعينات وطيلة فترة السبعينيات، وبزك ذلك فان دايك في *Textwissenschaft*, S. 1 . وتعل أعمال هارفج R. Harweg (١٩٦٨)، فالتر كوخ Walter A. Koch (١٩٤٦)، وسiegfried J. Schmid (١٩٧١)، وفريزر كومر Werner Kummer (١٩٧٢)، وفريزر كومر Siegfried J. Schmid (١٩٧١)، وجانس س. پتوفي Janos S. Petöfi (١٩٧١)، وتسون فان دايك Van Dijk T. A. (١٩٧١)، وجوزيتس Jones (١٩٧٨)، ودرسلر Dressler (١٩٧٨)، وفريزر Fries (١٩٧٢)، وريزير Rieser (١٩٧٨)، وهايتمن Heinrich Hartmann (١٩٧٥)، كسلماير Kallmeyer (١٩٧٤)، وهارغان Kallmeyer (١٩٧٥)، وهابستريش Heinrich (١٩٧٥)، البداية الفعلية لهذا الاتجاه .  
ينظر حول تفصيل ذلك في :

**R. A. de Beaugrande, W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S. 15: 31**

**E. Coseriu : Textlinguistik Eine Einführung ,S. 1: 4**

وقد فصل فان دايك الدراسات الأولى وأبعادها في مقالته التالية :

**Van Dijk T. A. : Aspekte einer Textgrammatik S. 270 : 273.**

٢— أن ظهور هذا الكم من الأعمال النصية التي جاءت الإشارة إلى بعضها في رقم (١)، لا ينفي وجود أعمال مماثلة لها، يعود تاريخ بعضها إلى ١٩١٢م و١٩٥٢م ، وغير ذلك من الأعمال التي مثل البدايات الأولى لهذا الاتجاه، ويبيّن المعايز بينها في أن أعمال فترة أواخر السبعينات وطيلة فترة السبعينيات أخذت ملامحها تبدي في قسمات ومنهجية البحث ، بينما جاءت الأعمال التعهدية له فيما تشبه الأعمال الفردية له ، وأما كانت تقل حلماً للباحثين آنذاك في ملامح منهجية محددة المعالم ، قادرة على تقديم معايير دقيقة لـ "نحو النص" من خلال النصوص المعاقة .

ويسرى المعنويون ب بتاريخ "نحو النص" ، أن تم تاريحاً أبعد لـ "نحو النص" يتمثل في البلاغة المقدمة وعلم الأسلوب ، وإن ركزت البلاغة على المفردات والمعارات والجملة، إلا أن توجوها المتزايد نحو كلية النص بـ "نحو النص".

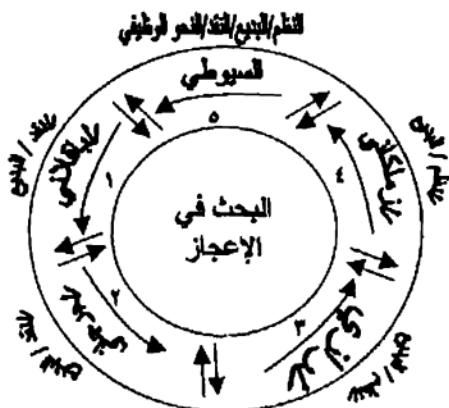
\* **Kalverkamper H : Orteintierung zur Textlinguistik, S. 5.** ينظر :

\* **Junker, H.: Rhetorik un grammatis. In: romantische Forschung, S. 378 : 383 .**

وينظر ترجمة كتاب فولفجانج هاينه من و دير فيهيجر للدكتور فاخ بن شبيب العجمي ص ١٤: ١٧. برند

بلتر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٥ .

١٢/٣ : تضيّن ما هو وارد في "نحو النص" أن العناصر الواردة عند الباحثين في الإعجاز أكثر استغلاً لعدد من العناصر ما هو عليه "نحو النص"، وأن نظرة واحدة في "المعرك" تضيّن منها صدق هذه الرؤية، ويوضح الرسم التالي ذلك بشكل أكثر بروزاً :



١٣/٣ : كما أثنا واجلدون ثانيةً بين العلمين، في أن "نحو النص" تأتي عناصر السبك والحلب بما يشبه الفرض النظري، والذي يحاول التضيّن أن يختبروا عملياً فاعليته في تلامس أجزاء النص ، سواء أكانت البنية الصغرى، أو الكبيرة، في حين تأتي هذه العناصر عند الباحثين في الإعجاز القرآني، كملاحظات في إطار منهج غير محدد بشكل دقيق، وقد أدت لهم إلى عدم التفريق غير المباشر بين السبك والحلب فقط، غير أن عرضهم ومناقشتهم تكشف أنهم كانوا مدركون لقضايا كلّيهما، وإن لم يخبروا إلى ذلك صراحة .

١٣/٤ : نحو النص : العناصر الأسلوبية عند الباحثين في الإعجاز القرآني :

إذا تفحصنا الأمر وأردنا أن نعرض تلك العناصر عند الباحثين في الإعجاز القرآني، على ما هو كالتالي في اللسانيات النصية، ثمجدها تقع داخل إطار اللسانيات المعاصرة، إذا ما نظرنا إلى هذه العناصر نظرة مختلفة مناسبة للمتغيرات الخاصة في "الاتجاه اللغوي" ، وتكون مسرفينا على أنفسنا لو تصورنا معابدة شاملة ومرتبة لنا من جميع الوجوه، مقارنة بما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، وينبغي أن نقر ابتداء، أن كثيراً من هذه العناصر عند الباحثين في الإعجاز

القرآن، تقع ضمن دائرة البحث البلاغي، الأمر الذي أفضى إلى استعمالهم عناصر بلاغية ونقدية، ومرد ذلك إلى تلك العلة التي انطلق منها الباحثون في هذا المجال، وهو الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني، غير أن هذه الرؤية انعكasaً على تلك العناصر التي للدرجها هنا تقليداً مع ما يقع تحت كل واحدة منها، وسأحاول الآن أن أقوم بتوزيع مكونات المفهومة التحليلية عندهم، على النحو التالي :

### ١/٤/٣ : العناصر الصوتية، وتشمل :

المائلة، الترصيع، الترصيع مع التجenis، المساواة، المقابلة، الموازنة، الانظام والاتساق، التسليم، التقسيم (من مباحث البديع) والتكميل، والتسميم، القلب، التشريع، والتذليل، التصدير، التوضيح، المواربة، المراجعة، الراحة، التسليم، الاسجال، الانتقال، المناقضة، حسن الترتيب، التزويد، الاستطراد، (من مباحث النقد الأدبي/نقد الشعر) .

### ٢/٤/٣ : التركيب/النظم، ويشمل :

جميع مباحث علم المعاني، وخصوص التركيب من حيث التأثير وعدمه والجانب التركيبى من المقابلة، والتقسيم والتخلص، وحسن الترتيب، وبراعة الاستهلال، والرجوع، والتقويف، والمكس والتبدل، والمسير والتقطيم، ورد العجز على الصدر، وصحة التفسير، وصحة القسم، وحسن المطلب، والقول باللوجب، المائلة، والمطابقة، والمساواة .... الخ . (من مباحث البديع)، كما يشمل — أيضاً — حسن التأليف، الشام الكلام، الاتلاف والارتباط، التأليف والنظم، النظم والتلاقي والتشاكل، تفصيل الكلام وتقسیم الأبواب، السبك والفتح، عجيب التأليف، لا يطابق ولا يتباين، حسن النظم، حسن الوصف، التفصيل بعد الإجمال، الإيضاح بعد الإجمال، الفصل والوصل، النظم، الفوائل، القسم والجمع (من مباحث النقد الأدبي/نقد الشعر)، كما أن المبدأ، القديم والماضي، التكرير، الإعادة، الريادة بالحروف، الحروف، الأحرف الزائدة، الإيهام، الارتباط، خبر المبتدأ، المطفف، الشرط، الجزاء، الاستفهام، الكلم، لعل الاسم بغيره، تعلقه بمجموع الجملة، تعلقه بحرف النفي، (من مباحث علم المعاني) الوارددة عندهم، ولابد من الإشارة إلى أن بعد التركيبى من الاستعارة والتشبیه والجاذب المرسل والجاذب بالهدف (من مباحث البيان) .

### ٣/٤/٣ : العناصر الدلالية، وتشمل :

البعد الدلالي من التشبيه والاستعارة والمحاجز المرسل (من علم البيان)، كما تشمل أيضاً الحصر، الاختصاص، الاقتناص، التعليل، التخصيص والعرض، حرف تخصيص، الإنكار، الإلصاق والتعدية، الاستعانة، السيبة، المصاحبة، التبعيض، الغاية، الترتيب، المهلة، الاستحقاق، الملك، التشبيه (من مباحث النحو الوظيفي)، المشاكلاة، دلالة الكلام، دلالة الالتزام، المبالغة، كمل يشمل البعد الدلالي من: المقابلة، والتقويف، واللف والثر، والجملة والتفريق والتقسيم، القول بالelog، الدلالات المعنوية، دلالات الألفاظ، المراجعة، حسن السق .

وإذا كان توزيع المنظومة التحليلية هي عمل هؤلاء القوم على النحو السالف (ينظر: ٣/٣/٣، ٢، ١ من البحث) فإن توزيعها إنما يعطي انتظاماً معايزاً عما ألفناه في البحث اللسانى المعاصر، غير أن هذا التصور يبعد إلى أذهاننا أنها ينبغي أن نرجع النظر في التراث بروزية جديدة، وبناء على هذا الأساس، فإن ثمة عدداً لا يأس به من العناصر التراثية التي يمكن أن يتعامل معها بنظرية جديدة، كل ذلك الذي جاءت الإشارة إليها منذ قليل في هذا المطلب . هذه العناصر دائمة ما تدرس في إطار رؤية مغابرة لتلك التي نطلق منها الآن، وكما تجدر الإشارة إلى أن هذه العناصر (ينظر: ٣/٣/٣، ٢، ١ من البحث) تحتاج فيما أظن إلى دراسات إمبريالية/ تطبيقية للتحقق من فرض إقامة هذه العناصر محل الجانب الصوفى، والتركيبي والدلالي المعاصر، وبناء على هذه النظرة، فإن العناصر التراثية، يمكن أن تتشكل في إطار جديد، يحافظ على الموية التراثية، ويشكّل منها "نحو النص" العربي، الذي يدعم جوانبه من عدد من التيارات .

هذه التيارات تقع ضمن دائرة البلاغة العربية بشكل عام، التي نضم بين جوانبها : المعانى، السبان، السبـيع، كما لا يفوـت الباحثون الاستعـانة لعناصر تسمـى في عمومها إلى النقد الأدـي، والنـحو الوظـيفـي، وبناء على هـذا تـوـزعـتـ المنـظـومـةـ التـحـلـيلـيـةـ عـنـ هـؤـلـاءـ الـقـومـ توـزـيـعـاـ مـحـكـماـ خـدـمـةـ لـبـيـانـ أـوـجـهـ إـعـجـازـ الـقـرـآنـ وـتـأـسـيـساـ عـلـىـ ذـلـكـ، فـانـ الـعـنـاـصـرـ الـمـكـوـنـةـ لـلـنـصـ فـيـ عـلـمـهـ، تـنـسـطـمـ فـيـ عـدـدـ مـنـ الـعـلـمـوـنـ الـمـتـخـالـلـ، وـيمـكـنـ توـزـيـعـ تـلـكـ الـعـلـمـوـنـ عـلـىـ الـعـنـاـصـرـ السـابـقـةـ، كـالتـالـيـ:

#### ١— الصوتيات الأدبية، وينتظم فيها :

— مباحث علم البدع .

— قضايا النقد الأدبي .

٢- النظم الأدبي/النحو، وينظم فيها :

— مباحث البيان .

— مباحث النقد الأدبي .

٣- الدلاليات الأدبية، وينظم فيها :

— مباحث البيان .

— قضايا البديع .

— النحو الوظيفي: الدلاليات التحورية/اللغوية .

ومن ثم فإن العناصر البلاغية مجتمعة في هذه الأعمال على نحو مختلف، بيد أننا يمكننا أن

خلص بعدد من الركائز الأساسية لذكرها على النحو التالي :

١- خللت الصوتيات الأدبية من مباحث علم البيان .

٢- اشتمل النظم الأدبي على مباحث علم البيان والمعاني والنقد الأدبي، في حين خلا من علم البديع .

٣- خللت الدلاليات الأدبية من مباحث المعاني والنقد الأدبي، ودخلت دلاليات أخرى للنحو الوظيفي : دلاليات لغوية/خوبية .

٤- تساوى عدد العلوم المكونة للمادة اللغوية للنظم والدلاليات الأدبية، (٣) ثلاثة علوم لكل منها، في حين وردت مادة الصوتيات الأدبية مثلثة في علمين .

٥- تداخلت القضايا الثلاث على النحو التالي :

مباحث علم البديع	النقد الأدبي	مباحث علم البديع	١
—	مباحث البيان	النقد الأدبي	٢

وبالتالي يمكن القول إلاماً، إنه ينبغي أن يعاد النظر في استخلاص الدلاليات الصوتية من خلال البديع والنقد الأدبي لاشتمالهما على النوع الأول . في حين جاءت قضایا النظم متشرة في أیسواب السنقد الأدبي وعلم البيان، وإن جاء القسم الثاني بشكل أقل، أما الدلاليات الأدبية، فالمتوط بها علم البديع والبيان .

وخلالمة ذلك إن مباحث علم البيان موزعة على محورين : التركيب والدلاليات الأدبية، في حين تنتظم قضایا النقد الأدبي في الدلاليات الصوتية والنظم . أما علم البديع، فهو المتواط بدراسة الدلاليات : الصوتية والأدبية .

**المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بنحو النص  
١٤ : مدخل :**

استدعي النظر إلى النصوص على اختلافها في الآونة الأخيرة علمًا أطلق عليه "نحو النص" وهو علم يعنى ب تقديم تفسير أرحب ورؤى أكثر إقناعاً، مما هي عليه في الأagna التقليدية ("نحو الجملة")، إذ يهتم بما هو أكثر عمومية وشمولية فيما يرتبط بالأشكال التي يتبعها النص، وبالتالي فإنه كما يقول شميد (Schmidt) : إذا كانت التابعات الجملية/الجمل تتحقق فيما بينها معنى صادقاً (الصالحة)، فإن نصف (اللهم/الاتصال) الآخر يتحقق من خلال إمكان التحول إلى فهم النص كوحدة واحدة، ومن هنا يعطي تفسيراً كلياً لأرحب وفهمًا أعمق<sup>(١)</sup>. الأمر الذي يترتب عليه أن أبرز الفروق بين "نحو الجملة" و "نحو النص" ، أن "نحو النص"<sup>(٢)</sup>، إنما يبحث فيما فوق الجملة، ولا ينكر الآراء والتصورات في الأغا التقليدية، وإنما يتجاوزها إلى أفكار كلية، تمثل في عدد من العناصر المكونة له في ظاهر النص ليشمل كل الروابط :

أولاً : على مستوى العلاقات داخل الجمل .

ثانياً : على مستوى العلاقات بين الجمل .

ثالثاً : على مستوى العلاقات بين الفقرات (أو ما في حكمها) .

رابعاً : على مستوى العلاقات في جمل النص .

وإذا كنا في موضوع سابق من البحث (ينظر: ٣/٣/٣). فمنا بتوزيع منظومة العناصر المؤثرة في أوجه الإعجاز . ولا ريب أن هذه العناصر مستقاة/متغولة من تيار النقد /نقد الشعر، وحاولوا أن يوظفوها في تقديم تفسير أرحب وأعمق لأوجه الإعجاز القرآني، يكشف من خلاله مناطق جديدة وبكر في التفسير والتحليل .

(١) S. J. Schmidit :Texttheorie., S. 151 .

وينظر شخصياً موسعاً عند د. سعيد بمحري : اتجاهات لغوية معاصرة من ١٤٠.

(\*) أوضح بوجراند أن دراسة علم لغة النص قد أثرت لديه عدداً من النتائج ، مقارنة بذلك النظم التقليدي/علم لغة الجملة، ينظر مقالته المهمة :

• Textlinguistik : Zu Neumen ufern .

وأحسب أن هذه الأفكار والصورات المطروحة لبحث كيفية الإعجاز، تتجه دلالات فعلية ومحتملة وإحالية، وليس لها نهاية (أخيرة)، إذ يظل التفسير مفتوحاً وقابلًا لأن تستثمر عناصره المختلفة، وهي جواب ترية في الإعجاز. وبناء عليه، فإن الدلالات المستخلصة من هذه الصورات ليست أخيرة، إذ الدلالات الفعلية/المباشرة تتكتب من التابعات الجملية، وهي المعرف الأولى/المباشرة. أما الدلالات والمعاني الثواني (المحتملة)، إنما تكشف من خلال تكثيف الدلالات الجزئية للتابعات الجملية.

ويجب أن نذكر أن نواحي البحث في الإعجاز، تضم جواب صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومعجمية<sup>(\*)</sup>، ومن ثم فإن القسمة السابقة (ينظر: ٣/٣ من البحث)، إنما أسقطت الجانب الصوتي والمعجمي الذي يعدنا بمفاهيم الكلمات في سياقاتها المختلفة، وكذلك ما يتعلق بالجانب الصوتي . وأظن (أعتقد) أن مثل هذا العنصر لا تقل أهميته عن العناصر الأخرى في تكون بنية السطح وبقية العمق على السواء .

وقد أفرزت طبيعة هذه التغيرات في دراسة الاتجاهات المختلفة إلى ظهور "نحو النص"، وهو لا يرتكز على أدوات ومهارات محددة، وإنما هو علم متداخل بالخصوصيات، يتشكل من خلال عدد من العلوم المختلفة. وقد أدى نشأة "نحو النص" إلى وجود مهام جديدة أضيفت إليه<sup>(1)</sup>، وتتوقف مقدرته في الحكم على تلك الظواهر الراسخة في "نحو الجملة" والتي لا يمكن أن تفسر من خلاله نحو الجملة ، فيما يذكر بوجرال<sup>(2)</sup>.

وقد حاول علماء النص أن يجدوا تصورات وأفكاراً جديدة، مفارقة (مفاجرة) لتلك الأفكار والرؤى الكامنة في نحو الجملة/ التابعات الجملية . فليست الجملة وحدتها قادرة في ثابا

(\*) يؤدي المكون المعجمي قيمة لا تذكر في التحليل النصي عند عدد من الباحثين، حول ذلك ينظر :

- Michael Titzmann : *Strukturale textanalyse*, S.164
- Elesabeth Gulish und Andre : *Linguistische Textanalyse*, S. 57 : 62
- Tamara Silma : *Probleme die Textlinguistik*, S. 69
- Lexikalische Solidaritäten, S. 47 : 87 .
- (1)Van Dijk T. A. :*Textwissenschaft*, S. 15.
- وما بعدها
- (2)R. de Beaugrande :*Text Grammar Revisited*, p. 6 .

التحليل الجزئي أن تعطي دلالات/تصورات احتمالية للبنية الكبرى للنص، وبالتالي أدى هذا التصور إلى وجود خيارات وأهداف ومهام<sup>(١)</sup>، تنتظر علم النص، ولذا فإن تنمية هذه الأفكار، إنما يكون باستخلاص الدلالات المحملة، ولمست الفعلية، ذلك أن الدلالات الفعلية، تعيدي بوضوح في السلاسل اللغوية على بنية السطح (بنية اللغة).

وتفق هذه الأفكار والتصورات في "نحو النص" مع تلك الرؤية العامة عند عبد القاهر الجرجاني، والتي خلص إليها د. عبد الفتاح لاشين بقوله: والتركيب النحووي له معنى أول يدل عليه ظاهر الوضع اللغوي، وله معنى ثان ودلالة إضافية تسع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني وتلك الدلالات الإضافية هي المقصود والمدف في البلاغة، وقد جهد عبد القاهر في سبيل هذا المدف وشقى في الوصول إلى ذلك الغرض حتى خرج بمقاعدة لا تختلف وقانون لا يقبل النقض<sup>(٢)</sup>. وبالتالي فإن استخراج المعاني الثوابي، تحتاج إلى قراءة واعية في "نحو النص" ويلتقي هنا المسعى والبلاغة القديمة، في أن كليهما يسعان من وراء قراءة النص/التصور إلى استخلاص المعاني الثانية/غير المباشرة، أو معنى المعنى حسب تعبير الجرجاني.

وقد فرضت طبيعة المعاجلة والتحليل في "نحو النص" قارئاً متمرساً، لا تقليدياً، يعتمد تلك الأدوات اللغوية المباشرة ويفسر ظاهر هذه التابعات على السطح، وإنما يحاول أن ينفذ إلى ما هو وراء هذه الصياغات؛ ليثري التحليل والتفسير من خلال إضافة عدد من التصورات والأفكار غير الكامنة في التابعات اللغوية (بنية اللغة) المكتسبة من خلال معارفه وأدراكه والسياقات الحضارية والأعراف الاجتماعية.

ومثل هذه الحالة التي تطلب قارئاً متمرساً لاستخلاصها، وقد سماها د. عز الدين إسماعيل "معنى المعنى" أو "المعنى الثاني"<sup>(٣)</sup> أو "المعاني الثوابي"، ويرى أنه على الرغم من أن البنية الدلالية تعتمد على البنية التحوية، فإنما (البنية التحوية) ليست تفسيراً مباشراً لها، وعلى مستوى

(1)Van Dijk T. A. :Textwissenschaft, S. 34 .

(2) د. عبد الفتاح لاشين: التركيب التحويـة من الوجهـة البلاغـية عند عبد القـاهر ص ٤ .

(\*) حول كيفية إنتاج المعنى الثاني/غير المباشر (الإضافي)، يرى د. عبد الفتاح لاشين : أنه قائم على أساس النـوى والروابـط الوـثـيقـة بين المعـنى الأولـ الـظـاهـرـ وـ المعـنىـ الثـانـيـ المـقـوسـ. التركـيبـ التـحـويـةـ منـ الـوـجـهـةـ الـبـلـاغـيـةـ عندـ عبدـ القـاهرـ ص ٥ .

"معنى المعنى" يصبح البناء التحوي، وإن كان بناء صحيحاً، عاجزاً عن أن يقدم معياراً سليماً للتفسير<sup>(١)</sup>.

وبناء على ذلك، فإن "المعنى الثاني" ليس مرتبطاً بالبنية اللغوية المتحققة في السابقات اللغوية المنظمة، وإنما يتعلق بالسياق الحضاري وبالدلالات التي يستدلفها ، ومدى معرفته بتلك الدلالات المشتركة وما تبيحه السياقات الحضارية .

ويستتتج د.عز الدين : أن "المعنى الثاني" ليس له قوة المعنى الأول واستقراره، وإنما هو قابل للصدف، بل هو قابل للتغير أو التراجع أو الإهمال والنسبيان مع الزمن، وأنه مولود أصلاً من علاقة خاصة بين المدلولات (المعاني) لا الدوال (الألفاظ)، فإنه غير قادر على أن يستقر تاماً في ذاكرة اللغة<sup>(٢)</sup>. وما يخلص إليه أنه إذا كان "المعنى الثاني"<sup>(٣)</sup> غير مستقر وقابل للتراجع أو الإهمال والنسبيان، فإن هذه الرؤية تتيح/تفسح من ناحية أخرى المجال للإجتهداد والتفسير والتأويل. وتعتبر هذه النقطة المركوز الذي على أساسه ومنه يبدأ هذا البحث وبموجث أخرى تحاول تقديم التراث بقراءة جديدة، على أساس مغايرة و مختلفة عن تلك التي احتمكم إليها القدماء، ومن ثم نصل إلى دلالات / رؤى جديدة يبيحها التفسير ولا يردها .

وهكذا يضفي القاريء/ المخلل على النص تفسيراً يجمع بينية اللغة (النص) التي تبدو غير مترابطة (معبرة)، وتفرض طبيعة هذا الإجراء أن دور المتنافي/المفسر لا يقل أهمية في إثراء النص وإعطائه استمراريه ، ولا يقل عن دور منتج النص، وهكذا يبيح القاريء مكانة مرموقة في حشو، الاتجاه النصي<sup>(٤)</sup> .

(١) د. عز الدين إسماعيل : قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ص ٤٢.

(٢) السابق : الموضع ذاته.

(٣) يستثنى بوجرائد النصوص الواضحة / المباشرة لغويًا من هذه المعاملة كنصوص النهي في الجرائد، والشيوخ الغوي، وإعلانات البيع أو الإيجار، وهلم جرا . ينظر :

R.de Beaugrande : Text Grammar Revisited , p. 8 .

(٤) حسول دور المتنافي/المفسر وقيمه في إنتاج تفسير للنص، ينظر د. سعيد جعري إتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٣، د. عساطف جودة: النص الشعري ومشكلات التفسير ص ٤٢ وما بعدها و ٧٦، والفصل الخامس بـ: التفسير وتجليات النص.... على سبيل المثال .

وبينهي أن نقر أن علماء النص مختلفون فيما بينهم في التصورات والإجراءات، فمنهم من يعتمد "نصية النص" مثل بوجراند/ درسلر<sup>(١)</sup> ومنهم من يعتمد "تجزئة النص" مثل فايبريش<sup>(٢)</sup>، وهناك من يقترح "نحوية النص" مثل فان دايك<sup>(٣)</sup>، وأما بتو فيذهب إلى "توليدية النص"<sup>(٤)</sup>.

وقد أدت هذه الرؤى المختلفة والتصورات المقاربة أحياناً والمختلفة في أحياناً كثيرة إلى أنها إذا أردنا أن نعتمد منهاجاً واحداً أو تصوراً محدداً، فإن تصور بوجراند/ درسلر هو المعتمد لدينا، حيث يحاول أن تختبر فاعلية تلك المعايير التي وضعناها لكي تتحقق نصية النص. بينما أنا بينهي أن نؤكد أن علماء النص، يرون أن نصية النص تتحقق بأقل قدر من هذه المعايير. أما إذا تحققست المعايير السبعة، فيكون النص كاملاً متكاملاً، وإذا كانت التصورات الاتهامية لم تستقر بعد بين المعنيين بـ"نحو النص"، وبالتالي فإن ثمة كثيراً من القضايا بينهم مثار خلاف.

وتعتمد "نصية النص" عند بوجراند/ درسلر على سبعة معايير، لا بد من توافر قدر منها، لكي تتحقق له صفة النصية، وهي كما ذكرها على النحو التالي<sup>(٥)</sup> :

- |                     |            |
|---------------------|------------|
| (Kohäsion) :        | ١—السبك    |
| (Kohärenz) :        | ٢—الاحتكاك |
| (Intentionalität) : | ٣—المقصدية |

(1) R. de Beaugrande / W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik.

(2) H. Weinrich : Die Textpartitur als heuristische methode.

(3) Teuon, A. Van Dijk : Aspeke einer Textgrammatik.

(4) J..Petöfi: Transformationgrammatiken und die grammatische Beschreibung der Texte.

(5) R. de Beaugrande / W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S. 1%.

وبينظر كذلك :

- Heinrich F. P. : Textwissenschaft und Textanalyse, S. 52 –119 .

- Heinz Vater : Einführung in die Textlinguistik, S. 31 : 64 .

- |                      |              |
|----------------------|--------------|
| (Akzeptabilität) :   | ٤- المقبولية |
| (Informativität) :   | ٥- الاخبارية |
| (Situationalität) :  | ٦- الموقفية  |
| (Intertextualität) : | ٧- التناص    |

ويجب أن نشير هنا إلى أن الفصل بين هذه المعايير، ليس في الواقع الفعلي، وإنما فصل استدعاهه أمور تختص بالجانب النظري عند علماء النص (بوجراند/درسلر)، ويفضي بما هذا الملاحظ إلى اعتبار معياري: السبك والحبك معيارا النصية الأولين، وكل منها لا ينفك عن الآخر، فإذا كان من خلال الأول تتحقق فرضية الشابعات الجملية على السطح (بنية اللغة)، فإنما تمثل الصفر (لا قيمة لها) ما لم يتم تماساك دلالي بين هذه الوحدات (التماسك الدلالي).

وقد أدى هذا التوجه في البحث النصي إلى إيجاد صيغ جديدة وتصورات وأفكار مفارقة لتلك المتتبعة في " نحو الجملة"، ذلك أنها في " نحو الجملة" لم تعد قادرة على تقديم تفسير مرض، يتناسب مع تلك الأفكار التي يسعى " نحو النص" إلى تقديمها، ويحاول أن يخبر فاعليتها في ضوء التصورات الجديدة المقترحة.

ونقرر ابتداءً أن التصورات الأساسية التي اقترحها علماء النص ليست ملائمة ولا أخيرة، ويدل كم الخلاف بينهم فيما يمكن أن يقترح ضمن معيار (Kohäsion)، وفي ذلك نرى خلافاً واضحاً حول وضع عدد من القضايا التي تهد من صلب البحث النصي، ولنا حول هذه الجزئية عودة في قابل من البحث.

على أنسنا تخبر مدى فاعلية هذه المعايير وتحققتها في دراسات الباحثين في الإعجاز القرآني، ولا بد أن الوجه إلى أن الإفادة من هذه الأفكار والتصورات الغربية في معالجة مشكل عربي أصيل، ليس نوعاً من الترف، وإنما تفرض/تحتم طبيعة البحث عرضها ومناقশتها في ظل أفكار القدماء (التراث) بتلك التي توصل إليها البحث النصي في وقته الراهن، ومن ثم فإن المقارنة تفيد في إضاءة القديم والكشف عن جواهيه النيرة، ولا يفوتنا أن نأخذ في الاعتبار الفروق التاريخية التي أفرزت كلّاً منهم.

وإذا ما كان ما ورد من عناصر لها قيمتها في التحليل الكاشف عن إعجاز القرآن الكريم، فإنني أقرر أن كثيراً من هذه المفاهيم قد ورد عند أصحاب الرسائل عرضاً، أقصد عدم تحديد فحواها بشكل دقيق لم يكن قد تشكل بعد.

ولهذا يلاحظ أن مفهوم التلازم/الملازمة/الاختلاف عند أصحاب الرسائل في البحث في الإعجاز ثقل مفاهيم ديناميكية وليس استاتيكية، وبالتالي فإن معاناتها متغيرة حسب السياقات، ولهذا فإن التصور النهائي/الأخير لها لم يكن قد استقر بعد، وربما يكون هذا الأمر هو الذي جعل الباحثين يتحاشون ترجمته كمقابل للمصطلح (Kohärenz) وفضلوا عليه : الانسجام، الاتساق، الحبكة، التنساق، التقارب، التماسك، وكلها عناصر مرتبطة بالجواب المعنوية للنص.

وهي رؤى مختلفة عن رؤى أصحاب المؤلفات من الباحثين في الإعجاز، إذ حاولوا جاهدين أن تكون هذه العناصر(الماءير) المستعملة محددة، وأكثر وضوحاً، ومن هنا جاءت فيما تشبه المفارقة. وإذا كانت ثمة بعض العناصر التي اتفق حوها الباحثون في الإعجاز مع التيار البلاغي(المعاني، البيان، البديع) ومباحث النحو الوظيفي، فإن هذه العناصر المكونة لهذه التيارات، تمحاج ل فيما أرى إلى إعادة رصد، موضوعات المداخلات في الرؤى بين أصحاب البحث في الإعجاز، للمقارنة المنهجية بشكل واضح ومحدد .

ولا رب أن تناول هذه العناصر بالمناقشة والتحليل على ذلك الاتساق والانتظام التي جاءت على هيئة قبلأ، يحتاج إلى فضل بيان، وتوضيح يستجلی دورها في السياك والحبكة أجزاء النص .

كما تبين المداخلات والمقاربات بين الاتجاهات المختلفة في الثقافة العربية مدى توظيفها للكشف عن أوجه الإعجاز، كما تم بيان ذلك في موضع ذلك من البحث (ينظر : ٢/٣ من البحث) ومن ثم فإن التعرض لثل هذه العناصر بالمناقشة والتحليل، إنما يكشف بشكل وثيق عن كيفية تفاعل مظاهر السياك والحبكة لإبراز النص .

على أية حال فإننا ن تعرض فقط ، لما يمكن أن يقدم إسهاماً واعياً للنظرية التحورية وتكامل جوابها عند الباحثين في الإعجاز، وإذا كانت الدراسات اللغویة التي قامت حول مفهوم

"النظم" عند البرجاني، فإني أراها قضية تحتاج إلى إعادة رصد، لاستخلاص المعايير الثوابي/معنى المعنى؛ إنصافاً لأولئك القوم الذين خلّموا اللغة مخلصين . هذا التصور الأولى لقضية الإعجاز، يحاول أن يقرأ ما كتب من خلال تصورات وأدلة مطعمة بالكلار حديثة للمقاربة المنهجية بين ما هو قديم (البحث في الإعجاز)، وما هو معاصر (المسانيد النصية) .

ولعل مقصودنا في ذلك ما اصطلاح عليه في الدرس النصي بالسبك (Kohäsion) والمحبكة (Kohärenz) والحوابن الأخرى من المعايير . ونقصد بالسبك تلك الوسائل اللغوية التي تتحقق بها الاستمرارية والاتصال لظاهر النص (Surface text)، وتعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي تنطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي خطتها أو نراها بما هي كم متصل على صفححة الورق... أما الحبكة يختص بالاستمرارية المنحقة في عالم النص Textual Concepts وتعني بما الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة من المفاهيم Relations الرابطة بين هذه المفاهيم<sup>(١)</sup>. مكونين فيما بينهما تصويراً في النفس فيما تعارف عليه باللغة، حسب تعبير الخطابي .

وأحسب أن هذه الأدلة والصورات المجزئية/الأولية خد لها معاجلة تراثية، نشير إلى أنها بدأت في الدرس التقديي سواء عند المحافظ والأمدي والعسكري وأبن رشيق وغيرهم<sup>(٢)</sup>، فيما عرف بقضية "اللقط والمعنى"<sup>(٣)</sup> في النقد الأدبي، وقد كتب الباحثون حولها دراسات أصيلة، جعلت منها صفة مائزة في البحث التقديي بمصفحة خاصة .

(١) د. سعد مصلوح : نحو أجرامية للنص الشعري ص ١٥٤ ، وينظر الأدلة دائماً :

S. J. Schmidt : *Texttheorie*, S. 154, 158

(\*) يتفق هذا الاستنتاج مع ما ذهب إليه د. متى سلطان حول المذاخلات بين هذه المعايير عند أصحاب النحو والتقد الأدبي والبحث في الإعجاز، إعجاز القرآن بين المعزلة والأشاعرة ص ١٤٥ : ١٥١ .

(2) يرى د. درويش الجندي أن قضية "اللقط والمعنى" يزرت نتيجة الجدل الدائر حول قدم القرآن وحدوده وما استند في ماهية الكلام . ولقد اتصل الفقهاء بهذه القضية، كما اتصل المتكلمون . نظرية عبد القاهر في النظم من ٢٧ وما بعدها . كما قدم د. عاطف جودة نصر عرضها قياماً موسعاً حول قضية "اللقط والمعنى" تحت عنوان : التفسير ومشكلة اللقط والمعنى . مسجداً هذه القضية بالتحليل في الثالثة العربية الإسلامية من ناحية، وعلاقتها -

ولعل إفساده الباحثين في الإعجاز من مثل هذه التصورات المطروحة عند التيارات الأخرى أدى إلى الكشف عن جوانب ثورية من النص القرآني، الأمر الذي أدى بالخطابي والرماني الاستعارة بمثل هذه المفاهيم والتصورات المستعملة في التيارات التقديمة والأدبية. ولا ريب أنهم أضافوا إليها وحاولوا تطبيقها خدمة قضية الإعجاز، مما أفضى في النهاية إلى أن ينطر لها خطوات متقدمة متمثلة عندهم في نظرية "النظم"، وإن لم تأخذ التصور النهائي، الأمر الذي أفاد منه عبد الجبار فيما عرف عنده بـ"الفصاححة" ورسختها الجرجاني فيما عرف بـ"النظم"، وهو مكمن الإعجاز القرآني عندهم، وربما يخلص في هذا السياق إلى ذلك البدء الذي ذهبوا إليه وهي قضية "اللفظ والمعنى"، وهو يقابل ما اصطلاح على تسميته بالسبك والحبك، إن جاز مثل هذا التثنية.

وقد وردت هذه العناصر في مواضع متفرقة عند الباحثين في الإعجاز، بما أدى إلى بعضها. وتبيّن الإشارة إلى أن مثل هذه الرؤية لا تتفق مدى الإمام الوعي لديهم بذلك هذه المواتز والتباينات التي يقررها المعنون بـ"نحو النص".

وببناء عليه، فإنه قد أدى بالباحثين في الإعجاز إلى معالجة هذه القضايا منشأة على تلك الطريقة المسلوكة عندهم، غير أنها حاولت توزيع مثل هذه العناصر مجتمعة، والحال أيضاً لقضايا الحبك (Kohärenz)، كما أن ثمة قضايا تقع الموقعين معًا، وأحسب أن جل قضايا السبك والحبك تتدرج ضمن هذا الإطار باستثناء الحالات التي تأتي الإشارة إليها في حينها.

٤/٢: المفاهيم والتصورات عند الباحثين في الإعجاز وعلاقتها بـ"نحو الجملة":  
قتل هذه المرحلة ما ورد عند الخطابي والرماني، فقد عرف الخطابي النظم بقوله: هي التي بما يكون انتلالها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصل بالختار الأفضل عن الأحسن من وجهها إلى أن يأتوا بكلام مثله<sup>(١)</sup>. وفي موضع آخر، يؤكّد هذه الرؤية بقوله: ولا نرى نظماً أحسن تائفاً

=بالفكر اليوناني من ناحية أخرى. النص الشعري ومشكلات التفسير من ٩٩ : ١١٤. وفي موضع آخر يرجع ثانية اللفظ والمعنى إلى ثاليات متعددة في الثقافات كلها من ٦٨.

(1) الخطابي: بيان إعجاز القرآن من ٢٤.

وأشد تلازمًاً وتشابكًاً من نظمه<sup>(١)</sup>. وفي موضع ثالث يقول : وأما رسوم النظم، فالنهاية إلى الفقافة والهدف فيها أكثر، لأنها جام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تتنظم أجزاء الكلام ويتشتم بعضه بعضاً، فتقوم له صورة في الذهن يتشكل بما البيان<sup>(٢)</sup>.

ونستطيع أن نستظهر عدداً من المبادئ النصية في هذه النصوص الثلاثة التي اقتطعها مما هو وارد عند الخطاطي، فيظهر النص الأول: الانسلاخ/التأليف، الارتباط، التلازم والتشابك، وجامع هذه العناصر كلها "النظم" ، وبالتالي يمكننا القول " إن التلازم، الارتباط، التشابك مظاهر مختلفة لمعنى واحد. كما تشير النصوص عند الرماني إلى ذلك الارتباط الواقع بينهم، وإذا كان النظم هو العنصر الرابط لكل هذه العناصر، أو بتعبير أدق لمعياري السبك والحبك المختصان بالنص .



وفي هذه السرورة اتفاق مع ما ذهب إليه د. سعيد بحري بقوله: ارتباط مصطلح النظم بالتأليف والتشابك، وكذلك تضمن نظوم التأليف للألفاظ والمعاني معاً، غير أن دخول الأولى لازم أولاً لتحقيق وجود الثانية، وتلك إضافة أخرى أسهمت في اتساع دلالة المصطلح لديه، فقد جعل من أشكال النظم (رسوم النظم) ضابطاً للألفاظ والمعاني معاً<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ أن النص الثالث (بيان إعجاز القرآن ص ٣٣) تأكيد على ما ورد في المرضعين السابقين، ومن ثم فالنظم عنده يشتمل على خاصتين، الأولى : التلازم (حبك) . الثانية : الارتباط (سبك)، أو ما يمكن أن نطلق عليهما معاً سبكًا وحبكًا، ومن هنا يأتي الانسلاخ كمقابل للحبك والارتباط مقابلًا موضوعياً للسبك .

(١) السابق : الموضع ذاته.

(٢) السابق ص ٣٣.

(٣) د. سعيد بحري : الفصل والفسر في نظرية النظم (معانى النحو) عدد القاهرة الجرجانى من ١٦٥.

وإذا ما عمقنا النظر، وأخذنا نفكك تلك الشفرة اللغوية في نصوص الخطابي وجدناها مشتملة على خاصتين، الأولى : الاختلاف، وبه تنسق الكلمة مع ما قبلها وما بعدها داخل إطار الجملة، وهكذا تتأثر هذه الجملة على هذا النحو من الاختلاف لصياغة جمل وفقرات ونصوص مترابطة الأجزاء معنويًا. الثاني : أن هذا الاختلاف المعنوي لا بد أن يوازيه عنصر آخر متمثل في العناصر اللغوية الماثلة في الساعبات اللغوية/الجملية. وخلاصة القول حول رؤية الخطابي إن النص اللغوي أو الجملة لكي يتحقق فيها عنصر التواصل والتعبير، ينبغي أن تتحقق فيها هاتان الخاصستان<sup>(١)</sup>. وبناء على ذلك، نلاحظ استخدام "النظم" كمصطلح منذ وقت مبكر، يوجب ملاحظة خصوصيته في تلك المؤلفات التي عاجلت قضية الإعجاز القرآني.

ويؤكد هذا الملاحظ<sup>(٢)</sup> أن "النظم" قد أفاده الجرجاني من نظرية الخطابي التحورية<sup>(٣)</sup>، وسوى بينه وبين "معانٍ النحو" في بعض الحالات، وأحسب أن تلك التفرقة مأخوذة (منقوله) من تلك النصوص التي أوردناها للخطابي، إذ إن معناها قائم على التسوية بين "النظم" من جهة، و"معانٍ النحو" من جهة أخرى. غير أن الجرجاني ذكرها صراحة، الأمر الذي لم يذكره الخطابي مباشرة، وإن كان ما ورد عنده بشكل ضمفي، ويشير "معانٍ النحو" إلى تلك الخاصية المهمة في الاختلاف/الارتباط، فيما تقبل العناصر التحورية، بينما تأتي "المعانٍ"، لتجسد تلك الرؤية المفظية، وهكذا يتضادون عند كل من الخطابي والجرجاني لإنماض النص واتساقه، إذ يقتضي كل عنصر تفسيراً

(١) من الآلات للنظر أن مثل هذا التصور مجده لدى سيبويه في الموازنة بين الجاذب التحوي والدلالي، يقول: فمه سفين حسن وستقيم قبح، وما هو محال كذلك. فاما المستقيم الحسن، فقولك: أتيتك أمس وستأتوك غداً وستأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب ، فقولك: حللت الجبل ، وشربت ماء البحر ، ومحوه ، وأما المستقيم التبيح ، فسان لوضع اللفظ في غير موضعه، نحو قوله: قد زيداً رأيت ، وكـي زيداً يأتـك ، وأشاهـه هذا. وأما الحال الكذب ، فقول: سوف أشرب ماء البحر أمس. الكتاب ٨١.

(٢) ينتظر حصول ذلك: د. سعيد بحيري : الفقصد والتفسير في نظرية النظم (معانٍ النحو) عند عبد القاهر الجرجاني ص ١٥٩.

(٣) خلص الأستاذ وليد محمد مراد إلى أن الخطابي من خلال عدد من النصوص وضع أيدينا على مفتاح نظرية النظم ، وبالتالي يكون الخطابي سباقاً لعبد القاهر لعرفته أسرار الإعجاز ، وهو "النظم". نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية ص ٢٨.

ويقدم جانباً، ليس موجوداً في العنصر الآخر. ويتحقق مع ما خلص إليه أحد الباحثين: بأن الخطابي لا يهتم بفنون القول، وموضوع علوم البلاغة والبيان والدبيع كثيراً في كتابه، بل يجعلها في المقام الثاني، ويجعل الصدارة للنظم ليكشف عن سر الإعجاز فيخالف بذلك سابقه<sup>(١)</sup>.

إذن النظم عند الخطابي يشمل: الارتباط، الاختلاف، المتلازم، التناكل، بعبير الباحثين في الإعجاز، وكلها مظاهر لاتسماك النص والمحبأك أجزاءه الظاهرة والباطنة. وإذا كان اللامز الذي يؤدي معنى: الاختلاف والتناكل عند الخطابي، أشار إليهما على أنهما عناصران مختلفان لمفهوم واحد. أما الارتباط والاختلاف فقد غير عنه الماخرون بأسماء مختلفة، نأى إليها في حيتها في البحث.

وما خلص إليه أن الخطابي كان مرتكزاً على "النظم" ومقصده في ذلك اللفظ والمعنى، أي تضاد العناصر الظاهرة (الارتباط/السلك) مع العناصر الباطنة (الاختلاف/الحبك)، فيما أطلق عليه الجرجاني بالنظم، وبالتالي جاء اهتمامه به في المقام الأول، بينما لم نر شيئاً عن الدبيع إلا في القليل النادر، كما يشير التحليل (ينظر: ٢/٥ من البحث) وجاء اهتمامه بالبيان في الأسرار، وعلى هذا الأساس، فإن مرجمية الإعجاز عنده مردها إلى النظم، وتتمثل أعمال الخطابي في هذا الاتجاه مرحلة مهمة، بناء على رؤيته وعيته ب العلاقة الألفاظ بعضها بعض، ومن هنا يكون قد خطط بمنظوره النظم خطوة مهمة في تاريخ الدراسات اللغوية بوجه عام والدراسات المتعلقة بالإعجاز بوجه خاص مقدماً على الرماني في هذا الصدد.

وبقى السمة الجوهرية الفارقة بين عمل الخطابي والجرجاني، وتمثل في :

١- أن النظم عند الخطابي لا يتجاوز حدود أسوأ الجملة، في مقابل مفهوم "النظم" عند عبد القاهر الذي تجاوز به الجملة إلى العلاقات الداخلية بينها وعلاقات الجمل بعضها بعض وعلاقة الفقرة، ثم علاقة النص أو ما في حكمه. ومن خلال هذا الاستخلاص لا نوافق ما خلص إليه د.البرراوي زهران<sup>(٢)</sup>.

(١) د. محمد زغلول سلام : أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي ص ٢٦٣.

(٢) د. البرراوي زهران : عالم اللغة عند القاهر الجرجاني ص ١٦٦.

—٢— أن عبد القاهر جعل "النظم" الوارد عند الخطاطي نظرية لها مفهومها وعناصرها وتطورها حتى بلغت ذروتها عنده.

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن عناصرية العلام والربط عند الخطاطي، هما الخصائص الأكثـر أهـمية/يسـرورـاً في مـلـهـبـهـ التـحـويـ فيـ الكـشـفـ عـنـ إـعـجـازـ الـقـرـآنـ، ومـرـدـ ذـلـكـ يـعـودـ إـلـىـ حـقـيقـيـنـ :

الأولى : إنـماـ يـربـطـانـ اـرـبـاطـاـ وـثـيقـاـ وـمـاـشـراـ بـالـنـصـ، وـهـاـ يـقـعـانـ ضـمـنـ إـطـارـ مـفـهـومـ أـكـبـرـ، يـجـمـعـ بـيـنـهـمـاـ عـنـدـ اـخـطـاطـيـ، وـهـيـ خـاصـيـةـ النـظـمـ .

الثانـيـةـ : أنـ هـاتـيـنـ الـخـاصـيـنـ لـمـ يـجـعـلـ هـمـاـ الـخـطـاطـيـ مـفـهـومـاـ مـعـدـداـ، كـمـفـهـومـيـنـ أـسـاسـيـنـ فيـ تـوـضـيـحـ مـذـهـبـهـ فيـ إـعـجـازـ، غـيرـ أنـ هـذـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـؤـخـدـ بـشـيـءـ منـ الـحـيـطةـ وـالـخـلـفـ، إـذـ ثـمـةـ مـوـاضـعـ مـتـفـرـقةـ مـنـ "لـكـتـهـ" تـدـلـ بـوـضـحـ عـلـىـ أـمـيـتـهـاـ فـيـ إـطـارـ تـلـكـ النـظـرـيـةـ الـتـيـ يـعـمـلـ فـيـ خـالـقـاـ، وـقـدـ أـدـتـ بـهـ هـذـهـ الرـزـقـةـ إـلـىـ دـوـرـانـ هـذـهـ الـفـاهـيمـ وـاـنـتـشـارـهـاـ فـيـ رـسـالـتـهـ، أـوـ لـتـقـلـ، إـنـمـاـ يـعـدـانـ سـحـورـيـنـ مـهـمـيـنـ مـنـ مـحـاـورـ الـبـحـثـ وـالـتـحـلـيلـ .

وـمـاـ تـجـدرـ الإـشـارـةـ إـلـيـ أـيـضاـ، أـنـ الـمـعـايـرـ الـثـالـثـةـ الـمـخـصـصـةـ بـالـتـالـيـفـ، تـرـكـزـ عـلـىـ جـوـالـبـ تـخـصـصـ بـالـلـفـةـ، فـيـمـاـ يـنـتـصـرـ بـ"ـالـتـافـرـ"ـ الـذـيـ يـعـكـسـ صـعـوبـةـ فـيـ النـطقـ ؛ـ تـيـجـةـ لـلـقـارـبـ الـمـعـرجـيـ، بـيـسـنـمـاـ يـبـقـيـ ثـمـةـ تـأـلـيفـ مـتـلـاـمـ فـيـ الطـبـقـةـ الـوـسـطـيـ، فـيـ مـقـابـلـ الـمـعـيـارـ الـذـيـ يـؤـدـيـ إـلـىـ التـافـرـ. وـيـانـيـ الـمـعـيـارـ الـثـالـثـ: الـمـلـاـمـ فـيـ الطـبـقـةـ الـعـلـيـاـ، يـمـثـلـ الـقـرـآنـ الـكـرـمـ، وـيـعـكـسـ هـذـهـ الـعـرـضـ بـوـضـحـ مـدـىـ الـخـصـاصـيـةـ "ـالـتـالـيـفـ"ـ بـالـجـانـبـ الـلـفـظـيـ، فـيـمـاـ يـنـتـصـرـ "ـالـلـاـلـاـمـ"ـ بـالـجـانـبـ الـمـعـوـيـ كـمـقـابـلـ مـوـضـعـيـ لـمـاـ هـوـ عـنـدـ الـعـيـنـ بـ"ـخـوـ النـصـ"ـ .

فـيـ حـينـ يـأـتـيـ "ـالـلـاـلـاـمـ"ـ عـنـ الرـمـاـيـ، يـقـصـدـ بـهـ الشـقـ الـمـعـنـوـيـ، إـذـ هـوـ نـقـيـعـنـ التـافـرـ، وـهـوـ الـلـاـلـاـمـ — تـعـدـيلـ الـحـرـوـفـ فـيـ التـالـيـفـ<sup>(١)</sup>ـ. وـهـذـاـ يـأـتـيـ كـمـقـابـلـ خـاصـيـةـ "ـالـتـالـيـفـ"ـ الـخـصـصـيـةـ بـالـبـيـنـةـ الـلـفـوـيـةـ الـمـمـثـلـةـ عـلـىـ الـوـرـقـ، مـاـ يـؤـكـدـ هـذـهـ الرـزـقـةـ .

(١) الرـمـاـيـ: الـنـكـتـ فـيـ إـعـجـازـ الـقـرـآنـ صـ ٨٧ـ. وـبـرـىـ دـ. شـرقـيـ هـنـيفـ أـنـ الرـمـاـيـ استـمـدـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ مـنـ كـلـامـ الـخـاطـطـيـ فـيـ بـيـانـهـ عـنـ تـافـرـ الـحـرـوـفـ وـالـكـلـمـاتـ وـمـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ الـكـلـامـ مـنـ تـلـاـمـ، كـانـهـ مـبـكـ سـيـكـاـ وـاحـدـاـ. الـبـلـاغـةـ تـطـوـرـ وـتـارـيخـ صـ ١٠٥ـ، وـبـرـاجـعـ الـأـسـاـذـ وـلـيدـ مـحـمـدـ مرـادـ : نـظـرـةـ الـنـظـمـ ...ـ صـ ٢٦ـ. وـأـمـاـ

وتعتضد هذه الرؤية بتصنيفه التأليف إلى ثلاثة أوجه تختص جميعها بالجانب اللغوي، متناثر ومتلازم في الطبقة الوسطى ومتلازم في الطبقة العليا<sup>(١)</sup>.

وقد فطن أحد الباحثين إلى عناية الرماني باللفظ والمعنى والعلاقة القائلة بينهما، أثناء حديثه عن المثلاتم بين اللفظ والمعنى، والمزاد به حسن النظم ودقة الرصف<sup>(٢)</sup>. وعلاقة هذا الكلام بما هو وارد عند المحافظ، وهي رؤية أدت إلى التداخل بين جوانب مختلفة من جوانب الثقافة العربية، ومن ثم نرى د.الريبيعي يقول: وقد فطن البلاغيون الأدباء إلى أهمية ذلك الترابط، وما يسمى أن يكون عليه قدرًا من الجمال، فكان بذلك واحداً من المقاييس التي تعنى ببراعة العلاقات بين تلك العناصر والمكونات، وقد عبروا عنه بالفاظ مختلفة أليها: القرآن والاتساع والانسجام والاتحاد والارتباط<sup>(٣)</sup>.

ومن ثم فإننا نستعرض بذلك المقولات في الكشف عن جوانب تتعلق بعذري تلك المعايير، وأولى هذه الملحوظات المشرقة في كتب الإعجاز، أفهم لم يحددوا فحواها تحديداً مباشراً، وقد أدى هذا التصور أن هذه العناصر جاءت فيما تشبه الرؤى الفردية، وقد ذهبوا في البداية إلى :

- ١- أنها تقبل معايير أخذت تغير كل منها بطريقته .
- ٢- أن البدایات هذه العناصر التي أوردتها كتب الإعجاز والنقد والبلاغة، تشير إلى أنها كانت البدایات الأولى، ومن هنا تبدلت في أشكال مختلفة عندهم، فيما تدل جووها على معنى واحد .
- ٣- إفسادة الباحثين في الإعجاز القرآني من تلك العناصر النصية التي وردت في ثانياً كتب البلاغة والنقد بعامة، ييد أنها أخذت تحول إلى معايير أساسية، وقد كتب لبعضها الشروح واللبيسون في حين توارى بعضها بالحجاب، والتبدى مكاناً قصياً من دراسة

ص. درويش الجندى فيشير إلى جانب آخر من جوانب تأثير الرماني بالمحافظ، فيقول: تأثير الرماني بالمحافظ في تقسيم الدلالات إلى اللفظ والإشارة والنقد وال الحال. نظرية عبد القاهر في النظم ص ٣٧.

(١) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ص ٨٧ .

(٢) ولسد محمد مراد: نظرية النظم رقميتها العلمية ... ص ٢٦ ، وهو ينقل كلام د. شوقي ضيف برمته دون أن يشير إليه. ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٥ .

(٣) د. حامد صالح خلف الريبيعي : مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ص ٧٥ .

البحث في الإعجاز القرآني، وتدل معايير : الاتحاد والقرآن على مدى تحقق تلك الفرضية<sup>(١)</sup> وإن كانت تلك هي المصطلحات التي تشكل مفارقات لبني لغوية مختلفة . يتحقق من خلالها الانسجام على مستوى عالم النص .

ومن الملاحظ أن هذه المعايير تدل على ما ذاعت ترجمته بـ"السبك"، وهي الترجمة الأكثر قبولاً وشيوعاً، هي المقلولة من التيار الأدبي<sup>(٢)</sup> والنحووي، فإن ما ورد عند الجاحظ من "القرآن" ولم يتم له النزوع والانتشار كـ(القرآن) الوارد عنده في قوله: وقال أبو نوبل بن سالم لروبة ابن العجاج : يا أبا الجحاف : مت إذا شئت، قال : وكيف ذاك؟ قال : رأيت اليوم عقبة بن رؤبة يشد رجلاً أعزبني قال : إله يقول، لو كان لشعره قران، ويفسر القرآن بالتشابه والموافقة<sup>(٣)</sup> وكذلك "الاتحاد" الذي ورد عند الجرجاني .

وأحسب أن مصطلح : القرآن والالئام/اللازم الواردين لدى الجاحظ يؤديان معنى واحداً، بيد أنه إذا كان قد كتب لمصطلح الالئام الشيوخ والمذيع في مجال النقد الأدبي، وفيما يمس جواب الإعجاز القرآني، فإن معيار "القرآن" الموازي له على مستوى البنية الدلالية، سبّبدي المعنى ذالك، غير أنه لم يكتب له ذلك. أما مصطلح "الاتحاد" الذي أورده الجرجاني، فالرأي عندي أنه لم يحظ بقبول لدى الباحثين التاليين للجرجاني، وفضلوا عليه أحد مصطلحات الجاحظ:الالئام/اللازم الذي يعني القرآن .

وبالتالي فإن المباحثين في الإعجاز اللغوي/البلاغي للقرآن الكريم أفادوا من تلك الدراسات التي قامت حول الأدب في الكشف عن وجوه إعجازه، وإن كانت تلمع دون أن تصرخ به مباشرة، وبالنطري فإنه على الرغم من أن هذه المعايير عند أصحاب الرسائل، لم يتعدد لها معنى يخصها ويجمعها، إلا أنه قد بدأت تتشكل لها ملامح جوهريّة مازرة، تجعل منها معايير

(١) السابق ص ٢٧٥ .

(٢) يقول الجاحظ : وأجدور الشعر ما رأيته ملائم الأجزاء سهل الخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراضاً واحداً وسبكَ واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان. البيان والتبيين ٦٧/١ . ويقول أسماء بن منقذ ، وأما السبك ، فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره .... ولهذا قيل : غير الكلام الضبوك الذي يأخذ ببعضه برباع بعض. البديع في نقد الشعر من ١٦٣ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٦٨/١ .

قابلة فيما بعد أن ت نحو نحو المفاهيم. الأمر الذي تبدت قسماته بوضوح فيما بعد عند المتأخرین (السيوطی) من أصحاب هذا الاتجاه.

وما تجدر الإشارة إليه أن تلك المعايير التي أشارت إليها الكتب المعنية بالنص، وأخص بالذكر معياري النصية الأولين، فيما يختص بالنص، كان أصحاب الاتجاه النقدي أيضًا على وعي تام بهما، وقد شبه ابن طباطبیا العلوی السبلک بالجسد والحبک بالروح، يقول : واذ قلت قال الحکماء إن للكلام جسداً وروحاً، فجسمه النطق وروحه معناه، فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة لطيفة مقبولة مستحسنة بمحنة خيبة الساعي له والظاهر بعقله إلى مسوقة عشق التأمل في محاسنه والمستغرس في بداعه، فيحسبه جسماً ويتحققه روحًا؛ أي يتفق لفظاً ويدعه معنى.... بل يسوئي أعضاءه وزناً ويعدل أجزاءه تاليفاً ويجعل صورته إصابة، ويكتثر رونقه اختصاراً، ويكرم عنصره صدقًا...<sup>(١)</sup>.

وثمة رأي للدکتور العبد يرى فيه أنه فضلاً عن مفهوم الحبک نرى في مصادر التراث البلاخي مفاهيم أخرى ارتبطت بسياقها اللغوية في الدلالة على ما يدل عليه الحبک أو شيء ما يدل عليه، فالاتصال والإمداد والاتمام والاتحام والتلامم والاتساق والاتلاف والاقتران والارتباط والملائمة والمناسبة والتناسب وغيرها. لعل الاتمام والتتساب والاتساق أدناها إلى مجال اختصاص الحبک المعنوي وأنها عن الاتتساب والانتقال بالدلالة على خواص أخرى لنظرية<sup>(٢)</sup>.

غير أنني أسجل شيئاً يتعلق بتلك المعايير التي أشار إليها د. العبد على أنها خواص "الحبک" أو ما يدل عليه، حسب تعبيره، فذكر الاتمام، التلامم، الاتقرب، الارتباط، وأحسب أن مثل هذه المعايير التي أوردتها يمكن للمعيار الواحد أن يأتی بأكثر من دلالة، ولا أدل على ذلك من المناقشة الواردة غالباً، ولم لا؟ والمسايليون المعاصرین مختلفون فيما بينهم في ترجمة مصطلح Kohänsion و Kohärenz في العربية (ينظر: هامش ١/٥، ٢ من البحث). وما ظنني بهذه

(١) ابن طباطبیا: عیار الشعر ص ٢٠٤ ، لا يتسع المقام لذكر كل النصوص ، ونكتفي بما من النص تمهیلاً للعکرار ، ومن شاء فليرجع ثمة في ص ٢٠٩ - ٢١٣ من الكتاب.

(٢) د. محمد العبد : حبک النص ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

المفاهيم إلا أنها لم تكن واضحة في تلك الحقبة، وكانت السياقات هي الفيصل في تحديد مقصود لها، فالالتحام يفيد عدداً من المعانٍ عند الجرجاني<sup>(١)</sup>، ونوجز تلك التصورات في المخاور التالية :

- ١— الالتحام بين أجزاء الكلام .
- ٢— الالتحام بين المعنى النحوي والمعنى المراد .
- ٣— الالتحام بين معانٍ الألفاظ .

ومن ثم، فإن معانٍه متغيرة تبعاً لغير السياقات المختلفة، ويؤكد ذلك الروية أن "الالتحام" في رقم (١) يرتبط بالجانب اللغوي المتحقق على سطح القرطاس، وهو ما يتحقق في عدد من الظواهر البلاغية التي تقوم على عنصرٍ لغويٍ أو أكثر، كالقسم والتفسير والجنس والطابق، ورد العجز على المصدر، وما إلى ذلك من الظواهر التي تقوم على الاستيفاء أو الاستدعاء . كما يؤكد ذلك الروية التي خلصنا إليها، أن "الالتحام" يتعلّق بالحوافر اللغوية المتحققة على السطح، أن أبو هلال العسكري، قد وقف على الأبعاد البلاغية للالتحام والترابط في بعض الظواهر، فقال عن التعشّي: هو أن يكون مبدأ الكلام يبني عن مقطعه، وأوله يخبر بأخره، وصدره يشهد بعجزه حتى لو سمعت شرعاً وعرفت رواية، ثم سمعت صدر بيت منه، وفقت على عجزه، قبل بلوغ السماع له، وخير الشعر بما تسابق صدوره أعجزه أو معانٍه وألفاظه، فتراء سلساً في النظام جارياً على اللسان، لا يتعال ولا يتأثر، كأنه سبيكة مفرغة أو شيء منضم، أو عقد منظم من جوهر متشاكل<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من التحديد الموجز الذي عرض له د.الربيعي، إلا أنه أثناء مناقشته لمفهوم "الالتحام" وبالتحديد ما يتعلّق برقم (١) : الجانب اللغوي الصرف، خلط بشكل واضح بين المقصود في رقم (١) و(٢)، فقال: إذا صحي أن مقياس "الالتحام" يتحقق بالظواهر التي تقوم على عنصرٍ أو أكثر، فيمكن أن يكون الكلام على التعلق والتضام في مبحث الفصل والوصل داخلاً في هذا المستوى من مقياس "الالتحام"؛ لأن فكرة الالتمام والمناسبة من أهم الأسس التي

(١) ينظر د. حامد صالح خلف الريبي: مقياس البلاغة بين الأدباء والعلماء من ص ٢٨٢ - ٢٩٧.

(٢) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعين : الشعر والنشر ص ٤٢٥.

قامت عليها دراسة الفصل والوصل في التراث البلاغي<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أن معيار "الفصل والوصل" لا يتعلّق فقط بالجانب اللغطي، وإنما يرتبط من جهة أخرى بالجانب الدلالي، وبالتالي يمكن القول إنه يتعمّى إلى الظواهر اللغوية المتمثلة على السطح أصلًا، وإلى عالم النص بالبعية، بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

وتasisاً على ذلك، وجدنا عدداً من المناصر التي جاءت بشكل موجز كـ: العلائم والتشابكـ والملازمة والقرآن والاتساعـ كمناصر دالة على خاصية الحبـ، في حين يأتي الارتباط والتأليفـ كمناصر مقاولة دالة على خاصية السبكـ، والرأي عندي أن ما جاء حول هذه الخاصية عند أصحاب الرسائلـ، يمثل رؤى أولى للفقهـاـ الخالقـون في الإعجازـ القرآـنيـ وغواـ المكارـهاـ، ولنا في ذلك أدلةـ، تكشف عنها النقـابـ في حينهاـ من البحثـ.

#### ٤/٣: المكون البلاغي في نظرية "نحو الجملة" من منظور الباحثين في الإعجاز

##### القرآن:

ثمة عدد من الأفكار البلاغية التي أشار إليها الخطابي والرماني تختص بالتحليل، فإذا كان الرماني قد أرجع الإعجاز إلى جواب بلاغية بمحنة، منها ما هو لفظي كالعلائم والقواعد والتجانس والتصريف والتضمين، ومنها ما هو معنوي كالإيجاز والتشبيه والاستعارة والبالغة والبيان، فبيان كل ذلك إنما هي قضايا جزئية، تتعلق باللغة والمعنى في محاولة للمقاربة النصية بينهما، وبناء على هذا النهج يقي في إطاره العام، في حدود الجملة، إذ لم يشر الخطابي والرماني إلى معاجلة نصية متكاملة من خلال النص القرآـنيـ، وبالتالي جاءت مثل هذه الجوابـ في معاجلات مقتضبةـ، وتعد إشارـتهاـ في هذا السياقـ مؤشرـاً فعليـاًـ في هذا الاتجـاهـ، أشارـ لهاـ ضمنـياـ، وإن لم يصرـ بذلكـ.

غير أن التعـليلـ والمناقشةـ تكشفـ عن أوجهـ مفارقةـ الرمـانيـ في جوهرـ نـظرـيـتهـ للخطابـ، إذ يـسرـفـ فـكرةـ النـظمـ كـمـعـولـ عـلـيـهاـ سـرـ الإـعـجازـ، وـمـنـ ثـمـ رـأـيـاهـ يـتـوجـهـ تـلـقاءـ الـبلاغـةـ المـعـيارـيةـ

(١) د. حامد صالح حلف الريبي: مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء من ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

الخالصة، في حين يرجع الخطاب الإعجازي إلى النظم، وإن لم يكن عنده قد بلغ ذلك المبلغ عند البرجائي في الدليل، كما سيأتي.

كما تعكس دراستهما جوانب مهمة من جوانب تحليل/تفسير أوجه الإعجاز القرآني، حيث لم تكن قضياباً البلاحة قد بدأت ملامحها الأساسية تتضح. ومن ثم فإنما عندنا تشمل قضياباً بلاغية عامة، وهكذا احتشدت قضياباً بلاغية كبيرة، أرجع إليها الرماني الإعجاز، إلا أن البديع(البلاغة) على الرغم من أهميته والمعلول عليه في "نحو النص" لم يأخذ حيزاً مرموقاً من نظرية الخطابي والرماني في ظل تحليل قضياباً الإعجاز.

وتبين الإشارة إلى أن هذه المراجعة عندنا لم تكن قد اتضحت دعائمه الأساسية بعد، وإن وجدت فيها بذور، تعد امتداداً لما أورده الجاحظ، ورؤياً أفاد منها كل الباحثين في الإعجاز بشكل عام. ييد أن الرؤية العامة لديهما على الرغم من التطوير(التحديث) لمفهوم النظم المأخوذ عن الجاحظ، إلا أن تحليلها ظل في مجموعة النهائي لم يعد إطار "نحو الجملة"، وتعد هذه صمة جوهيرية يتميز بها تحليل جوانب الإعجاز في هذه المرحلة (مجموعة الرسائل).

وعلى الرغم من أن الباحثين في الإعجاز بشكل عام، يرون أن البالغان لم يكن له إسهام فعلي، زيادة على ما جاء عن السابقين، كجاحظ والخطابي والرماني، ييد أنه لا تتفق معهم، إذ نرى معاجلة متكاملة لبعض السور القرآنية والقصائد الشعرية والخطب الشرعية التي تشير ضمناً إلى الملامح الفارقة بين اتجاه الباقياني واتجاه السابقين له في تحليل جوانب الإعجاز ببدأت ملامحه تتضح. ومن ثم للاحظ توسيعاً للمجوائب الأساسية لمفهوم البلاغة، خلافاً لما جاء عند الخطابي والرماني بشكل خاص، وهكذا نلاحظ سمات خاصة لدى الباقياني، وإن لم يستطع أن يبلور نظريته في شكلها النهائي. صحيح هي رؤية أكثر تقدماً، ييد أنه استطاع – على الرغم من مسايرته للسابقين – أن يضيف/يطور جوانب التحليل والكشف عن جوانب الإعجاز، وهكذا بدأ ملامح الكشف والتحليل في القرآن تخطو خطوات حديثة على يد الباقياني، في أنها ولت وجهتها شطر "نحو النص" ضمناً، وإن لم يصرح به مباشرة.

وإذا كان د. شوقي ضيف<sup>(١)</sup> يرى أن الرماني يرفض أن يكون "البيع" داخلاً في الإعجاز؛ لأنه يدخل في نطاق الطاقة البشرية. فإني لا أوافقه فيما ذهب إليه، حيث كان البيع هي بعفي / يشمل كل أنواع البلاغة التي عرفت التقسيمات فيما بعد الإمام عبد القاهر، صحيح هي في مقدور البشر، إلا أن هذا لا يمنع من توظيف مثل هذه العناصر تبعاً للسياقات المختلفة، خاصة إذا كانت مفروضة فرضاً، ومن ثم فإن عناصر البيع/البلاغة يمكن أن تقدم روئي جديدة توظف في "نحو النص" العربي .

وفي هذا السياق حسي من تبرير أمور نستجلب فيها الركائز الأساسية، وهي مبادئ جوهريّة مالزوة لهذه الحقيقة من البحث في "نحو الجملة" للبحث في الإعجاز :

- ١— أن دراسات الباحثين في هذه المرحلة، قد دارت حول قضايا عامة، وبالتالي فإنها تتخلّ ملاحظات منتشرة، يُشلّها الجاحظ في "البيان والتبيين"، وبعض الدراسات النقدية كـ"عيار الشعر" لابن طباطبا. والموازنة للأمدي والوساطة بين المتنبي وخصومه لعلى الجرجاني .
- ٢— العلاقة بين المفاهيم والتصورات القائمة في دراسات الأدب والنقد، وتأثير ذلك على المفاهيم والتصورات عند الباحثين في الإعجاز .
- ٣— يلاحظ أنه على الرغم من وجود مصطلح "النظم" عند الجاحظ الذي جاء اهتمامه به في ظل قضية بقية مثار خلاف بين الباحثين (اللفظ والمعنى في النقد الأدبي)؛ أي أنها دراسات لم تتعدد الاهتمام بـ"نحو الجملة"، وبالتالي ظلت بحوثهم في إطار حدود علالة الكلمات بعضها ببعض، ومن هنا جاء اهتمامها بالتشبيه والكتابية والاستعارة والبيان والإيجاز، ولكنها دعائم/مرتكزات أساسية لـ"نحو الجملة" .
- ٤— على الرغم من أن هذه المرحلة، بقية في إطارها العام لم تتعدد حدود "نحو الجملة" بيد أن المفاهيم والتصورات أخذت شكلاً مقدماً، أكثر مما كانت عليه عندهم، ويعمل البالغلي هذه المرحلة .

---

(١) د. شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ من ١١٢.

#### ٤ / ٤: المفاهيم والتصورات عند الباحثين في الإعجاز وعلاقتها بـ "نحو النص":

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "النظم" كان شائعاً في بيئة الأشاعرة، خلافاً للمعترفة (باستثناء الجاحظ) وإن كان مرده عندهما واحداً، الذي خالف فرقه في استعمال المصطلح. ولعل عبد الجبار المعترفي تعرض له في رده للإعجاز إلى "النظم". ويرى الباقلاني أنه بدأ بفتح النظم عجيب التأليف متنه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه<sup>(١)</sup>.

ويعلق د. عبد الرزوف علوف على تلك الرؤية بقوله: وهكذا نراه وقد رد الإعجاز في القرآن إلى أنه بدأ بفتح النظم وتأليف التأليف، وراح يفصل ذلك من عدة وجوه<sup>(٢)</sup>. إلا أن ما يمكن قوله في هذا الموضوع إن "النظم" الوارد عند الباقلاني، على الرغم من تأثيره بالسابقين، إلا أنه أضاف إليه، ذلك أن النظم، كما هو وارد عند الرامي والخطاطي، بشكل عام، لا يعمد علاوة الكلمات داخل الجملة، وبالتالي يدور مفهومه في إطار الجملة، التي تعد مناطق التحليل عبد النحاة، إلا أن الباقلاني أثناء التحليل، غالباً يلاحظ استشهاده بعدد من السور والقصائد كاملة، الأمر الذي يشير ضمناً إلى أن مفهوم "النظم" عنده بدأ يأخذ شكلاً مغايراً، يتعدى الجملة إلى الجملة والفقرة والنص كله عنده، حيث أدار البحث في النظم على أنه الشاست في جملة القرآن، أو في سور كاملة، وليس النظم في جملة أو في آية<sup>(٣)</sup>. ويؤكد أن ثلاثة عنصرين مهمين:

الأول : العلاقات بين هذه العناصر، وتعادل عبد الباقلاني صور البداع.

الثاني : العلاقات بين هذه العناصر، ويعادل عبد صاحبنا النظم والتأليف<sup>(٤)</sup>. وبالتالي فإنه لا يرد الإعجاز إلى عنصر واحد، وإنما يجعل له المكانة العظمى، ولا ينقص من قيمة الجانب البداعي،

(\*) يلاحظ د. شوقي ضيف أن الباقلاني في هذا النص متاثر بروبيتين مختلفتين، الأولى : في الشطر الأول : إنه بدأ بفتح النظم عجيب التأليف ، بالجاحظ الذي أرجع إعجاز القرآن إلى نظميه ... أما الشطر الثاني من التعريف ، فيتأثر فيه ببرقية الرامي التي ترى أن القرآن يرفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة. البلاغة تطور وتاريخ من

١١٣

(1) الباقلاني : إعجاز القرآن ص ٥١.

(2) د. عبد الرزوف علوف : الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية من ١٨٥.

(3) ينظر السابق ص ٣٠٥ .

(4) السابق : الموضع ذاته .

فبرى د. شوقي ضيف<sup>(١)</sup> أن البديع، لا يعول الباقلاني عليه شئ من الإعجاز، غير أنها نرجح أنه يأتي عنده في مقام ثان أو مرتبة ثانية ومن ثم يكون النظم أولاً والبديع ثانياً، وإذا كانت رؤية د. شوقي ضيف<sup>(٢)</sup> قالمة على أن الباقلاني لم يقدم شيئاً يتعلّق بقضية النظم، إلا ما أخذه عن السابقين، فإن د. عبد الرزوف مختلف يرى : أن النظم عند الباقلاني، ليس إلا وضع الألفاظ المفردة في الجملة، والجمل في العبارات التي تكون أبياتاً أو فقرات من النثر، أو آيات في القرآن، ثم وضع هذه وتلك في الكل وضعاً يتحقق به الفرض الذي يراد من أجله الكلام على أهل صورة مكثة مراعياً في ذلك كله أن الاعبارات والعلاقات مختلف من قائل وقائل من حيث التهدي...<sup>(٣)</sup>

والواقع أنها نوافق ما ذهب إليه د. عبد الرزوف مختلف، خاصة أن الكتاب قد نال مكانة وشهرة بين الباحثين في الإعجاز، بناء على تلك الرؤى التي توصل إليها، في نظرته التنحوية، فيما يتعلق بالإعجاز القرآني، صحيح هو مقارب لرؤى الجرجاني وعبد الجبار في مرجعية الإعجاز، إلا أن ثمة عدداً من النقاط يلتفتون فيها، وإن كانت عند عبد الجبار والجرجاني، أخذت شكلاً مغايراً، إذ أصبحت عندهم مناط الإعجاز، في حين عند الباقلاني رده إلى النظم<sup>(٤)</sup> بشكل أساسي، وبديهي في مرحلة تالية، وإن لم يصل إلى ما في النظم، وبالتالي تختلف هذه مع ما ذهب إلى أن الباقلاني الذي لم يكن يرى في البديع شيئاً يدل على الإعجاز<sup>(٥)</sup>. وقرب من هذه الرؤية

(١) إذ يرى أن الباقلاني أول من هاجم بقوة نظرية إعجاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه ، وأيضاً وجوه البلاغة التي أحصاها الرماي : البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٤ .

(٢) خلص د. شوقي ضيف إلى أن الباقلاني لم يزد في إعجازه عما قاله الجاحظ والرماي قبله البلاغة تطور وساريح ص ١١٤ ، إلا أنه أخذ بفكرة النظم التي نادى بها الخطابي. وينظر د. محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٧٠ . وإلى هذا الرأي نعمل ونرجع .

(٣) د. عبد الرزوف مختلف : الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية من ٣٠٧ .

(٤) يرى د. علي عشري زايد : أن الباقلاني من خلال مناقشه لبعض السور كافية وفصلت وبعض قصائد الشعر كاملاً، يزدلي إلى ما اصطلاح عليه تسميتها بالنظم ، وخلص إلى رؤية دقيقة في هذا الشأن . البلاغة العربية تاريخها . مصادرها . منهاجهها ص ٥٩ .

(٥) ينظر : د. شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٤ .

ما ارتاه د. منير سلطان أن الباقلاني كانت له وقفات طيبة في بيان إعجاز القرآن، الفت إليها وفصل فيها القول: قوة العبر القرآني، وصدقه لصدوره عن الله سبحانه. الوحدة الفنية في القرآن، التأثير النفسي للقرآن<sup>(١)</sup>.

وما يلمس ما نحن حاله تلك الوحدة الفنية التي خلص إليها الباقلاني من تحليله. وما يلفت النظر حول العناصر المكونة لقضايا الإعجاز، إذ ثمة عناصر مشتركة مثلاً زمرة، ومن هنا فإنه يشعرك فيه الرماني والخطابي والباقلاني على السواء من أن "النظم" يعلازم عندهم على "التأليف"، وكان النظم والتأليف هو القاسم المشترك بينهم، إلا أن مصطلح "النظم" هو الذي كتب له الذيع والانتشار وطمر المصطلح الآخر (التأليف)، وأحسب أن المبادى والتصورات الفكرية في البيئة الإسلامية هي التي ساعدت على رسوخ قدم مصطلح "النظم" في بيئة الأشاعرة. غير أن عبد الجبار المعاشر للباقلاني، قد طور مفهوم "النظم" الوارد عند الخطابي، وعبر عنه بقوله: أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة<sup>(٢)</sup>. ومن ثم فإن وعي عبد الجبار لمفهوم النظم بدأ متظروراً مستفيداً في الوقت نفسه من مناقشات الخطابي، ودفع به قدمًا في تاريخ القاضي عبد الإعجاز، وبناء عليه، بما المفهوم واضحًا عنده. وقد وجده الجرجاني ضالته في رؤية القاضي عبد الجبار، وحاول أن يفسرها وبصيغتها في إطار نظرية التحويرية، فيما عرف بـ"نظريّة النظم". وعبد الجبار بتفسيره النظم على هذا النحو يلتقي بالأشاعرة في قوته بالنظم، إن العبرة في الفصاحة التي يتفاصل بها الكلام في موقعه من السياق<sup>(٣)</sup>. ويقول أيضًا: ولذلك لا يصح عند المعزلة أن يكون اختصاص القرآن بطريقته في النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ولا بد من اعتبار الأمرين، وبذلك يخلص إلى نتيجة مفادها، أن عبد الجبار بهذا المفهوم يقترب اقترباً شديداً في توضيحه عن طريق الإعجاز<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعزلة والأشاعرة من ١٠٨.

(٢) القاضي عبد الجبار : المغني ١٩٩/٦.

(٣) وليد محمد مراد : نظرية النظم وقيمها العلمية .... ص ١٧٧.

(٤) السابق : الموضع ذاته .

وعلى الرغم من المفارقة في استعمال "المفاهيم" بين الأشاعرة والمعتزلة، يبقى مفهوم "النظم" عند الجرجاني وـ"الفصاحة" عند القاضي عبد الجبار يكادان يكونان واحداً<sup>(\*)</sup>. إذ ثمة تطور بسمات ملائمه الجلوبية تتخلق، ابتداء من الملاحظ وأخذت تتخض بشكل أكثر بروزاً عند الخطاطي بشكل خاص، وهي – في رأيي – كذلك عند الخطاطي<sup>(\*)</sup> التي مهدت لأذكار عبد الجبار في هذا الشأن، غير أنها ينبغي أن نقر أن عبد الجبار قد خطأ خطوة مهمة مع تعديل (تطوير) مفهوم النظم الوارد عند السابقين، وقد وجده الجرجاني بغيته فيما توصل إليه عبد الجبار حول مفهوم الفصاحة، ووسع مفهومه وبطنه ذرولة، وتقليل آراء الجرجاني جانبيين :

الأول : المفاهيم والتصورات. الثاني : التطبيقي، الذي حاول فيه أن يطبق ذلك في مذهبة النحوى، أو ما أصلح على تسميتها بـ"النظم" فيما كان متداولاً في بيته الأشاعرة.

وعلى الرغم من التطابق العام بين عبد القاهر الجرجاني وعبد الجبار<sup>(\*)</sup> في التصورات والرؤى العامة، إلا أن عبد القاهر وسع المفهوم، وحاول أن يجعل منه نظرية تستوجب الفحص

(\*) أحسب أن رؤية د. عبد الفتاح لاشين حول تأثر عبد القاهر بعد الجبار أكثر إقناعاً. بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ١٠٨ وما بعدها، على الأقل بالنسبة لي وللقارئ بصفة عامة، من تلك التي استند إليها د. فتوّاد على تخيير من أن نظرية النظم عند عبد القاهر، هي نظرية خورية خالصة، ونم يقع التأثر بينهما ، وهو رأي يحتاج إلى إعادة نظر ، وليس المقام مناسبًا لنفصيلات أكثر لا داعي لذكرها . فلسنة عبد القاهر النحوية من ٩٥ وما بعدها ، وقد ذكر فضل : المعانى النحوية قبل عبد الظاهر (ص ٣٣ : ٧٤)، وما يمكن قوله إن جمل الكتاب يقوم على محاولة إثبات أن نظرية النظم قبل عبد القاهر هي خورية خالصة . وإلى هذا المذهب ذهب د. عاطف جودة نصر : النص الشعري ومشكلات المفسر ص ١٢٦ .

(\*) يذهب د. محمد زغلول سلام إلى أن الخطاطي وضع أمامنا صورة للنظم الذي يرى فيه سر الإعجاز، وهذا السريرف الذي وضعه للنظم قريب من فهم عبد القاهر له في "الدلائل". أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٥٩ .

(١) يرى الأستاذ ولسيد محمد مراد في أكثر من موضع أن مفهوم "النظم" عند عبد القاهر يتضمن مع مفهوم "الفصاحة" عبد الجبار . نظرية النظم وقيمها العلمية... ص ١١٤ على سبيل المثال ، وقبلها مباشرة (ص ١١٣) يسقون هنا الرأي ، الأمر الذي أدى به في مواضع متفرقة إلى تناقض الآراء ، وإعادة بعضها وبعض النصوص ، ولن أتبع المؤلف خطوة خطوة ، اكتفاء بذلك الأمثلة . وهو ينقل هذه الرؤية عن د. شوقي ضيف في البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٧ ، ويضع المكاره واحدة بواحدة ، ولا ينسى المقام لطبع هذه المواطن وتفضي-

والدرس، الأمر الذي أملى عليه في "الدلائل" أن يلح عليه؛ لترسيخ فكرته حول هذه النظرية "النظم" أو لعائق الجانب السطحي مع الجانب العميق لإظهار تلك الصورة التي تطبع في النفس على ما ذهب إليه الخطابي والرماني، ويكون الخلاف في ذلك أن آبا هاشم لا يرجع الإعجاز إلى النظم؛ لأنه لا يصلح أن يكون مفسراً لفصاحة الكلام ... وكأنه يرد على الجاحظ الذي يرجح فصاحة الكلام إلى نظمه وطريقته<sup>(١)</sup>. ويعلق عبد الجبار على رأي شيخه بقوله: ولذلك لا يصلح عندنا أن يكون اختصاص القرآن بطريقة من النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعن، ومقى قال قائل: وإنما إن اعتبرت طريقة النظم، فلا بد من اختصار المزية في الفصاحة، فقد عاد لما أردنا<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت الفصاحة عند عبد الجبار لا تظهر إلا بالضم على طريقة مخصوصة، فإن عبد القاهر يحاول أن يشرح أن هذا الضم، ليس مجرد ضم اللفظ إلى اللفظ، أقصد لا بد أن يكون بينهما رابط معنوي، فـ... ضحك خرج فصاحة، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعن في ضم الكلمة إلى الكلمة، نعرض معنى من معانٍ التحو، فيما بينهما، وقولهم : على طريقة مخصوصة، ويوجب ذلك أيضاً<sup>(٣)</sup>. وفي محاولة الجرجاني تقديم تفسيرات جديدة ورحمة لتلك الأفكار الواردة لدى عبد الجبار، حاول أن يقدم تفسيراً لمعنى "الضم" الذي ورد عند عبد الجبار،

ـ ما فيها. على أن التسوية بين "النظم" و "الفصاحة" لا يرتضيه د. فؤاد علي غنيم ويرفض الفائز من أصله، ذلك أن تصورات وأفكار عبد القاهر حول نظرية النظم، إنما هي في الأساس قائمة على منطلقات نحوية . فلسفة عبد القاهر الجرجاني التحوية من ٨٥ وما بعدها ، وهو كلام ينبع إلى أدلة أكثر وهي ما ذكرها في ص ٩٣، لأنما احتمالية وليس بحقيقة، ولا أدل على ذلك أنه عاد في ص ٩٤ وقال: وحق لا نعمض هؤلاء العلماء حقهم نستطيع أن نقول إن عبد القاهر اطلع على مؤلفات سابقه في الدفاع عن الإعجاز القرآني، ولكنه اتبه وجهة جديدة ، وله منهجه الخاص به، وقد جعل في هذا النهج من علم التحو متكتأً على ما غرسه له آلة التحو الأولى ص ٩٤، وهي رؤية لا تتفق مع ما ذهب إليه د. عبد الفتاح لاشين: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار من ٥٢٢.

(١) د. عبد الفتاح لاشين: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ١٦٩.

(٢) القاضي عبد الجبار : المعني . ٢٩٨/١٦.

(٣) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٨٢.

- بأنه توخي معانٍ التحوّل، وحين فسر عبد القاهر نص عبد الجبار<sup>(١)</sup> علّق عليه د. عبد الفتاح لاشين بقوله : أن الجرجاني نقل جزءاً وترك آخر، ولم ينقل النص كاملاً وجعل :
- ١ مفهومها في ذاهنها، حيث الوضع الذي لها عند أهلها والناطقين بها.
  - ٢ مفهومها حين تداول عليها المركبات الإعرابية، ف تكون فاعلاً أو مفعولاً أو صفة أو تبيزاً، وهو ذلك .
  - ٣ مفهومها حين تأخذ مكاناً خاصاً في الكلام ، تقدم أو تأخر<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن الأشاعرة كانوا يعمّسكون بكلمة "النظم" ، بينما مضى المعتزلة منذ أبي هاشم (ت ١٣٩٣هـ) يضعون مكان النظم كلّمة الفصاحة الفالمة على جزالة اللفظ وحسن المعنى، غير أننا ينبغي أن نقر أن النظم لم يكن معاذلاً موضوعياً للفصاحة عند أبي هاشم، وكأنه يرد بذلك على من يرى أن القرآن معجز بنظامه. وهذه هي الرؤية التي جعلت الجرجاني يختار لفظ "نظم" ثلثاً مع مذهب الفكرى، مخالفًا بذلك ما هو شائع في البيئة الاعتزالية مع اصطلاح "اللفظ"

<sup>(١)</sup> ينظر: المفنون ١٩٩/١٦ .

- (2) انتهي د. عبد الفتاح لاشين بعد مقابلة النصوص بين عبد الجبار وعبد القاهر، لإظهار تأثره بالقاضي عبد الجبار، يقول في النهاية: وهذا الإمام عبد القاهر الجرجاني كان متاثراً بالآثار القاضي عبد الجبار في نظرية "النظم" وأنه أخذ هذه المذكرة وطورها وجعل منها عملاً له ميداً وأصول . بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ٥٣١ . وهو في كل ذلك إنما ينقل عن د. شوقي ضيف دون هواة وتروي وتحمّص للنصوص، البلاغة تطور وتأريخ ص ١١٧ وما بعدها، ويرفض د. فؤاد علي مثير هذه الرؤية، بأن الجرجاني لم يتأثر بأراء عبد الجبار ، كيّف وهو يطعن فيه ، ولما تعود إلى أصول لحوية بالدرجة الأولى، بدليل :
- ١ أن الجاحظ نقل نصاً عن الكسائي (ت ١٨٩هـ) يوضح منه إلى أي حد كان العرب يعترفون للنحو بالفعل .

- ٢ على ضوء منهج النحو السابق لابن الجرجاني المسيرة يقول : وقد علمت إبطاق العلماء على نظرية "النظم" فلسفة عبد القاهر الجرجاني التحويّة في دلائل الإعجاز ص ٨٥ ، ثم يعود في ص ٩٣ ، فيقول: فهذا تصريح واضح المقص فيه عبد القاهر برجوع الفضل لأصحابه الذين استطاد منهم ، وعلى ما أعتقد بوضوح الرؤية أفهم النحو ، بل أستطيع أن أجزم بالقول بأنه ليس غير النحو والنحو أساساً :
- ١ أن أصل ثقافته تحويّة ، ولو فيها مؤلفات ، فلذوقه للمعاني قائم من أصل ثقافته .
- بالذور والجلذور التي فرسها النحو الأول للمعاني التحويّة ، ليس في مقدور أحد ص ٩٢

والمعنى" ، وبالتالي نرى الجرجاني في موضع عدة ومنتشرة يوجه النقد إلىهما ، ومن ثم يوجه النقد إلى المعتزلة بشكل ضمفي<sup>(١)</sup> .

والذى يعنينا من هذا ما استعمله الجرجاني "النظم" خلاً لـ للمعتزلة التي استعملت "اللفظ والمعنى" أو "الفصاحة" عند أبي هاشم الجبائى وتلميذه عبد الجبار ، وأظن أن الخلاف ليس خلافاً شكلياً ، وإنما هو خلاف جوهري ، أدى بطبيعة الحال إلى الخلاف النظفى فى كيفية العامل مع المصطلحات المختلفة ، حيث أن الذى يمكن أن تقيده من "النظم" ، إنما يشتمل على مصطلحين:

الأول : الجانب النظفى ، ويتمثل في اللفظ ، واللفظ إنما يتضمن على حقيقة الجانب المتمثل في ظاهر الصنف (Kohäston) .

الثانى : الجانب المعنوى (Kohärenz) وتحقيق رقم (١) مع رقم (٢) ويرتبط بشبكة من العلاقات الداخلية ، ويؤدي انسجام هذين المتصرين إلى انسجام التحوى وتوابع المعنى.

ولعل هذا التصور لمفهوم "النظم" يتفق وما خلص إليه د. مطر سلطان: أن النظم يؤدى إلى المعنى وإلى معنى المعنى ، أي المعنى الإضافية ، والنظام ومعانى ، إنما هي معانى التحوى<sup>(٢)</sup> ، وإذا كانت رؤية د. عز الدين إسماعيل<sup>(٣)</sup> ود. سعيد بمحري<sup>(٤)</sup> أن المعنى الأول المباشر ، إنما يقاد من التركيب التحوى/التابعات الجملية ، في حين يأتي المعنى الثاني/الثوابي (الإضافية) من النظم ، وبالتالي تتحقق هذه الرزبة مع ما حلصنا إليه من أن النظم ، إنما يشتمل على الجانبين معاً (النظفى والسدلى) أو بعبير معاصر: السبك والجblk ، وقد لمح د. درويش الجندى تلك العلاقة بين بنيه المسطوح وبنيه العميق ، فقال : لما كان النظم النظفى دليلاً على النظم المعنوى ، وكانت الصورة المعنوية ، لا يمكن الاستدلال عليها ، إلا بالصورة النظفية التي هي في حقيقة الأمر ظل لتلك الصورة المعنوية ، أطلق القديماء اللفظ ، ونسبوا إليه المزية ، وهم يعنون ما يدل عليه اللفظ من تلك

(١) ينظر د. عبد القادر حسين : أثر التحوى في البحث البلاغي ص ٣٥٩.

(٢) د. مطر سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص ١٣٧ .

(٣) د. عز الدين إسماعيل : قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ص ٣٩ .

(٤) د. سعيد بمحري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٦٨ .

الصورة المعنوية<sup>(١)</sup>. وقد كان مدار الإشكالية عندهم، أيهم أصل الإعجاز : اللفظ أم المعنى أم كلِّيهما معاً؟، ومن ثم نرى الجرجاني يعرض لها من خلال طرح جديد يصلها بالجانب الديني. وإذا كان مفهوم "النظم" عند الجرجاني لا يختلف عنه عند الخطاطي، وإنما الفحوى عندهم جيئاً تكاد تكون واحدة، إلا أن المواتز تبقى مائلة عند عبد القاهر الجرجاني وغيره من السابقين، وتمثل في :

- ١— أن مفهوم النظم عند الجرجاني قد بدا كمصطلح واضح المعالم محمد الأركان.
  - ٢— أن مفهوم النظم كمصطلح عند السابقين عليه (الرمادي الخطاطي) لم يكن قد استقر معهاته النهائي، إلا أن فيه نوعاً من دلالته المصطلح عند الجرجاني.
  - ٣— أن النظم عند الجرجاني قد شمل حيزاً /مساحة تكاد تشغيل دلائل الإعجاز، عارضاً لمعاليه وقواعده ومقاييسه وشروط النظم الجيد من الردى .
  - ٤— صحيح أن النظم ورد عند الباحثين في الإعجاز ، كمفهوم يكاد يكون في مجمله، لما عليه عند الجرجاني، إلا أنها جاءت في مواضع متفرقة، وهي معايير تحتاج إلى بعض التفسير والتدقيق لاستخلاص المعنى، ولم تكن قد صارت مصطلحات واضحة الملامح. شعراناً بما تجده معاجلة عند كل من الخطاطي والرمادي بشكل مبدئي، وبأصول أساسية في هذا المضمار، غير أن هنالك تبايناً نيرزاً هنا، يتمثل في :
- ١— أن مفهوم "النظم" ورد عند كل من الخطاطي والرمادي، إلا أنه لم يكن قد أخذ الصور النهائي الذي هو عليه عند عبد القاهر الجرجاني .
  - ٢— أن مفهوم "النظم" سواء الذي ورد عند الجاحظ وغاية كل من الخطاطي والرمادي ظلل لا يتجاوز حدود أسوار "نحو الجملة" .
  - ٣— أن مفهوم "النظم" قد أخذ شكلًا جديداً ، بداية من الباقلياني، على الرغم من الخلاف مع بعض الباحثين الذي جاء به فضل بيان فيما مضى من البحث .
  - ٤— كانت نظرة عبد الجبار أكثر تطويراً وأقرباً من مفهوم عبد القاهر للنظم التي أفاد منها الجرجاني .

(١) د. درويش الجندي : نظرية عبد القاهر في النظم من ١١٧

٥- بلغت نظرية النظم ذروةً عند عبد القاهر في محاولة منه لتحليل النص، أو ما يطلق عليه بنية النص الكبري .

غير أنها واجدون أن هذه الرواية مفاسدة لما ذهب إليه د. محمد غنيمي هلال، بأن النظم المقصود به علم التراكيب (Syntax)<sup>(١)</sup>، إلا أنه عاد وذكر قضايا تشير إلى أن مفهومه – النظم – أوسع من التراكيب<sup>(٢)</sup>، وذكر بدوره لأفكار الجرجاني عند الجاحظ ، إلا أن أصلته عبد القاهر تجلت في ثورته على معاصريه، يقول: وكان عبد القاهر فضل لا يدانيه فضل في توثيق الصلة بين الصياغة والمعنى، وفي الإعتماد في ذلك بالألفاظ، من حيث دلائلها وموقعها<sup>(٣)</sup> .

إلا أنها تبرز عدداً من البركائز على ما أورده د. غنيمي هلال :

٦- أن عبد القاهر لم يتأثر بالجاحظ فيما يتعلق بفضيل الألفاظ على المعانى، حول تلك الموارك الفكرية الدالة حول تفضيل الألفاظ أو المعانى، فيما عرف في تاريخ النقد العربي القديم بأنصار اللفظ وأنصار المعنى .

وإنما الذي أفاده عبد القاهر الجرجاني من الجاحظ إفادة صريحة أنه لا الألفاظ ولا المعانى لها قيمة في نفسها، وإنما القيمة الحقيقة في تفاعل هذين العنصرين معًا، ومن خلال ما أطلق عليه عبد القاهر بـ"النظم" على أن يكونا مضمومين على طريقة "معانى التسخّر"، وبالتالي فتحن لا توافقه على ما ذهب إليه من تأثير الجرجاني بالجاحظ في قضية اللفظ والمعنى .

٧- إن رأى د. غنيمي هلال (الذي أورده<sup>(٤)</sup>) في تأثير الجرجاني بالجاحظ فيها نظر، ذلك أنه عاد وذكر أن تأثير عبد القاهر بالجاحظ في حسن الألفاظ، إنما يقصد بها الجاحظ الصياغة وملائمة الألفاظ لتصوير المعانى<sup>(٥)</sup> .

(١) د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ص ٢٦٣.

(٢) السابق ص ٢٦٤.

(٣) السابق ص ٢٧٢.

(٤) السابق ص ٢٨٢.

(٥) السابق ص ٢٧٣.

وبالتالي عاد إلى ما ذهب إليه سلفاً (ص ٢٧٢) بما جاء في الصفحة التالية، ونحن بدورنا لافق مع ما ذهب إليه د. غنيمي في رؤيته الأخيرة حول مفهوم النظم: الصياغة وملامحة الألفاظ لتصوير المعاني .

هذه الرؤية التي يمكن أن تسمى في إطار المفهوم النصي لها، أورده د. غنيمي، ذلك أن الصياغة تكمن في علاقة الألفاظ بعضها ببعض، وهو ما يطلق عليه الجرجاني بالمعنى الجزئي (معانٍ النحو). أما ملامحة الصياغة لتصوير المعنى، هو ما نطلق عليه الجانب الداخلي / العميق. وبغير حديث، فإن ما أورده د. غنيمي هلال حول رؤية الجاحظ يمكن تفسيرها بعاليته بالجانب السطحي والعميق أو السبك والحبك، وإن لم تشخص رؤيته حول صياغة نصية محددة. وبالتالي فإن هذه الرؤى تفارق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين<sup>(١)</sup> من اهتمام الجاحظ باللفظ وتفضيله على المعنى .

أعود لمناقشة قضية "النظم" التي اكتسبت — بناء على ما سبق — معنى جديداً، خلافاً لما جاء قبله، صحيح هو مسووق إلى ذلك، كما يقرر هو<sup>(٢)</sup>، إلا أنه قد جعل منه نظرية عليها المسوول فيربط البنية السطحية بالبنية العميق، وتبيّن هذه الرؤية، حين نقل عن البرد فروق الغير، حين ساله الكندي<sup>(٣)</sup>. ليتبين أن النظم مشتمل على الاثنين معاً، وأن اختلاف المعنى مرتب على اختلاف النظم؛ ومن ثم فهو كما يقول أحد الباحثين: خلق من هذه الإشارات العابرة نظرية بلاغية كبرى، أحivotت البلاغة كلها، حتى أصبحت تصب في النظم، ولا تخرج عنه، ولا يعني أن تدرس منفصلة دونه<sup>(٤)</sup>.

على أننا نلاحظ أن الإمام في الدلائل يسوّي بين النظم ومعانٍ النحو دون أن يجعل من معانٍ النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تردد في جملة، ولا تفصيل، خرجت الكلمة المنطقية

(١) ينظر: د. بدوي طبانة : البيان العربي ص ١٦٧، ونقل هذا الرأي د. عاطف جودة نصر : النص الشعري ومشكلات الفسر ص ١٢٨.

(٢) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٦٣.

(٣) ينظر: عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٤٢، د. بدوي طبانة : البيان العربي ص ١٦٥ ، وتفصيلات ذلك أكثر عند د. البدراوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص ١٦٥ - ١٧٤.

(٤) د. عبد القادر حسين : أثر المعاقة في البحث البلاغي ص ٣٦٦.

بعضها في أثر بعض في البيت من الشعر، والفصل من النثر عن أن يكون لكتومها في مواضعها التي وضع فيها موجب ومقتضى<sup>(١)</sup>.

وما يمكن أن نسميه، مؤكدين على تلك الرؤية السابقة، أن "النظم" إنما يحتوي على عنصرين يكمل كل منها الآخر، ودللنا على ذلك أن "معانٍ النحو" المعادل الموضوعي للنظم، وهو يحتوي على عنصرين :

الأول : عنصر معنوي، يمثل في المعاني .

الثاني : عنصر لفظي، يمثل في الجانب التحوي الظاهري .

وهكذا تتكامل المعاني وتداخل الجمل من خلال هذين العنصرين، ويأتي الكلام متسقًا، متاجًا فيما أرى لنظرية النظم التي خلص إليها .

وأحسب أن رؤية الجرجاني للنظم ليست استاتيكية ، بمعنى أن معناه ديناميكي، فيأتي النظم في حروف الكلام، يقول الجرجاني : وأما نظم الكلام، فالأمر ليس فيه كذلك، لأنك تقضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال النظيم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشئ إلى الشئ كيف جاءه واتفقا<sup>(٢)</sup>.

ولذلك هذه الرؤية لدى الجرجاني ما جاء ذكره سلفاً، أن "النظم" يؤكد معنى "معانٍ النحو" غير أنه جعل من النظم نظرية أعم وأشمل من "معانٍ النحو" الأ شخص، وبالتالي يندرج ضمنه عدد من المعاني النفسية واللغوية، الأمر الذي يؤكد للحظ الساقط، أن النظم بناء على المقارنة التي خلصنا إليها، يضم الجانبيين معاً .

وبالتالي فإن النظم يربط بالجانب التركيب/ الجملة أو ما فوق الجملة وما يتعلق بالفقرة وعلاقات الجمل بعضها بعض، ثم علاقة كل ذلك بالنص أو ما في حكمه. ومن هنا نرى الجرجاني يعرفه بأنه " توخي معانٍ النحو في الكلم، وأن توخيها في معون الألفاظ محال " <sup>(٣)</sup>. وبالتالي فإن وجود النظم من خلال التركيب، إنما يجعله ضمن شبكة من العلاقات الخارجية

(١) عبد القادر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٢) السابق ص ٤٠ .

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ٢٧٦ .

والداخلية، تناهُل فيها لانسجام بنيات النص: واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حق يعلق بعضها ببعض، وبين بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك<sup>(١)</sup>. ويلاح الإمام في مواطن متفرقة على تقديم جواب لنرة لفسير معنى النظم، محاولاً — في الوقت ذاته — التأكيد على تلك المعاني التي يريد أن يثبتها في ذهن المثقفي.

وجملة القول إن "النظم" لا يعني الاهتمام بحركات الإعراب، بقدر ما يعني العلاقات المتبادلة بين الفعل والفاعل والمبدأ والخبر، ليس العلاقات الظاهرة، وإنما العلاقات الداخلية، الذي تجعلني في عالم النص، ولم تقتصر العلاقة بين الجملة والأخرى، وإنما بين الجمل بعضها ببعض وبين الفقرات، كل ذلك في علاقة متباينة تجمع أطراف الكلام، وتؤكّد ذلك في عدد من القراءن اللغوية التي تربط بمحاجن تحية بحثة، كالقديم والحدف والفرق في الخبر والحال، ومواضع الربط، وقضايا تتعلق إياها وإن، وقد وجه الجرجاني هذه القضايا توجيههاً فريداً وبمتكرراً، غير أنها ينبغي أن تقرر أن رؤية الجرجاني، في هذه التحليلات لم تكن خالية، وإنما هي رؤية يمكن أن يضيف إليها أي شخص، وأن هذا ما بدا واضحاً في تحليلاته لتلك النصوص التي تعرض لها بأنما ليست أخيراً، وإنما استخلاصات واستنتاجات، يمكن أن يستشف منها دلالات وتفسيرات وتصورات أخرى أكثر رحابة .

ويكشف الجرجاني تلك العلاقات القائلة بين الجمل بقوله : والكلم ثلاث: اسم و فعل وحرف، وللتطرق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يبعد ثلاثة أقسام، تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل، وتتعلق حرف بحلف، فالاسم يتعلق بالاسم بان يكون خيراً عنه، أو حالاً منه، أو تابعاً له، صفة أو تاكيداً أو عطف بيان أو بدلاً، أو عطفاً بحرف، أو بان يكون الأول مضاداً إلى الثاني، أو بان يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفهول<sup>(٢)</sup> .

ويوضح الجرجاني في مثل هذا النص العلاقة الخارجية والداخلية. وهناك رؤية لدينا توکد على أن "النظم" يشتمل على اللفظ والمعنى معاً، إذ البديع عنده لا يستقل باللفظ، وإنما

(١) السابق ص ٤٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز (مدخل / ف).

يسنوب داخل النظم، وإن كان يضيف إلى جماله (روعته) حالات، وتزيد من الفضيلة ارتفاعاً، وبالتالي نرى الجرجاني لا يرجع الإعجاز إلى قضايا جزئية، فليس مرده إلى الكلمة ولا البديع... ألم، وإنما إلى كل ما هو عام (النظم).

وتبقى كلمة أخرى، أن الملاحظات المنهجية ثبتت بما لا يدع مجالاً لريب، أن مشكلة "اللفظ والمعنى" التي شغلت بالنقاد ردها طويلاً، أفاد منها الباحثون في الإعجاز القرآني، وطوروا هذه المفاهيم والتصورات حتى تجلت في أزهى صورة لها، مثلاً فيما قدّمه الجرجاني، وعرفت بنظرية "النظم" وكشفت الملاحظات والتحليلات، أن ثمة عدداً من المفاهيم، كالالتزام والنظام والتاليق والتاليق والسجام النص، والتشاكل، كلها جوانب مهمة تتنظم في عدد من العلاقات الظاهرة والباطنة لحيث وسبك أجزاء النص عند الجرجاني والباحثين في الإعجاز القرآني.

ويبدو أن "ابن زملكان" قد فهم التأليف على ما جاء عند المقدمين بأنه يختص بالجانب السحوي — وهو إن شاء الله كذلك — ويبدو ذلك تحت عنوان: في مراعاة أطوال التأليف، ثم يتناول تحت هذا العنوان قضايا نحوية خاصة: كالمبدأ والخبر والقديم والناخرا وتأكيده والهدف والذكر والمنصوبات والفصل والوصل، وفي قوانين كلية يُعرف بها أحوال النظم... الخ.

وهكذا تجد قضايا الإعجاز عنده: فع مولعين، الأول : مراعاة التأليف السحوي. الثاني: مراعاة اللفظ : البديع(البلاغة)، وبعضاً أنه يجعلهما على قدم وساق في آلية كل منهما ومدى المعمول عليه في توضيح وجه الإعجاز عنده في تحديد "النظم"، وقد جاءت هذه المفاهيم بما يشكل منها عناصر عامة، بيد أن الباحثين في الإعجاز القرآني ويعظهم السيوطى في "المعروف". إن مثل هذه الحالات المكررة ألتقت بظلامها على أصحاب الاتجاه النبدي والبلاغي، أو ربما نشير لها كلما دعت المناقشة إلى هذا الملمح.

أعود لمناقشة عناصر "الملاعة" و "التاليق" أو ما يتعلّق بانسجام النص وتمثل هذه العناصر عند السيوطى عناصر أساسية، وإلى أي مدى كان موقفاً في تحديد العناصر الفاعلة في التمازن الدلالي، وانسجام بنية النص .

جاءت مناقشة السيوطي هذه العناصر في الوجه الثالث من وجوه الإعجاز بأن: حسن تأليفه والشام كلمه وفصاحتها ووجوه إيجازه وبلاوغته الخارقة عادة العرب... اخ<sup>(١)</sup>. غير أنه لم يبن عن مقصودة بحسن التأليف والشام كلمه، إلا أنه — بشكل أولي — ربما يكون حسن التأليف معنى بالربط التحوي .

وبالتالي يأتي عنصر "الشام الكلام" كعنصر مقابل لعنصر التأليف . ومن هنا تقتل هذه رؤية/فرضية تختبر فاعليتها في ضوء ما أورده في معرض تناوله لقضايا الإعجاز . وفي حال ذلك سلك السيوطي سلسلة من محاولات متعددة ليفي بالتفسير المطلوب .

وإذا كان فيما مضى، قد بینا مسائل الافتراق والافتراق بين الباحثين في الإعجاز (ينظر: ٣/٢٨) فإن هذا العرض، إنما يكشف بوضوح لا يدع مجالاً لشك ، أنها تكاملت بشكل أو بأخر عند الباحثين في الإعجاز القرآني، كما لاحظنا أن عمل أصحاب الرسائل يمثل بنوراً أولية، لا توجد فيها عناصر متكاملة، وإن كانت بداية حقيقة، لابد منها في هذا الاتجاه . أما عبد الجبار فعلى الرغم من تصوراته المقدمة (المطورة) إلا أن عمله ظلل في حدود التفظير والذي فقد في رأيه — إضافة عناصر لفوية وغير لفوية تكشف عن وجوه الإعجاز، الأمر الذي بدأ على يد الباقلان المعاصر له، وإن اختلف عن تصور عبد القاهر، وفي ذكر الباقلان عناصر البديع كعناصر دالة على الإعجاز ذليل على رد رؤية بعض الباحثين<sup>(٢)</sup> الذين يرون أن الباقلان يرفضون أن تكون عناصر البديع داخلة في الإعجاز، وقد جاءت رؤية الزمل堪اني مشاكلاً (قريبة) من تصور الباقلان له إلى حد بعيد .

غير أن السيوطي المتأخر زميّناً جاء عمله في "المعرك" كحصلة لأفكار وتصورات في هذا الاتجاه، ومن هنا جاء عمله خلاصة لكل تلك الأفكار السابقة عليه، بل مضيفاً إليهم رؤى بلاطية ورؤى منه في هذا الشأن، ومن هنا يحق لنا القول بأنه المؤلف الذي تكاملت فيه عناصر النظرية النحوية في الإعجاز، وبناء على هذا التصور، أكتفينا فيما يلي من توضيح معايير النصية لهذا الكتاب .

(١) السيوطي: المعرك .٣٧/١

(٢) د. هوقي حبيب: البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٢

## ٤/٥: المكون البلاغي في نظرية "نحو النص" من منظور الباحثين في الإعجاز

### القرآن:

لاحظنا أن البحث في الإعجاز، بدأ يأخذ شكلاً جديداً على يد الباقلاني، متمايزاً عما جاء عند أصحاب الرسائل في تفسير وجوه الإعجاز، على الرغم من كونه معاصرًا لعبد الجبار الذي له اليد الطولى، إلا أن المفارقة قائمة بينهما خاصة أنه صاحب نظرية نحوية وبلاطية في دور المكون البلاغي، والإفادة من جوانبه في "نحو النص".

وهكذا وجدنا المكون البلاغي أو ما أطلق عليه الباقلاني (البيع) قاصداً الفنون البلاغية كلها، ومن ثم تداخلت علوم البلاغة الثلاثة تحت علم البيع، وإن كثرة مظاهر البيع عنده، حسب تصور المتأخرین له، فيما أرى .

واستمر التداخل المعروف بين هذه العلوم أيضاً عند الإمام عبد القاهر، وإن جاء الفصل بسليم — فيما أرى — ضمنياً، حيث اشتمل الدلائل على علم المعانٍ وبعض مباحث البيع، والأسرار على البيان ومحاجة لعلم البيع أيضاً غالباً في الأهمية، وإن التباهي مكاناً قصياً من حيث عدد المظاهر البيعية التي تعرض لها، يبد أن العبرة عنده بمدى الإفادة من مثل هذه المظاهر خدمة للنص وبيان أهميتها، فيما عرف بالوحدة العضوية في النقد الأدبي .

هذه الملامح عند عبد القاهر في كتابيه، أرى أن الرازى كان أكثر تحديدًا لتلك التصورات والمفاهيم عنه، وجاء تحديد المفاهيم البلاغية بشكل محدد ووضيق، إلا أنه لم يعلن عن نفسه بشكل مباشر، وإن كان تقييناً لنظرية .

إلا أن الإفادة من النظرية البلاغية عند الزملكاوى، قد صارت أكثر بروزاً وتحديداً لعناصر المكون البلاغي مما هو عليه عند الجرجانى والفارخ الرازى، رغم ضيق الفترة الزمنية بينهما، الأمر الذي أفضى في غالبية إلى تحديد علم البيع إلى ثلاثة علوم: البيان، المعانٍ، البيع، حسب ترتيب الزملكاوى لها، ولأول مرة يطالعنا مؤلف في الإعجاز القرآني، بهذه الصيغة في المعالجة والكيفية، وإذا كان الجرجانى له إسهام واضح في هذا المجال، غير أن دلائل الإعجاز ظل يعمل في إطار نظرية النظم، أو ما اصطلاح على تسميه فيما بعد بعلم المعانٍ في الدلائل وعلم البيان في الأسرار معبراً عن الجوانب البينية، وهكذا تضافرت المكونات الأساسية البلاغية

المختلفة تبعاً للساقطات المتباعدة في سبك وحشك بناء النص . وجاء حظ علم البديع من نظرية الجرجاني البلاغية قليلاً ومتضمناً بعض العناصر البدعية كالسجع والتبنيس والمزاوجة والتجريد والموازنة، وبالتالي فإن المكون البدعي، قد شغل حيزاً ضيقاً ومحدوداً مقارنة بما عند الباقلاني والزمثلكاني والسيوطى، على الرغم من الإبداع في التوظيف، ومن ثم فإن العبرة عنده ليست بالكم، بقدر ما هي كامنة في الكيف ومدى الإفاده والتوظيف .

إلا أن استظهار الركائز الأساسية لمظاهر المكون البلاغي في "المعرك" تشير بوضوح أنه لم يسلك النهج ذاته الذي هاجه الزملكاوى في "الجيد" وتوجه تلقاء مظاهر بلاغية ومحورية ومعجمية...أى . وكلها عناصر مؤثرة في كشف جوانب الإعجاز وتفسيره لأسراره .

بيد أن العناصر البلاغية ودورها في نظرية "نحو النص" ذات أهمية بالغة، فإذا كان علم البيان يعلق دوره بالدلالات الإفرادية في الكلام، والفرق بين الإثبات بالاسم والفعل والحقيقة والتجاز والتشبيه والكتابية.... وبالتالي فإنه يمدنا بفإنجع/معان الكلمات المعجمية المختلفة؛ أي بالدلالات المعجمية للكلمات التي تعمل على انسياك أجزاء النص والمخباك مقاهميه .

أما مسائل :علم المعانى" فتاتي على مستويات صوتية، وصرفية وحرافية وتركيبية ومعجمية ودلالية، كما تأخذ أشكالاً من التكرار التام والناقص والجزئي، وشبه التكرار وكذلك الجنس الخالص والجنس المجزئي وشبه الجنس، والحدف والاستبدال وتوازي المعانى تبعاً لعوازي المبني، والقدم والتاخر .

ومن يمعن النظر في "المعرك" يجد أن جل مباحثه ، بل كل قضائاه معقود عليها الأمل في توظيف جيد لها، فتجد لمباحث علم البيان جانبياً يمدنا بوظائف الكلمات المعجمية . ولم تقل عناية السيوطى بدلالة المزوف في إطار "نحو الجملة"، وتجاوزها إلى علاقات الجمل بعضها ببعض وصولاً إلى الفقرة، ومن ثم علاقة الفقرات بعضها ببعض وصولاً إلى علاقات النص النص أو ما في حكمه، أما الروابط المختلفة فلم يخف عليه دورها في انسياك والمخباك أطراف النص وكذلك التقدم والتاخر والاستبدال، وكلها قضائياً على قدر من الأهمية في تماستك بين النص . على الرغم من أن هذه العناصر جاءت منتشرة، وفي مواضع متباينة، وأن المسألة الواحدة تقطعت أو صاحتها، وبالتالي جاء تناولها في أكثر من موضع، وقد أدت هذه الرؤبة إلى تداخل أجزاء المسألة الواحدة،

وتشابكت المفاهيم، حتى أصبح من الصعوبة فصل هذه المجلة، وإن كانت هذه الملاحظة لا تقلل بأية حال إسهام السيوطي في تكامل النظرية النحوية عنده في "المعرك". وتمثل أهيئه في :

الأول : أنه اشتمل على ما ورد في "الإنقان" فيما يختص بمسألة البحث في الإعجاز تحديداً.

الثاني : أنه تضمن العناصر والركائز الأساسية التي اشتمل عليها كتابه "نماذج المتر.."، وقد أدى به هذه الرؤية إلى أن مسألة "الناسبة" شغلت مساحة لا يأس لها - كذلك - في "المعرك" ، وهو عنصر مهم من مظاهر احتجاج مفاهيم النص الباطنة .

أما "علم البديع" الذي انتبه مكاناً قصياً وكان أهون الشركاء في النظرية البلاغية، وحسبنا أن نرى دوره عند كل من الباقلاني والإمام عبد القاهر وتحدد دوره بشكل أكبر عند الزملكاوي والسيوطى : والذي عرضنا لتصوره حول هذه المفاهيم؛ لأنه الأخير، وبالتالي أدى إلى أنه مثل لآراء السابقين عليه، وقد أدى هذا إلى أن يكون حوصلة فكر السابقين عليه كما أشرت إلى ذلك .

## ١/٥ : المعيار الأول: التلازم/التاليف<sup>(١)</sup> ودوره في حبك النص من

### منظور الباحثين في الإعجاز:

وردت طالفة من المفاهيم عند الباحثين في الإعجاز القرآني تعبير عن مفهوم الحبك المستعمل في "نحو النص"، وقد أوردنا المفاهيم الأساسية فيما يتعلق بها في الفصل الثالث، غير أنها تقلل مفاهيم عامة، يبثق عنها عدد من المفاهيم، أرجأ الحديث/الكشف عنها للاستفادة منها في

(١) قدمت ترجمات عديدة للمصطلح (Kohärenz) بالألمانية أو (Coherence) بالإنجليزية بين الباحثين العرب، نعرض لها على التحول التالي :

- ١— الحبك : د. سعد مصلوح : نحو أحجرومية للنص الشعري من ١٥٤.
  - ٢— الانسجام : محمد خطابي : لسانيات النص من ٥.
  - ٣— التماسك : د. سعيد بحري : علم لغة النص من ١٣٩.
  - ٤— التائسق : د. فلاح العجمي : مدخل إلى علم اللغة النصي من ١٤١.
  - ٥— الالتحام : د. قام حسان : النص والخطاب والإجراء من ١٠٣.
  - ٦— الالتساق : د. قام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ١.
  - ٧— التقارن : د. إبراهيم أبو غزاله/علي خليل أحد : مدخل إلى علم لغة النص ص ١١.
- وهكذا نجد أنفسنا أمام مصطلحات مختلفة لمعنى واحد، وهي عناصر دلالية تتعلق بالمضمون المعنوي أو بالترابط الكلي للنص، ومن هنا تضارف العناصر السطحية — السبك — مع العناصر المعنوية — الحبك — في اكتمال النص وبناء قوامه. وبناء عليه ، فإن المعني بـ "نحو النص" مختلفون فيما بينهم حول الجواب المختص بمصطلح (Kohärenz) (Kohäsion)، ينظر د. سعيد بحري: اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٢، غير أننا نرى عدداً من العناصر، وليس كلها ، فيما يتعلق بذلك الجانب، فعلى سبيل المثال، نرى تداخلاً واضحاً فيما يرتبط بالجانب السطحي مع ما يتعلق به معنويًا ، صحيح ليس هذا على إطلاقه، إذ ثمة جوانب خالصة لمعيار الحبك، كمصطلح حسن التخلص والمناسبة وهلم جرا، وستقف على هذه الجواب هنا من البحث .

ثنايا المعالجة والتحليل. غير أننا يجب أن نذكر أننا نحمد كما أشرت من قبل في هذا التحليل على مفاهيم مختلفة أو زيادة على ما ورد سابقاً، حيث إننا في التحليل/التفسير نعتمد مؤلفي السيوطري؛ لأنه يهد جاماً للسابقين، ورؤيه حول توسيع جوانب البحث في الإعجاز، بما جعله يضيف / يعمق جوانب أكثر مما هو عليه عند السابقين، وهذا ما جعلني أعده حصيلة فكر السابقين .

وفي هذا الفصل وجدت لدى السيوطري عنصرين يجعل منهما قسمين دالين على مظاهر المشكك، يستدرج في إطار كل منهما طائفنة من المفاهيم المكونة له والمكملة لجوانبه، فيما أرى، وأقصد بذدين المفهومين، التناسب/المناسبة وجوانب من علم البداع. وعلى هذين المفهومين يقتصر هذا الفصل في تفصيل جوانب كل منهما على ما أورده السيوطري، أو حسب تصوره، وهي – فيما أرى – المغيرة بشكل عام عن رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني .

#### ١/١٥: المتناسبة/التناسب بين النص القرآني :

عكس السيوطري رؤيته حول هذا المفهوم في "المعرك" و "تناسق الدرر في تناسب الدرر ... "، وعلى الرغم من المطابقة فيتناول قضايا المناسبة بشكل عام، بينهما، إلا أنها مدونون بعض الملاحظات تحملها فيما يلي :

١- احتواء كل منها على مناقشة الجانب المعنوي فيما يتعلق بالجانب القرآني، غير أن تمايزاً قالماً أن "تناسق الدرر في تناسب السور" يختص لهذا الأمر تحصيناً، في حين جاءت مثل هذه القضية في "المعرك" تأخذ وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها الكتاب .

٢- جاءت رؤية السيوطري في أن "تناسق الدرر...." معاجلة إمبريقية/تطبيعية أدت به إلى عدم التقسيم والتنظيم، مغايراً في ذلك "المعرك" .

٣- يمسد ما جاء في "المعرك"، فيما تمثله معاجله للتماسك الدلالي جزءاً مما ورد كاملاً في "تناسق الدرر... " .

٤- تخل معاجله في المعرك تظيراً/تحديداً لتلك الرؤوية المقدمة في "تناسق الدرر... "، وبالتالي فإن رؤيه في "تناسق الدرر..." خاصة، وفي "المعرك" عامة .

هـ على الرغم مما ورد في النقاط السابقة من إيجازها في "المعرك"، فلما يمكن أن تعطينا تصوراً عاماً، لما يمكن أن نستخلصه مما هو وارد بين النصوص القرآنية وال سور بعضها بعض .

٦— وبناء على ما ورد أعلاه، فإن "المعرك" ، إنما يمثل رؤية لكيفية الصالك الدلالي ، والمخاكي علاقتها الظاهرة، وعلاقة التلازم بين المعيارين، فيما يكونان نصاً لغوياً متلاحم الأجزاء.

٧— نلاحظ أن السيوطي في "المعرك" يقدم تميضاً حول — المناسبة — ومن كان باع في هذا المجال كاليابوري، ومن لم يهتم لهذا الجانب من المفسرين كعلماء بغداد، ومنهم من له إسهامات كالرازي ؛ وهكذا يعطي السيوطي مدخلاً لهذا الموضوع، بينما لم يسلك هذا النهج في "تناسق الدرر..." الذي دلف فيه إلى الموضوع مباشرة .

بعد أن قدم السيوطي مدخلاً في "المعرك" حول علم المناسبة والذي جعله الوجه الرابع عشر من وجوه إيجازه عرفها بقوله : المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني، كالسبب والسبب، والصلة والمطلول والنظيرين والضددين ونحوه<sup>(١)</sup>.

واحسب أن هذا النص — فيما أرى — جامع لعدد من القضايا المتعلقة بالمناسبة، وتسلد المعاني الواردة على المقاربة المعنوية/المنطقية في النصوص، وهي عناصر جوهيرية وظاهر دالة على هذه الخاصية، ونحن نأتي على هذه الرؤية في تفصيل جوانبها في ثانيا التحليل فيما بعد، كما يشير النص إلى تلك المظاهر التي تتحقق من خلالها المناسبة ، الصالك كالعقلي، المنطقي أو رابط حسي (روابط لغوية) أو خيالي(مقدار) وهي روابط يتعمى منها إلى ظاهر النص والآخر إلى عالم النص، أما علاقات التلازم المشار إليها عالياً، فتارةها جهيناً والمرة ضمن مظاهر الحبكة.

ولاشك أن مثل هذا الربط/الصالك الدلالي في النص القرآني له دلالة خاصة ، منها ما هو ظاهر معلن، ومنها ما هو خفي، يحتاج إلى الكشف عنه، وقد كشف السيوطي عن عدد من هذه الدلالات في سياقات التحليل والمناقشة، غير أن هذا لا يمنع من وضعه لطائفة من

الوظائف العامة للمناسبة، يقول: وفالدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعنق بعض، فيقوى الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء الحكيم المثالم الأجزاء<sup>(١)</sup>.

على أنني أشير إلى أن أسباب الربط الواردة في "المعرك": التظير . المضادة . الاستطراد. أما في "تناسق الدرر..." فالتفصيل بعد الإجهاض . المقابلة . الشابه في المطلع والمقطع. تعلق الممار والمحروم، وقوعها موقع العلة خاتمة السورة التي قبلها . إجابة عن مسائل . العطف . التعميم والتكميل، ترتيب سور على أساس الطول، ترتيب قضيابا سورة لإنماج سورة أخرى . الناسق . وستأتي على هذه الرؤية الموجزة في تحليل جلوانها .

وتوضح مقارنة النصوص بين ما ورد في مؤلفي السيوطي مدى اتساع المادة في "تناسق الدرر..." والذي خلق منه تبعاً للسياقات أسباباً أكثر مقارنة بما هو وارد في "المعرك". وإذا كان السيوطي قد وضع المبادئ العامة، غير أن مناقشة هذه المبادئ والظواهر، ربما تكشف عن جوانب أكثر في "تناسق الدرر..." .

وقد غير السيوطي في "تناسق الدرر..." عن المناسبة بطائفة من المصطلحات تجملها فيما يلي من خلال استقراء كامل لها مثل: الناسب . التلامم . الارتباط . الترتيب . الارتباط . الناسق . العلازم . الربط . الاعتقاد . الاقتران . وجوه المناسبة . تشابة الأطراف . الغائي . الاتصال . التلازم . الاتحاد . المجانسة . الاتساق . المشاكلاة . المقاربة . التأليف . وهي مفردات عسر من خلاها عن المناسبة(الناسب) وأحسب أنها مظاهر/عناصر أكثر بكثير مما أشار إليه د. العبد<sup>(٢)</sup>، وهي كذلك في "المعرك" إلا أن عددها في الناسق أكثر بقليل . ومن خلال النص القرآني واستقرائه ظهرت له فاعدتان :

إحداهما : أن القاعدة التي استقر بها القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجهاض ما قبلها، وشرح له، وإتساب لإيجازه، وقد استقر معنى ذلك في غالب سور القرآن طويلاً وبقى، وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع محملات الفائقة<sup>(٣)</sup>. وأمر آخر استقراته،

(١) السيوطي : المعرك . ٥٧/١.

(٢) د. محمد العبد : حبكت النص . ١٩٩.

(٣) السيوطي : تناسق الدرر في تناسب سور من . ٦٥.

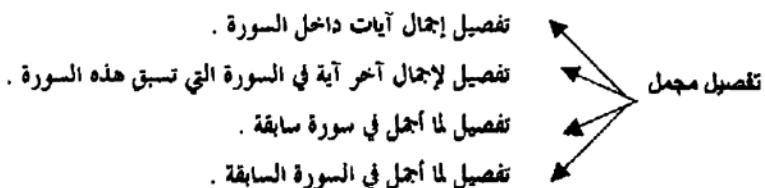
وهو : أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد ، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لخاتمة الأولى للدلالة على الاتحاد . وفي السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسباً لأنها<sup>(١)</sup>

والسؤال الآن ما العلاقات الدلالية، أو مصطلح السيوطي "وجه التناسب" التي على أساسها يبنى القول بالترابط بين سور القرآن المختلفة .

وقد خلصنا من خلال استقراء لنصوص "تناسق الدرر في تناسب السور" ، أن مظاهر ال斯特رابط الدلالي بين سورة وأخرى يتحقق في ستة عشر مظهراً دلالياً، ونظراً لأن مظاهراً هذا الترابط مكررة في ثنايا التحليل ، فإننا نقتصر على بعضها لينوب المذكور عن غير المذكور .

#### ١/١/٥ : تفصيل الجمل

تشعبت صور تفصيل الجمل في النص القرآني في مؤلفات السيوطي على النحو التالي :



و حول هذه الصور للتفصيل بعد الإبهال التي استقرأنها من خلال عمل السيوطي في التناسق والمعترك تدور أحداث المناقشة التالية .

فاما التفصيل لإيهال آيات داخل السورة، أشار السيوطي أن قوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو ربهم) الحشر/٥٧، هو تفصيل لقوله وهو معكم أينما كنتم الحشر/٤<sup>(٢)</sup>. واضح أن الربط هنا يمتد إلى ما فوق الجملة ؛ ليربط عن طريق تفصيل ما ورد في الآية/٧، بما هو وارد في الآية/٤. وهذا يمتد إلى حدود الآية وحدود الجملة في الوقت ذاته . في حين يأتي مظهران من مظاهر التفصيل بعد الإبهال، وأعني:

(١) السابق ص ٧٤.

(٢) السيوطي : تناسق الدرر .... ص ١٢٢ .

— تفصيل لما أجمل في آخر السورة السابقة .

— تفصيل لما أجمل في السورة السابقة .

وتحسّد سورة الحج والمؤمنين تحسّداً حيّاً لعاقدين العالقين الرابطين، يقول: أقول وجه اتصالها بسورة الحج: أنه لما خمّمها بقوله (والعلوا الحير لعلكم تفلحون) الحج/٧٧. وكان ذلك مجملأً، فصله في فاتحة هذه السورة، فذكر خصال الحير التي من فعلها، فقد أفلح، فقال: قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلائم خاشعون(الآيات/٦:١٤).<sup>(١)</sup>

ولما ذكر أول الحج قوله (يا أيها الناس إن كنتم في ريب منبعث فلا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) الآية/٥، زاده هنا بياناً في قوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الآيات/١٢، ١٣، فكل جملة أوجزت هناك فيقصد أطيب فيها هنا<sup>(٢)</sup>. وهذا الارتباط /الربط بين ما ورد في الآية/٥ مجملأً وتفصيله في الآية/١٢، إضاً تتجاوز كل هذه الرؤى والتصورات مستوى "نحو الجملة" إلى مستوى العلاقات داخل السورة، بل يتجاوز الأمر ذلك من خلال التفصيل بعد الإحال بين آخر تلك السورة وتفصيل في السورة التي تليها .

ويأتي تفصيل ما أجمل في سورة سابقة، ونأخذ ما ذكره السيوطي في سورة النساء، يقول: وأقول هذه السورة شارحة لبقية مجملات سورة البقرة. فمنها: أنه أجمل في البقرة/٢١ قوله(اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتعون). وزاد هنا(خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ولadies) النساء/١ .

والنظر لما كانت آية التقوى في سورة البقرة غاية، جعلها في أول هذه السورة التالية لها مبدأ ، ويذكر محقق الكتاب أن آية التقوى في البقرة/٢ هي (ذلك الكتاب لا رب فيه هدى للمتّقين).... أما في سورة النساء/١ فقد بدأ الله الأمر بما في قوله(اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)، وبين وسائل تحقيقها في نفس الآية. ومنها: أنه أجمل في سورة البقرة /٣٥ (اسكن أنت وزوجك الجنة). وبين هنا أن زوجته خلقت منه في قوله تعالى(وخلق منها زوجها)، ومنها :

(١) السابق ص ١٠٣.

(٢) السابق ص ٤٠.

أنه أجمل في البقرة/٢٣٣ آية اليتامي، وآية الوصبة، والميراث، والوارث، في قوله (وعلى الوارث مثل ذلك). وفصل ذلك في هذه السورة أبلغ تفصيل . ويدرك المحقق أن ذلك في الآيات (٧، ١١، ١٢، ٣٣، ١٧٦) من سورة النساء .

وفصل هنا من الأنكحة ما أجمله هناك ، فإنه قال في البقرة/٢٢١ (ولأمة مؤمنة خير من مشركها). فذكر نكاح الأمة إجحافاً، وفصل هنا شروطه . ويدرك المحقق في المامش (ص ٧٦) أن ذلك في قوله (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح الحصنات المؤمنات فلما ملكت أيما لكم من ثباتكم المؤمنات) الآية/٤٥ .

ومنها : أنه ذكر الصداق في البقرة/٢٢٩ مجملأ بقوله (ولا يجعل لكم أن تأخذوا مما آتى سموهن شيئاً) وشرحه هنا فصلاً، ويدرك المحقق في المامش أن ذلك في الآية (٢٠، ٢١) من سورة النساء .

ومنها : أنه ذكر هناك الخلع، وذكر هنا أسبابه ودعاعيه من الشوز، وما يترتب عليه ، وبعث الحكمين . ذكر — المحقق في المامش — أن آية البقرة/٢٩٩، وفي النساء آية/٣٤، ٣٥، وهذا من أسباب الخلع .

ومنها : أنه فصل هنا من أحكام المخاهدين، وتفضيلهم درجات، وال مجرورة ما وقع هناك مجملأ أو مرموزاً. ذكر المحقق — في المامش — أن ذلك في البقرة/١٥٤، ٢١٦، ٢١٨ . وفي النساء الآية/٩٥، أكتفي بعرض علاقة التفصيل والإيجاب بين سورتين، أما وجه اعتمادها بسورة الفاتحة وآل عمران، فاعتلاقها بالفاتحة يعني عنه اعتلاقها بالبقرة . وأما اعتلاقها بآل عمران (التفصيل لما أجمل في سورة سابقة)، وبالتالي تكفي إشارة علاقة سورة المؤمنين بسورة الحج، التي جاءت الإشارة إليها .

ومن خلال استقراء "تناسق النور...." يبدو لنا أن القاعدة التي قررها السيوطي ، أن كل سورة تفصيل للإيجاب ما قبلها وشرح لها، وإطباب لإيجازها، حيث لا تخلو سورة من سور القرآن، لم يشر السيوطي إلى علاقتها بما قبلها، ويتمثل ذلك في :  
 ١— أن سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنمساء والمائدة، كل منهم تفصيل لما قبلها وإطباب لها، بحيث تحمل الفاتحة الإيجاب/المركز، وبالتالي يأتي القرآن كله تفصيلاً/ تفسيراً لما ورد فيها . غير

أن السيوطى لم يشر إلى كل ذلك صراحة، وأكتفى بوضيغ أن سورة البقرة، إنما هي تفصيل لسورة الفاتحة، وجاءت آل عمران مفصلة جوانب عديدة، مما هو محمل في البقرة والفاتحة، والأمر كذلك بالنسبة للنساء والمائدة مفسرة للنساء، والنساء موضحة ليعرف آيات الفاتحة، ومن ثم يظهر هذا التفصيل لإجمال ما ورد سلفاً ربطاً معنوياً ينبع بك به النص دلالياً.

وهكذا نرى أن العلاقة القائمة بين هذه السورة ، إنما هي علاقة إجمال لكل متقدم، وبالطالى فإن كل لاحق، إنما هو مفسر، ومن ثم فإنه كلما كانت السورة في البداية، كلما كانت أكثر إجمالاً، وكلما تأخرت كانت أكثر تفصيلاً وبياناً .

٢- بعد هذه السور، نلاحظ أن المقاربات بين النصوص /السور، إنما تكتفى ببيان /كشف التفصيل بعد الإجمال بين السورة ولاحقتها، وهذا ما لم يكن واضحاً/مذداولاً مع السور الأول. وحول هذين التصورين تدور أحداث التفصيل بعد الإجمال في كل "تناسق المدرر...". وهكذا لا نرى وجهأً عند محمد خطابي<sup>(١)</sup>، فيما ذكره من علاقة الإجمال والتفصيل لا تقتصر على مظاهر علاقة الفاتحة ب تلك السور التي تليها، وإنما هناك علاقات أخرى كعلاقة الإجمال والتفصيل، داخل السورة الواحدة ، وكذلك علاقة الإجمال والتفصيل، التي تقع بين نهاية السورة مع تلك التي تليها، ومن ثم فإن رؤيته تحتاج إلى إعادة نظر .

#### ٢/١١/٥: تشابه الأطراف :

يدرك السيوطى أن سورة الإسراء ختمت بالتحميد في قوله تعالى (وَقَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَعْنِدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) الآية/١١١.

وبذات الكهف/١ بقوله تعالى (الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجًا) وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف<sup>(٢)</sup>. تتشابه مع ما ورد في آخر آل عمران بأنما ختمت بالأمر بالستقى في قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الآية/٢٠. افتتح النساء بقوله (وَاتَّقُوا اللّٰهُ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) الآية<sup>(٣)</sup>. وبذكرا في ذلك السياق المشابه بين

(١) محمد خطابي : لساليات النص ص ١٩٨ : ٢٠٢.

(٢) السيوطى : تناسق المدرر ..... ص ٩٩.

(٣) السابق من ٧٦.

البداية/الابتداء والختمة، كما في سورة (ص) وسورة (ن)<sup>(١)</sup>، وبالتالي فالتشابه في الأطراف يقع في شكلين .

### ٣/١/١/٥: الاقتران والتلازم (التاغي) :

قال مناسبة سورة الأنعام لآخر المائدة : ألم أفتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء، وما متلازمان، كما قال (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ٣٦،٧٥<sup>(٢)</sup>. وذكر أن الصاح الإسراء بالتبسيح والكهف بالتحميد، وما مفترنان في القرآن وسائر الكلام ، بحيث يسبق التبسيد التحميد نحو(تبسيح محمد ربك) ١٥/٩٨،٢٠،٤٠،١٣٠،٥٠/٥٥،٥٠ ذكره ٤٨/٣٩،٥٢ وسبحان الله وبحمده<sup>(٣)</sup> . وفيما يتعلّق بالبروج والطارق أقول: مما متلازمان فقررت<sup>(٤)</sup> . كما أن الواقعه مع الرحمن في أن كلاً منها وصف للقيمة والعكس بين الموضوعات<sup>(٥)</sup> .

### ٤/١/١/٥: التشابة في المطلع والمقطع :

يدرك السيوطي وجه المشاهدة في المطلع<sup>(٦)</sup> :

(إن المتقين في جنات وعيون) المداريات/١٥.

(إن المتقين في جنات ولعيم) الطور/١٧ .

### ٥/١/١/٥: المشاهدة في المقطع :

وفي مقطع كل منها يصف حال الكفار بقوله تعالى :

(لويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) المداريات/٦٠.

(فالذين كفروا هم المكبدون) الطور/٤٢ .

(١) السيوطي : المعرك ٦٦/١.

(٢) السيوطي : نماذج الدرر .... من ٨٣ - ٦٧ ، ٦٦/١.

(٣) السابق ص ٩٩.

(٤) السابق ص ١٣٥.

(٥) السابق ص ١٢١.

(٦) السابق ص ١١٩.

٦/١/١٥ : المقابلة :

أشار السيوطي إلى أنه في سورة الصاف ذكر حال موسى مع قومه وأداهم له ناعيًا عليهم ذلك، وفي سورة الجمعة حال الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفضل أمته، ليظهر فضل ما بين الأميين، ولذا لم يعرض فيها للذكر اليهود<sup>(١)</sup>. ويدرك كذلك أن سورة الكوثر هي كالمقابلة للتي قيلها (المعون)، لأن السابقة وصف الله سبحانه فيها المناقفين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، وذكر في هذه السورة مقابلة البخل (إنا أعطيناك الكوثر) الكوثر ١؛ للخير الكثير. وفي مقابلة ترك الصلاة (فصل) الكوثر ٢، أي دم عليها. وفي مقابلة الرياء (لربك) الكوثر ٢؛ أي لرضاه، لا للناس، وفي مقابلة منع المعون (والعن) الكوثر ٣، وأراد التصديق بذبح الأضاحي. قال: فاعتبر هذه المناسبة العجيبة<sup>(٢)</sup>. وما أورده من التضاد بين صفة المؤمنين في سورة المؤمنين ٢١، وما جاء في النجم ٣٩<sup>(٣)</sup>. وبداية المؤمنين ونهايتها<sup>(٤)</sup>.

٧/١/١٥ : العطف :

ذكر السيوطي أن سورة الشرح (ألم نشرح لك صدرك) الآية ١، كالعطف على (ألم يهدك بهمَا قاتل) الضبعي<sup>(٥)</sup>.

٨/١/١٥ : إجابة عن سؤال :

ذكرها السيوطي في العلاقة بين سورة (م ي肯) وسورة (الزلزلة)<sup>(٦)</sup> . وسورة (القارعة) بالنسبة لسورة (العاديات)<sup>(٧)</sup> .

(١) السابق ص ١٢٤.

(٢) السيوطي : تاسق النثر ص ١٤٤ وما بعدها ، المعرك ٦٧/١

(٣) السابق ص ١١٩ . وينظر المعرك ٥٦ ، ٥٥/١

(٤) السيوطي : تاسق النثر ص ١١٩ . المعرك ٦٦/١

(٥) السابق ص ١٣٨ .

(٦) السابق ص ١٤٢ .

(٧) السابق ص ١٤٣ .

٩/١١/٩: تعلق الجار والمحرور :

تعد سورة (قریش) غوّذاً لتعليق الجار والمحرور في أولها بأخر الفعل في سورة (الغیل)<sup>(١)</sup>.

١٠/١١/١٥: بيان العلة :

يذكر السيوطي أن سورة (الستكاثر)، إنما هي والعلة موضع العلة خاتمة سورة (القارعة)<sup>(٢)</sup>، وسورة (العلق) ببيان العلة المادية وسورة (البین) السابقة عليها بيان للعلة الصورية<sup>(٣)</sup>.

١١/١١/١٥: التحقيق :

يرى السيوطي أن خاتمة سورة الإنسان (يدخل من بشاء في رحمه والظالمين أعد لهم عذاباً مهيناً الآية/٣١، الفصح (المرسلات) بالقسم على أن ما يوعدون واقع، فكان ذلك تحقيقياً لما وعد به هناك المؤمنين<sup>(٤)</sup>.

١٢/١١/٥: التسميم والتحكيم :

يذكر السيوطي أن سورة (سال)، إنما هي كالتيمة لسورة (الحاقة) في بقية وصف يوم القيمة والنار<sup>(٥)</sup>.

١٣/١١/٥: ترتيب قضايا سورة لانتاج أخرى :

أَنْ وَقَعَ فِي سُورَةِ الْعَافِينَ (إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًا لَكُمْ) الآية/٤ وَعِدَاوَةُ الْأَزْوَاجِ تَفْضِي إِلَى الطَّلاقِ وَعِدَاوَةُ الْأَوْلَادِ تَفْضِي إِلَى الْقَسْوَةِ، عَقْبَ ذَلِكَ بِسُورَةِ ذَكْرِ فِيهَا أَحْكَامَ الطَّلاقِ وَتَفْصِيلَهُ<sup>(٦)</sup>.

(١) السابق من ١٤٤، المعرك ٦٦/١.

(٢) السيوطي : تناهى الدور من ١٤٣.

(٣) السابق من ١٤٠.

(٤) السيوطي : تناهى الدور من ١٣١، ١٣٢.

(٥) السابق من ١٢٨.

(٦) السابق من ١٢٣.

١٤/١/١٥ : التعليل :

ذكر السيوطي أن الآية ٩ من سورة (المالقون) (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) علل ذلك (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) (الثابن ١٥١٥).<sup>(١)</sup>

١٥/١/١٥ : الافتتاح والبسط :

وَعَذَلَ سُورَةً (الْمُمْتَحَنَة) غَوْذِجًا حَيَا؛ لِأَنَّهُ اسْتَحْشَى بِنَهْيِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَادِ الْكُفَّارِ أُولَيَاءَهُ، وَكَرِرَ ذَلِكَ وَبِسَطَهُ حَقَّ نَهايَةِ السُّورَةِ<sup>(٢)</sup>، فَجَاءَتِ السُّورَةُ مُفْسَدَةً مُتَلَامِحَةً.

١٦/١/١٥ : التناسق في المفتح/الافتتاح :

ذكر أن سورة القمر بالنسبة للنجم لما بين (النجم) و(القمر) من المناسبة، ونظيره تولي الشمس والليل والضحى وقبلها سورة الفجر.<sup>(٣)</sup>

وليس من ريب أن المبادئ الدلالية المحاكمة لعناصر المناسبة عند السيوطي في تناسق الدرر .... أكثر بكثير من تلك الواردة في "المعرك"، ذلك أن اتساع المادة المدروسة في "تناسق الدرر....." يعطي مساحة لاستخلاص عناصر أكثر من تلك الواردة في التخطير (المعرك)، وعلى الروثم من المطابقة شبه الناتمة في الإنجليزي العام، إلا أن ذلك لا يعني أن ثمة بعض محليلات واردة في "المعرك" وليس لها موضع في "تناسق الدرر...." وليس العكس، وكانت أحسب أن مادة "تناسق الدرر....." في "المعرك" غير أن مقارنة المصطلحات تبين خلافاً لذلك.

كما أن ثمة مفارقة بين الكتابتين، أنها إذا كنا قررنا أن "المعرك" إنما هو تظاهر لما جاء في "تناسق الدرر....."، فإن هذا التصور، إنما يوحى من جهة أخرى بأن القضايا التي تتعلق بالمبادئ الدلالية للتناسق التي جاءت منشورة في "تناسق الدرر....." باعتبار دراسة محليلية في هذا الجانب، بينما جاءت جوانب من هذه القضايا مجتمعة ، وفي موضع واحد في "المعرك".

على أن "المعرك" على الرغم مما جاء ذكره، إلا أنها واجدون عدداً من المبادئ الدلالية التي لم يشر إليها السيوطي في "تناسق الدرر....." وتشير مناقشة السيوطي بشكل ضعفي إلى

(١) السابق : الموضع ذاته.

(٢) السابق ص ١٢٣ .

(٣) السيوطي : تناسق الدرر ص ١٢٠ ، ١٣٧ .

أن هذه المبادئ تقع ضمن عالم النص (البنية الداخلية)، غير أن إشارة السيوطي في بداية "تناسق الدرر...." إلى العناصر/الألوان المشتمل عليها كتابه: *"أسرار التزيل"*، غير أن الكتاب لم يصل إلينا، إلا أن الأنسواع التي ذكرها والتي بلغت ثلاثة عشر نوعاً<sup>(١)</sup>، وقد اشتتمل "تناسق الدرر...." على عدد من تلك الأنواع التي جاءت في *"أسرار التزيل"*، وإن لم يختص بذلك تحصيضاً، وبالتالي فإن "تناسق الدرر..." يحوي على النوع الأول من هذه الأنواع.

إلا أن "المترن" بما أنه كتاب في إعجاز القرآن، فقد اشتتمل على عدد من الوجوه حسب رأي السيوطي، وأحسب (أظن) أن هذه الأجزاء التي هي ألوان لأسرار التزيل، ذكرها السيوطي في "المترن" تحت وجوه إعجاز القرآن، غير أن المعالجة في المترن تختلف عنه في "تناسق الدرر...."، لما ذكرته سابقاً، وبالتالي فإن المترن ربما يشتمل على تلخيص بعض وجوه الإعجاز التي وردت في *"أسرار التزيل"*. وبينهي أن نقول أن كثيراً، بل جل قضايا *"أسرار التزيل"* تتعلق بانسجام النص وللائم أجزائه، بناء على ما أورده السيوطي<sup>(٢)</sup>.

ونخلص من هذه الرؤية إلى أن تلك القضايا، إنما هي مفسرة لأوجه إعجاز القرآن، ونتوقف على نوعين جاءت مناقشة السيوطي لهما في "المترن" وأرى أنها يدخلان ضمن إطار حبك بنيات النص. وبناء على هذا الأساس، فإننا نتوقف عند مظاهرتين : المظاهر الخامس: مناسبة أوائل سور لأواخرها. الوجه الثامن: بيان ما اشتتمل عليه من المحسنات البديعية على كثراها، وأحسب أن (الوجه الخامس)، إنما يرتبط بشكل وثيق بمناسبات ترتيب السور، ويؤكد ذلك عندي أنه نقشه ولو بشكل موجز أثناء تناوله لوجوه إعجاز المناسبة، وبناء على ذلك أحسب أن ما يأتي من مظاهر للمبادئ الدلالية عند السيوطي (الباحثون في الإعجاز)، إنما يمكن أن يعطينا تصوراً أولياً حول *"أسرار التزيل"*، وما يؤكد ذلك أن "المترن" كتاب تنبظري في نواح عددة من الإعجاز القرآني، إذ – فيما نحن حاله – ذكر أن أسباب الربط : النظير، المضادة، الاستطراد<sup>(٣)</sup>.

(١) السيوطي : *"تناسق الدرر"* ص ٥٤.

(٢) *"تناسق الدرر...."* ص ٥٤.

(٣) السيوطي : *"المترن"* ، ٥٨/١ ، ٥٩.

وإذا كنا عرضينا فيما سبق لظاهر التامق — حسب رأي السيوطي في "تامق الدرر...."— فإن "المعرك" يعكس من جهة أخرى مظاهر، لم يرد لها ذكر في "التامق"، وترتبط هذه المظاهر بقضايا المناسبة، وأظن أن هذه الطائفة من المصطلحات دالة فيما كان السيوطي يسعى إلى تحقيقه، ومن تناول هذه القضايا ضمن المناسبة، والتي عكس عدداً من المظاهر عبرت كلها عن مقصود/هدف السيوطي منها.

وأحسب أن: التصدير، الابتداء الحسن والانتقال من حديث إلى آخر . التخلص/حسن التخلص، الاطراد، الاستطراد، براعة الاستهلال، جاءت كلها ضمن معاجلة موسعة لرؤية السيوطي في توضيح جوانب الإعجاز القرآني . كما أن : الافتتاح/المفتتح ، الخاتمة/الخواتم . وما للمرجح عند السيوطي مغایرًا في ذلك الباحثين في الإعجاز، أنه في موضع مختلف ، يحاول أن يجد فروقاً دقيقة، أحسب أن أحداً لم يجب إليها، حتى أصحاب التيارات الأخرى التي تناولت مثل هذه القضايا، لم تشر إلى مثل هذه المفارقة مثل التيار البلاغي والتقدى بوجه خاص .

وتشير معاجلة مثل هذه العناصر بشكل ضمني إلى ذلك الالتحام/التعاملك النصي بين عناصر مختلفة في النص القرآني، تعكسها معاجلة مثل هذه العناصر :

- ١— الرابط بين بداية النص وآخره (المفتتح/المختتم) .

- ٢— الربط بين الساقبات الجملية بعضها ببعض (التخلص/حسن التخلص). وأتصور أن هذه المظاهر التي تخص ١٤ "المناسبة" تعمل ضمن روابط أضيق، أعني أن مجال دورها داخل النص — حسب رؤية السيوطي — إغا لفظ ضمن حدود السورة الواحدة . وبالتالي فإن ثمة عناصر تعمل من خلال خالل خالل تماسك أكبر لبنية النص القرآني، كما أشارت المعاجلة لرؤيه السيوطي، غير أن هذه المظاهر للمناسبة تعمل على :

- الربط بين سورة سابقة وأخرى لاحقة .
- الربط بين سورة سابقة وأخرى لاحقة يفصل بينهما بخاصل/سورة أو أكثر .
- الربط بين بداية السورة ونهايتها (تشابه الأطراف، المطابقة، المقابلة) .
- تفصيل لقضايا مجملة داخل إطار السورة الواحدة .
- تفصيل لقضايا مجملة داخل السورة السابقة .

— تفصيل لقضايا مجملة تقع في سورة سابقة، يفصل بينها بسورة أو أكثر.  
هذه الروابط الدلالية التي تعمل المناسبة من خلالها على ترابط بنية النص الص佛ى  
(التعابيرات الجملية) والكتيرى (النص القرآني/النص داخل سورة). في حين يقى عمل السيوطى  
في "المتحرك" قائمًا على: التفصيل بعد الإجمال.

— الترابط بين نهاية السورة والسورة التي تليها (إجابة سؤال/التعليق بالجмар والغور).

— الترابط بين بداية السورة ونهايتها (تشابه الأطراف/المقابلة).

وتجدر الإشارة إلى أن محاولة استخلاص المظاهر الفاعلة للمناسبة عند السيوطى في  
كتابه تجعلى فيه المظاهر أوضح تحجيم لا تكشف بالارتكاز على أحد مما ، وإنما تتكامل رويه  
من خلالهما معاً .

### ٣/١٥: إيجاز تلك المعطيات :

١/٣: أن ثمة علاقات دلالية قائمة بين أجزاء النص القرآني، تمثل في علاقة السور بعضها  
بعض أو بين أجزاء السورة الواحدة سواء داخل إطار حدود الجملة، أو ما يبعدي ذلك،  
ونلاحظ أن مثل عناصر المناسبة، إنما تعمل جيداً من خلال شبكة أكبر تبعي حدود أسور  
الجملة الواحدة، وإن جاءت فهي كما أظن ليسقصد منها التضليل، بل أمر ما تعنى أن ثمة  
عناصر تعمل داخل السورة وأخرى أكبر، وهكذا تتشابك هذه العناصر اتساعاً وضيقاً، في  
محاولة للموازنة بين أجزاء النص الواحد (القرآن، السورة الواحدة) :

#### ١/١٣: علاقة التضاد، وتشتمل على :

١— علاقة بعض السور بالأخرى .

٢— علاقة بعض الآيات في سورة ببعض الآيات في سورة أخرى (لاحقة أو  
سابقة) .

٣— علاقة المفہیم/الابتداء بالخاتمة .

٤— علاقة نهاية السورة ببداية التي تليها .

#### ١/١٣: علاقة تشابه الأطراف، وتشتمل على :

١— المطابقة بين آيات السورة الواحدة، من خلال علاقة التفصيل بعد الإجمال .

- ٢— المطابقة بين الفوائح والخواتيم .
- ٣— المطابقة بين نهاية السورة وبداية التي تليها .
- ٤— المطابقة بين نصوص/آيات بعض السور بالأخرى .

وخلال هذه القول إن هذه المظاهر عند السيوطي، إنما هي دعامتين عامة كافية عن وجود الستراتيفي الدلالي القائم بين أجزاء النص القرآني في قياسك بنية النص القرآني وتلاميذه أجزاءه، وبالتالي يصير النص وحدة واحدة .

ويجب أن نستوي إلى أن التمايز بين عمل السيوطي في "المعترك" و"تناسق الدرر" كما ذكرت ذلك، أن "المعترك" يذكر العناصر الأساسية في هذا الشأن، ومن ثم فهو تعمير، في حين يبقى عمله في "تناسق الدرر..." كمحاولة عملية لاختبار فاعلية هذه التصورات النظرية. كما أن اتساع المادة المروضة في "تناسق الدرر" جعلته يكشف عن وجوه علة ومتوقعة لل المناسبة في النص القرآني، ولهذا فإن استخلاص محمد خطاطي والتصاره على ثلاثة مظاهر<sup>(١)</sup>، فيه إيجاز في عمل السيوطي الدلالي في "التناسق" .

كما أن تلك المظاهر التي خلص إليها د. العبد من "تناسق الدرر..."<sup>(٢)</sup> والتي كانت توقع أنها كل المبادئ الدلالية الحاكمة لعلاقة التناسب بين سور القراءة، غير أن استقراء لها لنصوص تناسق الدرر، كشف عن أن نتائج/استخلاص د. العبد أيضًا فيها إهانة لمجهود السيوطي المعنفي في تناسق الدرر . الأمر الذي أفضى إلى تبعنا النصوص لكتشاف المبادئ الجوهرية الأكثر، الحاكمة لقضائها التفاصيل الدلالية بين بنى النص القرآني .

٢— إذا كانت تلك القاعدة التي توصل إليها السيوطي، أن كل سورة سابقة، إنما هي محملة بالنسبة للقى تلتها، وهي قاعدة مقررة، حسب رؤية السيوطي، وأكدها "تناسق الدرر" بما لا يدع مجالاً لريب، إنما تعكس بوضوح أن سور النص القرآني آخر بعضها برباب بعض، وهكذا تؤدي إلى أن سورة (الفاتحة) في بداية النص القرآني، مرتبطة بسورة (الناس) في نهايته .

(١) محمد خطاطي : لبيانات النص ص ١٩٨ : ٢٠٤ .

(٢) د. محمد العبد : حبك النص ص ٢٠١ : ٢٠٥ .

٣— يلاحظ أن عمل السيوطي في "تناسق الدرر" والمناسبة في "المعرك"، إنما هو عمل ذهني في الأساس، وقد أكد ذلك بقوله: بأن مناسبات ترتيب السور .... أكثره من نتاج فكري، وولادة نظري، لقلة من تكلم في ذلك، أو خاض فيه في هذه المسالك .... وقد كتبت أولاً مسيمة "نتائج الفكر في تناسب السور" لكونه من مستنتاجات فكري؛ لأنـه أنسـب بالـمسـمي، وأزيد بالـجـناسـ(١)ـ. وتسقـ هذه الرؤـيـة معـ المـذهبـ الـذـيـ يـرىـ أنـ قـضاـيـاـ الـمـنـاسـبـ دـلـالـيـةـ/ـمـنـطـقـيـةـ، تـعـلـقـ بـعـالـمـ النـصـ، ولـيـسـ بـالـبـيـانـةـ الـلغـوـيـةـ الـمـتـحـقـقـةـ فـيـ التـابـعـاتـ الـجمـلـيـةـ.

٤— إذا كان "تناسق الدرر" قد بلغت فيه مظاهر المناسبة سعة عشر مظهراً، تمثل كل ما توصل إليه فكر السيوطي في هذا الشأن، فإن "المعرك" اشتراك معه في خمسة مظاهـرـ. وربما تكون حصيلة "تناسق الدرر" أعلى لاتساع المادة المدروسة، وأنـهـ خـصـصـ لـالتـخلـيلـ تـخصـيـصـاـ، بينما متوجه "المعرك" مختلفـ.

٥— توضح المقارنة بين الكتابين واستقراء النصوص، أنـ السـيـوطـيـ وـسـعـ وـجـوهـ/ـمـظـاهـرـ الـبـادـيـ الـحاـكـمـةـ لـالـعـلـالـاتـ الـدـلـالـيـةـ، بينما لـرـىـ وـجـوهـاـ آخـرـىـ فـيـ "ـالمـعرـكـ" لـمـ تـأـتـ فـيـ "ـتـنـاسـقـ الدـرـرـ"ـ، وقد وسـعـ جـوـالـبـهاـ، مـثـلـ:ـ التـخلـصـ،ـ الـاسـطـرـادـ،ـ الـاطـرـادـ،ـ بـرـاعـةـ الـاستـهـالـ،ـ الـامـسـتـهـالـ،ـ الـابـدـاءـ،ـ حـسـنـ الـتـخلـصـ،ـ حـسـنـ الـافـتـاحـ،ـ الـخـاتـمــ.ـ وـهـيـ سـجـاتـ عـنـدـ السـيـوطـيـ وـالـزـمـلـكـانـيـ وـالـبـاحـثـيـنـ فـيـ الـاصـحـازـ،ـ يـيدـ أنـ عـمـلـ السـيـوطـيـ يـظـلـ مـتـمـيزـاـ عـنـ شـيـرـهـ،ـ بـاـنـهـ حـاـوـلـ فـيـ أـكـثـرـ مـوـضـعـ أـنـ يـوـجـدـ فـرـوقـاـ دـقـيقـةـ بـيـنـ عـدـدـ مـنـ الـمـعـيـرـاتـ الـتـيـ تـبـدـ وـاحـدةـ،ـ وـلـمـ يـجـدـ عـنـدـ غـيرـهـ هـذـهـ السـمـةـ الجـوـهـرـيـةـ الـفـارـقـةـ فـيـ عـمـلـهـ.

٦— يلاحظ أن مظاهر المناسبة عند السيوطي ليست أخيرـةـ/ـفـاتـيـةـ، إنـماـ هيـ كـلـ ماـ تـوـصـلـ إـلـيـهـ عـقـلـهـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـعـرـ عـلـىـ مـظـاهـرـ آخـرـىـ،ـ إـذـ مـاـ تـوـصـلـ إـلـيـهـ،ـ لـيـسـ إـلـاـ قـطـرـةـ مـنـ بـحـرـ — حـسـبـ قـوـلـهـ — وـأـنـنـ أـنـ إـعـجـازـ الـقـرـآنـ سـيـكـشـ عـنـ مـظـاهـرـ آخـرـىـ أـكـثـرـ مـاـ أـشـارـ إـلـيـهـ السـيـوطـيـ .

٧— دـلـلـ السـيـوطـيـ عـلـىـ صـدـقـ الـقـاعـدـةـ الـتـيـ خـلـصـ إـلـيـهاـ فـيـ (صـ ٦٥ـ)ـ أـنـ كـلـ سـوـرـةـ لـاحـقةـ إـنـماـ هيـ مـجمـلـةـ لـلـقـيـلـهـ،ـ فـيـمـاـ يـخـصـ بـتـرـيبـ آيـاتـ الـقـرـآنـ وـمـنـاسـبـتهاـ .

(١) السـيـوطـيـ :ـ تـنـاسـقـ الدـرـرـ ...ـ صـ ٥٤ـ.

## ٤/١/٤: قضايا البلاغة وعلاقتها بـ "نحو النص" عند الباحثين في الإعجاز

### القرآن:

درج البلاطيون على تعريف البديع بأنه : علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة<sup>(١)</sup>، وقد نقله السيوطي عن سابقته، وبالتحديد عن ابن أبي الأصبع، كما يرى أحد الباحثين<sup>(٢)</sup>، ويشتمل النص على عنصرين مهمين فيما أرى :

الأول : وجوه تحسين الكلام (وهو جانب لفظي خالص) .

الثاني : رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (وهو جانب دلالي/معنوي بحت) وبالغالي فإن مباحث علم البديع، إنما تقع المعقدين، وهو ما جعل مظاهره منها ما يقع/يختصر بالجانب اللفظي(السيك)، ومنها ما ينتمي إلى عالم النص(الحبل). ومن خلال تضاد هذين العنصرين، يتم إنتاج النص، وبناء على هذا، فإن قضايا البديع إنما تقع المعقدين معًا، وتوضح الدراسة هنا ، هذه الرؤية — حسب تصور السيوطي — وهي تعكس بشكل آخر رؤية الباحثين في الإعجاز .

## ٤/١/٥: وجوه المطابقة بين اللسانيات النصية والبلاغة القديمة :

يسرى علماء النص أن البحث النصي، ما هو إلا امتداد لعدد من القضايا ذات الصلة بموضوع البلاغة، وقد ذهب أحد الباحثين<sup>(٣)</sup> إلى ذكر عدد من الفرضيات التي تلتقي فيها قضايا البلاغة مع القضايا الملحقة في علم لغة النص، توجزها فيما يلي :

- ١— من الممكن أن يخضع التوصل إلى الأفكار وترتيبها للضبط المنهجي .
- ٢— أن الانتقال بين الأفكار والتعبيرات غير متضمن على التدريب الوعي .
- ٣— أن بين النصوص المختلفة التي تعبّر عن تشكيلة معينة من الأفكار نصوصاً أرقى من سواها .
- ٤— من الممكن تقسيم النصوص بدلالة ما تحدثه من تأثير على جهور المستقبلين .
- ٥— تعد النصوص وسائل لقلل التفاعل الفاني .

(١) السيوطي : المعرف ١/٣٧٣.

(٢) د. أحمد عبد الوارث موسى: دور البلاغة في الإعجاز عند السيوطي في كتابه: معرفك القرآن في إعجاز القرآن من ٤٦ .

(٣) د. إمام أبو غزالة ، علي خليل: مدخل إلى علم لغة النص ٣٩ .

كما أنه يمكن أن أضيف عناصر أخرى تدعم/تفوي ذلك وتزيده توكيداً فاقول :

- ١- إن البلاغة ونحو النص كليهما يسعان إلى إيجاد قواعد للنص .
- ٢- تشرك البلاغة و"نحو النص" في أن كليهما يأخذ بعين الاعتبار سياق الحال (المقام) سواء في النصوص المكتوبة أم المنطقية .

٣- كل منهما يحاول أن يقدم تفسيراً للنص بالاعتماد إلى قوائين السياقات المختلفة، ييد أن السياق البلاغي وال نحووي، يرتكب عدداً من التفسيرات في آن واحد، إلا أن "نحو النص" يحدد تفسيراً واحداً اعتماداً على معايير النسبة التي حددها بوجرائد/درسلر كمنهج، ولا يقنع بأكثر من تفسير .

٤- كلاماً يلقيان في تقديم تفسير محدد ومقبول دلائلاً، ويحاول "نحو النص" أن يطور هذه المفاهيم والصورات الواردة في البلاغة القديمة بمساعدة عدد من العلوم المختلفة للبحوث الجريئية والمنجزات النظرية لعلم النفس المعرفي، وارتباطه الوثيق بميدان الذكاء الاصطناعي الذي يتطور بسرعة فائقة في النشاط اللغوي<sup>(١)</sup>، كعلم النفس الإدراكي والأنثروبولوجيا، ويفيد من كل هذا .

واذا كانت تلك تحمل قضايا المطابقة إجمالاً، فإن ثمة نقاطاً للموازن مائلة نوجزها كالتالي :

١- يلاحظ أن البحوث البلاغية القديمة في علم المعاني كانت تقتصر في جلتها على هذا المستوى من العرابط القائم بين وحدتين من القول في التتابعات الجملية وذلك عند تحليل مشكلات "الفصل والوصل" لا تكاد تتعذر هذا النطاق المجزئي المحدد، مما جعل جيدها يتضمن على المستوى التحوي أو التركبي، دون أن يتجاوزه إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتالية النصية... وهذا ما يقوم به علم لغة النص<sup>(٢)</sup> .

(\*) حول الاتجاهات المعرفية المختلفة التي اعتبرت بدراسة النصوص ينظر :

Van Dijk T. :Text and Context , p. 11 : 13.

(1) د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص من ٢٦٤

- ٢— تعمد البلاغة القديمة على الشواهد المبورة عن سياقها المختلفة، مما أدى بما إلى فقدان التفسير الدقيق الحد، وقد أفضت بما هذه الإجراءات المنهجية إلى تقديم تفسيرات متعددة ترتكبها البلاغة ولا تلفظها، في حين لا يرتضي "خو النص" التفسيرات المتعددة في آن واحد.
- ٣— لغة البلاغة القديمة "النصوص البلاغية" العالمية، كالقرآن الكريم والشعر والمحاترات الشرية، بينما "خو النص" كل النصوص اللغوية، المكتوب منها والمطروح على اختلافها.
- ٤— ليس من أهداف وغايات البلاغة القديمة تقديم قواعد هذه النصوص المختلفة، بقدر ما هو تقديم تفسير مرض لها، في حين يأتي استخدامها القواعد من تلك النصوص وتقدم تفسير دقيق بما من أولى أهداف وغايات "خو النص".
- ٥— اختلاف الإجراءات المنهجية المتبعة في البلاغة القديمة عن تلك التي ينهجها "خو النص". وعلى الرغم من تلك الموارن، فإن نقاط المطابقة ليست بخالية، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يرى أن "خو النص" ما هو إلا امتداد وتطوير تلك القضايا المخصصة بما البلاغة القديمة، أو أن علم البلاغة هي السابقة التاريخية<sup>(١)</sup>، ويحاول علماء النص أن يطوروا مفاهيم وأفكار البلاغة القديمة، وأن تدرس في إطار جديد، مثل قضايا الإعجاز، إنما تقع موقعين الأول : يتعلّق بالجانب السحري ونعني به الجانب اللغوي الممثّل على سطح القرطاس . الثاني : الجانب الدلالي، وهي تلك المفاهيم التي يبسّلها الجانب التحوي .

Van Dijk T. : *Textwissenschaft*, S. 7

(١) السابق ص ٢٥١، وينظر :

وفي هذا السياق يرى د. سعيد بحوري أن البلاغة القديمة تضم الأفكار الجوهريّة التي عنيت الدراسات النصية بالتوسيع فيها، وبالتالي توجد جوانب اتفاق عده بينهما إلى حد يصعب معه إغفال الآخر حين تكون درجة خفاذه مرتفعة، وليس تحارلا علم النص في جوهرها إلا السعي المستمر لضم هذه العمليات في إطار موحد بعد أن تباهت بين عدّة علوم . علم لغة النص ٦٦ .

وإذا كان المخصوصون ب بتاريخ اللسانيات النصية يرون أن "نحو النص" ما هو إلا امتداد للبلاغة القديمة وعلم الأسلوب<sup>(١)</sup>، فإن شبستر يرى : أنه على الرغم من وشائج القرى التي تشير في لها البلاغة القديمة وعلم اللغة النصي، بيد أن بعض العبارات الدقيقة تناولت بعض المعلومات الجديدة في علم اللغة النصي، على الرغم من عدم تناولها في الدراسات اللغوية أو إهمال ملاحظتها، حيث لم يهتم علم اللغة – إلا نادراً – بالخصائص البديعية (التطابق والعارض أو المقابلة والالتباط إلى الظاهرة الذي سبق في النص بضمائر تعود عليه)<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان علم اللغة لم يهتم بدراسة مثل هذه الجوانب، فإنما قد لقيت عناية واهتمامًا واضحين من قبل "نحو النص" و"الأسلوبية" ، وربما تعكس هذه الدراسة شيئاً من دور الحسنات البديعية بشكل عام في انسياك النص والمحبأك أجزائه وعدم التصارعدورها على الجانب الشكلي من التحسين والتزيين، وهكذا يغدو علم البديع مكانة مرموقة، ويستعيد قوه في ظل الاتجاه النصي، ليس بجانب علمي المعاني والبيان، بل في "نحو النص" بعد أن انتبه مكاناً قصياً وتوارى بالمحاجب في ظلل الدراسات البلاغية القديمة، وقع الدارسون بالقصارة على تزيين الكلام وتحسينه.

وهكذا نلاحظ أن تلك العناصر المشتركة بين البلاغة و"نحو النص" ، أو بغير آخر، فإن ثمة بعض القضايا البلاغية التي يستمرها "نحو النص" ، أما علم البديع فان جل قضاياه معقود عليها الآمال، بعد أن انتبهت مكاناً قصياً في الدراسات البلاغية القديمة، وكان أهون الشركاء للثلاثة : المعاني، البيان، البديع، وهي المرشحة القوية من فروع البلاغة، لأن تطور قضايابها: فالحسنات البديعية وألوان البيان لها أهمية كبيرة في النظرية الأسلوبية، إذا فهمت على أنها نظام من غرذوج خالي استدلالي، يوضع تحت تصرف المؤلف، ليعطي لها تأثيراً معيناً عند جمهوره ، ويعني ذلك أنها تعد من مجال اللغة *Langue* وأن لها تأثيرها في تحقيق النص..... وتدرك ألوان

(١) يستظر: هايسنه من (بالاشراك): مدخل إلى علم اللغة النصي ص ١٤ وما بعدها، برلد شبستر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٥، د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص من ٢٥١، ٢٥٠، د. محمد العبد:

جبك النص ص ١٢٥ .

(٢) السابق : الموضع ذاته .

البيان والمحسنات البديعية بدرجات متعددة حيث تحدث تأثيرات مختلفة بحسب السياق اللغوی ونوع النص والموضوع الذي يتضمنه الحديث والمقام والجمهور، وهكذا نتوقع أن تحدث الاستعارة في قصيدة عاطفية أثراً مخالفاً لما تحدده الاستعارة نفسها في حديث لغوي عادي .

إن ألوان البيان والمحسنات البديعية معايير لغوية يعتمد عليها المؤلف في عمل المقابلات والمطابقات في النص، وهكذا يمكن مثلاً للجنسان الناقص (الكلمات التي تتشابه في حروفها) والالسخات إلى ما سبق في النص (كذلك يعود على لفظ صريح سابق) أو المساواة بين أعضاء الجملة، أن تحدث مطابقات في النص .... إن هذا التقسيم للمحسنات البديعية، وألوان البيان، ونعني بها تقسيمها بالنظر إلى انماطها المختلفة إلى مقابلات ومطابقات — جدير بالاهتمام — كما أن السياق الذي يتجسد فيه ذلك ليس ثميناً، بل حقيقة واقعة<sup>(١)</sup> .

والواقع أن مثل هذه الدعوة بدأت تؤتي أكلها في اللسانيات النصية العربية، إذ ثمة اتجاه يعمال في صراحة محاولته الملححة في الإلادة من هذه العناصر القرالية التي ظلت متوازنة رديعاً من الزمن في الإلادة منها في " نحو النص "<sup>(٢)</sup> .

ومما هو جدير بالنظر أن دور المحسنات البديعية ليست جامدة، وكأنها قوالب تفرغ إلى الواقع، وإنما هي معايير لغوية، تكتسب دلالتها من خلال عدد من القرائن اللغوية والمقامية ودور المتنقي ولوعيته وفرض النص ... إلخ . كل أولئك يتحقق دورها، ومن ثم فإن ما يمكن أن تقوم به محسنات بديعية في قصيدة، تكتسب معنى آخر في قصيدة أخرى ذات سياقات مختلفة، ومن ثم فهي ليست جامدة، يصب فيها الكاتب غرضه، وإنما يتعجل دورها في تحقيق النص.

(١) برولد شلتر: علم اللغة والدراسات الأدبية من ١٧٣ . طال الاقتباس هنا بعض الشيء، فهو أن المبحث تبرر ذلك الطول .

(٢) ينظر د. سعد مصلوح: نحو أجرمية للنص الشعري من ١٥٩ ، والمحب التحوي عند تمام حسان ص ٣١ له أيضاً، وثمة دراسة للدكتور جميل عبد الحميد بعنوان: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ورغم يعكس هذا البحث شيئاً من ذلك .

## ٦/١٥: رؤية أولية للباحثين في الإعجاز القرآني للدور مباحث لبديع :

أحسب أن رؤية الباقلاني حول المحسنات البدعية ودورها لا تقل نضجاً حول دورها في تماستك أجزاء النص الواحد، إذ تراه يلبع على أنها لا قيمة لها، إذا لم يعطيها العمل الأدبي، ويشتزمها السياق، وبالتالي فإنها أدوات فنية وليس حلية في الكلام ليس لها دور سوى التزيين والتحسين .

وتحلة القول إن رؤية الباقلاني ترفض البديع؛ لأنه ليس فيه ما يخرج العادة، ويخرج عن المعرف.... وأن القرآن ليس كالشعر أو النثر، وأرى أنواع البديع، إنما يتأتي بالذرية والخبرة والتعرس، وهكذا لا يرفض الباقلاني البديع في ذاته، وإنما إذا كان متكلفاً، وبما أن البديع "باب من أبواب البراعة"، وجنس من أحجاس البلاغة، وأنه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغتهم، ولا وجه من وجوه فصاحتهم، وإذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديراً<sup>(١)</sup>. فهو لا يرفض البديع في ذاته، وإنما إذا وضع الوضع المناسب كان جديراً، حسب تعبير الباقلاني .

ويلاحظ أن الوان البديع<sup>(٢)</sup> عند الباقلاني، لا يقصد بها المعنى المحدد عند المتأخرین لهذا المسلم، وإنما المقصود منه علوم البلاغة المختلفة : المعانی، البيان، البديع، التي تم تحديد جوانبها فيما بعد الجرجاني، ومن ثم ترى عناصر العلوم المختلفة متداخلة عند الباقلاني .

وصلى الرغم من هذه الرؤية، إلا أنها نلاحظ أن الباقلاني تحت أنواع البديع(البلاغة) ذكر قضايا جلها يتعلق على ما اصطلاح على تسميته فيما بعد بعلم البديع، وتزدي هذه الرؤية إلى أن العناصر الأخرى الفاعلة كقضايا علم البديع والمعانی، لم تلق عناية كبيرة لديه، ومن ثم جاء تركيزه تنصيحاً على علم البديع، حسب رؤية المتأخرین له .

ويمضي على أن أوضح هنا أن عبد الجبار في المحقق/الجزء السادس عشر، لم تكن له عناية تذكر بالوان البديع<sup>(٣)</sup>، وبالتالي ربما تكون رؤيه أن البديع ليس له دور في بيان أوجه

(١) الباقلاني: إعجاز القرآن ص ١٦٤.

(٢) ينظر حول الاتفاق والاختلاف فيما نقله الباقلاني عن السابقين ورأيهم عليه ، وما أضافه إليهم فيما يتعلّق بعلففات النقد الأدبي بصلة خاصة ، د. شوقي حبيب: البلاغة تطور وتاريخ ص ١١١: ١١٢.

الإعجاز، وينبغي أن نلاحظ أن قضيائنا الفصاحة وتخليله له جاء موجزاً، وتفى المزية للجرجاني في أنه فصل جوانب القول.

وإذا كنا فيما مضى من البحث (ينظر: ٣/٢/٢) ذكرنا أن اهتمام الجرجاني بباحث علم البديع كان محدوداً، بناء على الإحصاء والاستنتاجات التي توصلنا إليها (ينظر: ٣/٢/٣) من البحث وما أورده د. العمري<sup>(١)</sup>، ويؤكد هذا الملاحظ عدد من الباحثين.

وإذا كانت دراسات الجرجاني في هذا الاتجاه محدودة في علم ذكره كل الفسون، فإن إثارة هذه القضيائين حول جهود الشيخ لا ريب أن لها مرجعية أساسية، ذلك أنه ركز في محوته على عدد محدد من العناصر مثل: التجسيس، السجع، غير أن توجيهه لما هو الذي يشقق ميزانه، وبضاعف من حسناته، يقول د. العمري: ووجه اهتمامه الأساسي للحديث عن الوظيفة التعبيرية، والأثر النفسي لها من ناحية، وعلى تلازمهما والتسجامهما مع النظم من ناحية أخرى<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي نرى له نظرية خاصة، خلافاً لما أورده أهل البديع، ولم يسلم من هذه الرؤية الباحثون في الإعجاز من لهم اتجاهها وسطأ، من ينطلق عن كتب البديع (السيوطى) وغيره، من جاءت له مناقشات في ثباتها هذا البحث، إلا أن الكيفية في التعامل مع الظاهر، هو الذي فرق عن غيره من الباحثين في الإعجاز، «فالمحسن البديعي» — في رأيه — لا ينفي أن يكون هدفاً في ذاته، ولا ينفي أن يكون حلية شكلية، تضاد إلى الصورة، وإنما لا بد أن يكون له دور في نقل المعنى وإيصاله، وأن ينسجم في الوقت نفسه مع البناء العام للتراكيب البلاغية<sup>(٣)</sup>.

وهكذا فإن العبرة عند الجرجاني ليس الغرض منها العكير، وإنما الإفادة في توظيف مثل هذه العناصر البديعية في الكشف عن جوانب مخفية من جوانب تفسير النص، وبالتالي فإن الجرجاني يحاول أن يتجاوز هذه المقولات والتصورات الضيقية، خاصة وأن الجنس ليس له مزية في ذاته، أي الجانب اللغوطي (الخصائص اللغوية)، إذ يرى أن التجسيس لا تم له فضيلة في الكلام

(\*) ثمة مؤلف آخر لعبد الجبار (التشابه) يتناول فيه قضيائنا بدقة، ينظر عبد الفتاح لاشين: بлагة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ٣٩٦ .

(١) ينظر: د. العمري: الباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز ص ٢٨٤ : ٢٨٣ .

(2) السابق: الموضع ذاته.

(3) د. العمري: الباحث البلاغية ص ٢٨٣ .

"إلا بنصرة المفعى" إذ لو كان الجمال باللفظ وحده، لما كان فيه مستحسن، ولما وجد منه معجب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه، والولوع به<sup>(١)</sup>.

وبالتالي فإنه يقرن ما ذهب إليه البديعون بأنه للتحسين، وأنه لا يتعلّق بالجانب اللفظي، وإنما يربط ذلك بجوانب أخرى دلالية، ليربط السبك بالحذف، وهكذا تخلص إلى نتيجة مفادها، أنه يرى رؤبة أهل البديع في هذا الاتجاه، ويطرور ويوضح فيها.

والأمر كذلك عنده فيما يتعلّق بالجانب السجعى في الكلام، وإذا كانت تلك هي المحسنات اللفظية التي استحوذت على اهتمام الرازى، فإن ثمة محسنات أخرى معنوية في مصنفاته كالمزواجة<sup>(٢)</sup>، والجمع والتقطيم<sup>(٣)</sup>، التجريد<sup>(٤)</sup>، وكلها عناصر مؤثرة في التحليل النصي، وهكذا فإن عنایته يجعل هذا الجانب لم تقل عن عنایته فيما يختص بالجانب اللفظي.

وإذا كُنا فيما مضى من البحث (يُنظر: ٤/٢٣) قد ذكرنا المعايير النصية عند الرازى التي يمكن أن يفيد منها البحث النصي، فإن هذه المعايير على الرغم من قلتها، فإنما أزيد/أكثر مما هو وارد عند الرازى، وبعد تصور الرازى للسجع والتتجيس والتتصريح ورد العجز على الصدر من القضايا التي يمكن أن تستثمر في ظل هذه الاتجاهات النصي، وربما تكون رؤبة الرازى حول التجيس بشكل خاص، فيما عرض له من تفريعات وتصوره له ما يمكن أن تستثمر هذه الرؤبة وتعمق في ضوء "نحو النص" في دراسة التكرار بشكل خاص وتطوريه والإلادة من جوانبه من لواح عدة، وهكذا يقدم الرازى تصوراً حول الإلادة من الأفكار التي يبحها التكرار والتجيس — حسب تعبيره — في ربط الأبنية الصغرى والكبرى على السواء.

وتعد هذه الجوانب التي تعرض لها الرازى المتعلقة بالجوانب اللغوية المحاطة في الإطار اللغوى، وكلها جوانب فيما أحسب تتعلق بعلم البديع، فالسجع يرتبط بالجوانب اللغوية المستحقة على السطح، وكذلك التجيس ورد العجز على الصدر، وكلها روابط لغوية سواء

(١) عبد القاهر الرازى: أسرار البلاغة من ٤.

(٢) يُنظر عبد القاهر الرازى: الدلائل من ٧٤.

(٣) السابق: الموضع ذاته.

(٤) يُنظر عبد القاهر الرازى: أسرار البلاغة من ٢٩١.

أكانت بإعادة اللفظ أو بأحد مشتقاته، أو بالربط الإحالى، وهي عناصر تحتاج أن تستمر في ضوء السياقات المختلفة من خلال دورها في التماسك النصي، وتعد دراسة أصحاب البحث في الإعجاز القرآني نموذجاً يحتلى في هذا الاتجاه.

غير أن هذه الرؤية لا تتفق عن اهتمام الرازي بالحوافب البلاغية الأخرى، فرى له اهتماماً بالتشيه والاستعارة والكتابية، وكلاهما قضايا يمكن أول من طرق البحث فيها. إلا أن ما يميز الرازي عن غيره من الباحثين في هذا المجال، أن نرى الملامح الأساسية لعلوم البلاغة وقضاياها أخرى أخذت ملائحتها تبدى فسماها بوضوح، أو لنقل بعبير أدق : وضوح الإتجاه الفلسفى في تقسيم الرازي، وبالتالي جاء الاهتمام بالجانب البديعي بعيداً في التحليل عن الجوانب البلاغية، غير أنها ينبغي أن نقر أن هذا التصور لتحليل جوانب الإعجاز، إنما كان يأتي في إطار منظومة متكاملة، بعيداً عن التقسيمات المصطنعة، وبالتالي نرى اختلافاً بين معاملة المجرجاني عنها عند الرازي، إذ بدأت التقسيمات وملامح العلوم تبدى شيئاً فشيئاً، وإن لم يشر إلى ذلك مباشرة، وهي قضايا وردت عند المجرجاني، وما يحسب للرازي منها :

- ١— تلك التقسيمات التي تبتد في ترتيب تلك القضايا التي تعرض لها الإمام عبد القاهر.
- ٢— ثمة إضافات للرازي في الطريعتين والإضافة التي تبدو واضحة عند مقارنة النصوص (ينظر: ملحوظات ٦، ٧ من البحث).

## ٧/١٥: رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني للدور "مباحت البديع" في حيث

### النص:

أشروا في ملجم سابق أن محمل رؤية السيوطي في "المفترك" هي حصيلة أفكار وتصورات السابقين عليه، وبناء على هذه الرؤية فيما تمن حياله، نراه فيما يتعلق بالأسباب المعلقة بالربط ينقلها عن الزركشي في البرهان<sup>(١)</sup>، كما هي : التغطير . المضادة . الاستطراد . وتووضح مقارنة النصوص بينهما، كيف أفاد السيوطي من الزركشي في هذا المجال .

(١) ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٧/١ : ٥٠٠ .

وإذا كان السيوطى قد أدرج : التخلص، الابداء، الخاتمة، افتتاح السور. التخلص .  
حسن التخلص . حسن الابداء . الاستطراد . حسن الطلب . براعة الاستهلاك . المناسبة .  
التناسق . التصدير . رد العجز على المصدر، وهلم جرا.

وبالتالي نراه أدرج مثل هذه العناصر البديعية مكتظاً بها، وهي رؤية لا تتفق مع ما  
ذهب إليه أحد الباحثين بدرجته عناصر أخرى ضمن دائرة المناسبة، إن جاز لنا أن نستعمل  
مصطلح السيوطى، فادرج : الغريف، التسهييم<sup>(١)</sup>، ولا تقتصر المفارقة على دائرة التوسيع  
فقط . وإنما ثمة تمايز آخر، حيث إن عدداً من العناصر التي أشار إليها ضممتها، من خلال معالجتها  
في سياق واحد، وهي قضايا المناسبة، كتلك التي أشرت إليها منذ قلمل، فما يشير إلى أن فنون :  
الاستطراد والتخلص وفصل الخطاب، والتغريب، والإدماج، والاستجاج، فهي فنون أوفر إدراجها  
في إطار علاقة يمكن تسميتها (الاستطراد)، وهي علاقة تعنى : الانتقال من معنى إلى معنى آخر،  
أو من موضوع إلى موضوع آخر . وهذا المعنى هو الركيزة التي تقوم عليها كل هذه  
الفنون<sup>(٢)</sup>.

ويمثل القول إن العلاقة التي تجمع هذه العناصر، هي الرابط المعنوي/ المفهومي بين  
بنيات النص من خلال هذه العناصر الممثلة لظاهر البديع في مؤلفات هؤلاء العلماء، وأحسب  
أن إدراج هذه العناصر، إضافة إلى ما ذكره السيوطى ضمن معاجلة معيار المناسبة أفضل لذلك  
الرابط العام الذي يجمع بينها، كما أن فيه توسيعاً لتلك الرؤية التي بدأها السيوطى وحاول  
الباحث أن يوسع القول فيها، كما أن مصطلح المناسبة له ما عليه في الدراسات القرآنية، فهو  
مصطلح ذاتي فيها، ولا تخلي دراسة في هذا المجال، إلا وهي مشتملة على عدد من قضايا المناسبة  
كلها أو بعضها، وهي دراسة الباحثين .... ومن ثم فإن إدراج هذه العناصر إضافة إلى ما ورد  
عند السيوطى تحت مصطلح "المناسبة" أفضل من تشتيت وتوزيع هذه العناصر في أقسام لا طائل  
من ورائها . ولعل في رؤية السيوطى السابقة حول المناسبة خلاصة ما ورد عند الباحثين،

(١) د. جليل عبد الحميد: البديع بين البلاغة العربية والمسايات النصية ص ١٦٩.

(٢) السابق ص ١٦٩: ١٧٣.

فصال في إطار هذا العلم ترد : المقابلة، الاستطراد، التخلص، والجمع والتفسيم<sup>(١)</sup>. وبين التحليلات والاستخلاصات التي وردت قبلًا هدف تلك النالج، غير أن الجمجم والتفسير الذي ورد عند البلاغيين في إطار المناسبة، وهو من علم البديع لم يذكره السيوطي ضمن هذه المباحث، على أن عدم ذكره في إطار المناسبة لا تقلل من إسهامه الحقيقي، إذ لم يكن الغرض التفسيرات والطريقيات بقدر ما كان عبارة الإلادة من كل العناصر المتاحة التي عرض لها السابقون .

وإذا كان البلاغيون مختلفين فيما بينهم حول تحديد قضايا المناسبة، فإن ابن سنان يرافق في المقابلة والتبديل، في حين يرى ابن الأثير المناسبة تعتمل في : المقابلة والتفسير والإرصاد(التسهيم) والتفسير . وتأتي هذه العناصر عند حازم مثلاً في : المقابلة والعكس والتبديل والطريق وعند ابن أبي الإصبع<sup>(٢)</sup> .

ولدل خلاصة ما ورد عند البلاغيين أن تصور الباحثين في الإعجاز القرآني(السيوطى غودجأ) أوسع وأشمل، بيد أننا يمكن القول إن رؤية الباحثين في الإعجاز قائمة على الانتقاء والجماع لكل ما سبق، وبالتالي تؤكد هذه الرؤية الأولية أن رؤية السيوطي تمثل حصيلة فكر السابقين عليه، مع الإضافات التي لا تذكر في هذا اهتمام، كما أشارت الدراسة في مطلب سابق (ينظر: ٤/٢/٤ من البحث) .

فالغريف: هو إيتان المتكلم بمعان شق من المدح والوصف، وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة عن أحدهما في تساوي الجمل في الزنة .

وإذا كان السيوطي قد أورد من مباحث البديع : التوشيح، إلا أنه لم يورد "التسهيم" ، على الرغم من الوظيفة الدلالية التي يقوم بها التوشيح والتسهيم وال العلاقة الجاماقة بينهما هو الترتيب المفهومي(العنوي) فالتسهيم هو : من الترب المسمى، وهو الذي يدل أحد سهامه على الذي يليه ؛ لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص له بمجاورة اللون الذي قبله أو بعده ...

(١) السابق من ١٧٤.

(٢) نقلًا عن د. جليل عبد الجبار: البديع بين البلاغة العربية والدراسات النصية من ١٧٤.

ويصلح أن يعرف بقول المقال : هو أن يقدم من الكلام ما يدل ما تأثر منه، أو يتأثر فيه ما يدل على ما تقدم بمعنى واحد، أو بمعنيين، وطورا باللفظ<sup>(١)</sup>.

وأقرب من هذا هي محاولة السيوطي جمع مثل تلك العناصر الفاعلة في الربط الدلالي، يؤكّد بشكل ضمني جميع تلك العناصر المترابطة من حيث الربط الدلالي، فإذا كان يرى أن التصدير، وهي ليست له: بأن تكون تلك النقطة بعدها تقدمت في أول الآية، ويسمى رد العجز .... وينقل أقسامه عن ابن المعتز، الأول: أن يوافق أول آنفها آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) النساء/٦٦. الثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو (وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران/٨. الثالث: أن يوافق بعض كلماته (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحقق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزرون) الأنعام/٩٠<sup>(٢)</sup>. وأما التوضيح فهو: أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية ... لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى مرحلة الوشاية، ونزل أول الكلام وأخره مرحلة العسايق والكتشح الذين يجولون عليها الوشاية<sup>(٣)</sup>. يجمع عناصر : التصدير والتوضيح ورد العجز على الصدر والتسهيم :

- ١— قضايا الربط بوجه عام .
- ٢— تشير تلك الأمثلة والأيات القرآنية التي عرض لها السيوطي أنها لا تعدد مستوى الجملة/ الآية في التلاطف السابعتين المكونة لبيبة النص الدلالية .
- ٣— كان الباحثون في الإعجاز القرآني(السيوطى) على وعي تام بالوظائف الدلالية العامة لمظاهر المناسبة .
- ٤— كان الباحثون في الإعجاز القرآني(السيوطى) على وعي بذلك العلاقة الحقيقة التي تربط بين كل من: التصدير ورد العجز على الصدر من ناحية، وبين التوضيح والتسهيم من ناحية أخرى.

(١) ابن أبي الأصم : تحرير التحبير ٢٦٣/٢ : ٢٦٥ ، نقلًا عن: المدعى بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص ١١٥.

(٢) السيوطي: المعتز ٤٨/١.

(٣) السابق ٤٩/١.

٥— لاحظ السيوطي/الباحثون في الإعجاز تلك العلاقة الرابطة بين هذه العناصر : التصدير، ود العجز على الصدر، التوشيح، وأضاف البلاغيون : "التسهيم" كعنصر يرتبط بعلاقة دلالية بهذه العناصر.

٦— اشتركت هذه المظاهر البدوية في أنها تربط بين بداية الآية القرآنية الواحدة الجملة الطويلة باخرينها، ولم تستمد حدود الجملة الواحدة خلافاً لـ "رد العجز على الصدر" ، فإن الربط به ينبع من حدود الآية الواحدة والآيتين إلى بداية النص بهمايه .

وتحب الإشارة إلى أن مثل هذه العناصر يدرجها العبيون بـ "نحو النص" ضمن ما يطلق عليه بـ (الصحابيات المعجمية)، إذ كل عنصر يصاحبه عنصر آخر، وقد أشرت في موضع آخر من البحث إلى العلاقة القائمة بين رد العجز على الصدر وتشابه الأطراف، وهي علاقة المطابقة. وأحسب أن التصور الرابط بينهما مهابر لتلك التي تجمع بين "رد العجز على الصدر" وبين العناصر الأخرى الجامدة، ومن هنا، فإن العلاقة القائمة بين "رد العجز على الصدر" والعناصر الأخرى، هي علاقة الخاص بالعام، بينما تبقى العلاقة بين "رد العجز على الصدر" و"تشابه الأطراف" علاقة مشابهة من حيث الوظيفة الدلالية، إذ تبعدي المشابهة أو المطابقة أو الروابط حدود الآية أو الآيتين، وينبع كلها ذلك بكثير .

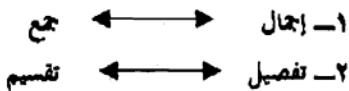
وإذا كنت قد أشرت إلى معاجلة السيوطي حول المناسبة وعنصرها، التي رأى أنها تدور في تلك مصطلح (المناسبة/التعاسب ... الخ) فإن أحد الباحثين<sup>(١)</sup>، قد أضاف عنصر: **التطويف**، ضمن عناصر المناسبة، وبالتالي فإن التصور حول هذه العناصر قائم بين الباحثين على عملية توسيع هذه الدائرة، ومن ثم فإني بنوري هنا أحارول توسيعها بإضافة عناصر أخرى إليها، بناء على الوظائف الدلالية المشابهة . وأحاور هنا أن ذكر هذه العناصر مجتمعة، ثم آتي على كل واحد منها منفرداً، وذلك انطلاقاً من أن البحث في هذه العناصر، إنما يحاول أن يطبق رؤية السيوطي السابقة على مثل هذه العناصر، ومن هنا نعبر مدى فاعليتها في هذا الموضع، فـ **الالف والنشر**، **حسن النسق**، **الجمع والتقطيع**، **الجمع والتغريق والتقطيع**، **التصدير**، **التغريف**، **التقويف**، **التقسيم**، **التدبيج**، **الانسجام**، **الأطراد**، **الترديد** .

(١) د. جيل عبد الحميد : البداعي بين البلاغة العربية والمسانيد النصية ص ١٦٩ .

فاللف والنشر : أن يذكر شيئاً أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً، بأن يزددي بلفظة تشمل على محدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المقدم، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به<sup>(١)</sup>.

وتثنين الآيات القرآنية التي استشهد بها السيوطي، وفي تقسيمه اللف والنشر إلى : الإجمال والتفصيلي، إلى أنه قريب من التفصيل بعد الإجمال، وهو يتعلق بعناصر : (العلاقون/الإيات) المختلفة بالعنصر المفهومي (المعنوي) للنص القرآني، بيد أن تمايزاً قاتلاً بينهما في أن اللف والنشر يربط على مستوى الآية القرآنية الواحدة (المجملة الطويلة)، في حين يأتي التفصيل بعد الإجمال متتجاوزاً حدود الآية الواحدة إلى أجزاء السورة، رابطاً عناصرها ربطاً معيناً، ولا يقتصر الأمر عليه داخل السورة، بل يقع التفصيل لاجمال آية أو آيات في سورة متقدمة . ولا يشترط فيه أن تكون السورة سابقة لتلك السورة مباشرة، بل قد يفصل بينهما بسورة أو أكثر، كما هي الحال فيما يتعلق بالإجمال الوارد في سورة الفاتحة والبقرة والتفصيل في النساء والМАئدة ، حسب نصوص السيوطي، ولا تنتهي هذه الرؤية وقوفه داخل الآية الواحدة، كما دلت المناقشة الواردة عند تحليل شاذج من كتاب "ناسق الدرر ...".

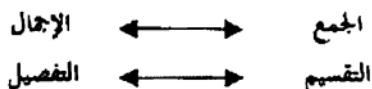
ويؤدي هذا النصوص إلى تلك العلاقة القائلة بين اللف والنشر من ناحية، والتفصيل بعد الإجمال من ناحية أخرى، إن صحت — وهي كذلك إن شاء الله — إلى اعتبار المقاربة الدلالية في العمل، غير أنه يظل عمل (وظيفة) التفصيل بعد الإجمال أعم وأوسع من تلك التي يعمل من خلالها اللف والنشر التي لا تتتجاوز حدود الآية الواحدة، وهكذا يتحقق عمله في الربط في جزء واحد مما يتعتمد إليه عمل التفصيل بعد الإجمال، وقرب من هذين العنصرين "الجمع والتقطيم" : وهو جمع متعدد تحت حكم تم تقسيمه، ومنه قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصل، ومنهم سابق بالخيرات يا ذن الله) فاطر/٣٢، وبناء على ذلك، أحسب أن الجمجم مقابل موضوعي للإجمال، والتقطيم مقابل للتفصيل.



(١) السيوطي : المعرك ٤٠٨/١ ، ٤٠٩.

وهي رؤية جامعها المقاربة الدلالية، وإن ظلت سمة مشتركة بين الجمع والتقسيم واللف والنشر، وهي رؤية قائمة على أن خوازجه لم تتعدد الآية الواحدة (الجملة الواحدة)، وما ينطبق على ما مضى ينطبق على "الجمع والفرق والتقسيم"، فهو داخل في هذا الإطار، وتستوي هذه الرؤية النظر إلى اعتبار كل من : اللف والنشر وقضايا التفصيل بعد الإجمال بوجه عام، والجمع والتقسيم والتصصير والعراضة ورد المجز على الصدر، وهلم جرا من المصاحفات المجمحة، أي تلك التي تستدعي معياراً آخر، إما متمم، وإما مقابل مرتبط به بشكل أو باخر، وإن بقي لكل عنصر خصائصه التي تخصه دون غيره .

كما أني إذا كنت قد أشرت إلى العلاقة بين الجمع والتقسيم على أنها يقاربان في الوظيفة الدلالية مع التفصيل بعد الإجمال بشكل عام، وبالتالي — ربما — يلخصي هذا التصور إلى تصور آخر قائم عليه ومردود إليه، أن :



وتشير هذه الرؤية إلى الإمكانية التي يمكن أن يأتيا عليها، كل متصل عن الآخر، وهي إمكانية غير متحققة في التفصيل بعد الإجمال، وتخل هذه العلاقة تبايناً بين عمل الاثنين، إضافة إلى ما ورد غالباً .

ويؤدي بما هذا التصور إلى رؤية قائمة على أساس، إذا كما قد اعتبرنا (فيما مضى) المناسبة عند السيوطي مصطلحاً عاماً يجمع ضمن إطاره جمل العناصر البديعية والتقدمية على السواء، حتى أنسى أحمسه مثابلاً عربياً لمصطلح (Kohärenz) في اللسانيات النصية المعاصرة. وبعد عنصر التفصيل بعد الإجمال أحد ركائزه الأساسية، والذي بني عليه السيوطي كتابه "تناسق الدرر ..... " وأعتبره قاعدة عامة في القرآن الكريم، حسب استقرائه للنص وتلك النهاية التي خلص إليها "تناسق الدرر ... " (ص ٦٥). أقول بناء على استقراء السيوطي للنص القرآني، وعلى تلك التطبيقات الواردة، والنماذج الموضحة لعدد من العناصر البديعية، أن ليس التفصيل بعد الإجمال قاعدة عامة في القرآن فقط، وإنما أدى هذا التصور إلى وجود انماط

وأشكال عديدة مختلفة النصية : كاجماع والطسم، والاجماع والتفرق والتقسيم، والاجماع والتقسيم، كل على حدة .

واللف والنشر، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، والتوضيح، والتسهيم، والإرصاد، والالاتاح (التابع للسورة) والخواتم (خواتم السورة)، والظريف، حسب رؤية بعض البلاطين وهلم جرا، وكلها عناصر تقع ضمن إطار أحد، وهي المناسبة، وواقعة في نطاق أضيق خاصة بالتفصيل بعد الإجمال، وهكذا تنسق وتوحد (تعتدد) تلك النتيجة بما توصل إليه السيوطي، وتؤكد من ناحية أخرى على نتيجة أخرى ملائمة لتلك التي توصل إليها السيوطي . وإذا كنا قد أشرنا بناء على رؤية/قاعدة السيوطي (نماذج الدرر... ص ٦٥) : أن كل سورة شارحة ومفصلة للتالي قبلها، وبالتالي فإن هذا التصور يجعل من قضايا سورة الفاتحة فيها الركائز الأساسية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وهكذا فإن ترتيب سور في المصحف العثماني قال على ترتيب أن كل سورة سابقة، إنما هي في الواقع محملة مقارنة للتالي، وأكثر إجمالاً، بالنسبة للسورة التي تليها وهكذا . وقياساً على ذلك، فإن معيار المناسبة الوارد عند السيوطي، يدل إجمالاً لمعايير/عناصر عدة، وكلها واقعة في إطاره، وبالتالي فإن عنصر التفصيل بعد الإجمال مقارنة بعنصر المناسبة، فهو مفصل/تفصيل، والمناسبة إجمال/بجمل، والركيزة الأساسية . وهكذا تسع الدائرة شيئاً فشيئاً من حلال التفصيل بعد الإجمال، فهو تفضيل، مقارنة بعنصر المناسبة، وهو محمل مقارنة بالعناصر التي أشرنا إليها، وهكذا تتحد هذه العناصر كلها لاحتكاك وانسياك آياته وسوره ببعضها ببعض .

## ٢/٥: المعيار الثاني الرابط/الارتباط<sup>(١)</sup> عند الباحثين في الاعجاز القرآني

(١) من المقصد الإشارة في هذا المقام إلى أن المعني بـ "نحو النص" منقسمين على أنفسهم في صياغة دقيقة ومحددة لترجمة مصطلح (Kohäsion) بالألمانية و(Cohesion) بالإنجليزية كما يلي :

- ١- السبك : ١- ذ. سعد مصلوح : أ - نحو أجرامية للنص الشعري من ١٥٤ .
- ٢- ذ. سعد مصلوح : ب - المذهب التجوي عند ثام حسان من ٢٣ .
- ٣- د. محمد العبد : حيث النص من ١٢٧ - ١٣٩ .

وقد تم كل منهم أدلة وحيدين وتبلدة الصلة ببعضها ببعض، فيما يتعلق باختيار هذا المصطلح العربي كمقابل للمصطلح الأجنبي .

- ٣— د. ثامن حسان: النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣ .
- ٤— التضام :  
١— د. ثامن حسان: نحو الجملة و نحو النص ص ١ .
- ٢— د. إمام أبو غزالة : مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٩٣ .
- ٣— التماضك :  
٤— محمد عطوي: لسانيات النص ص ٥ .
- ٤— د. فلاح بن شبيب: مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٩٣ .
- ٤— الربط البجوي : ١— د. سعيد بجوري: علم لغة النص ص ١٤٩ .
- ٢— د. سعيد بجوري: اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٦٩ .
- ٥— الالتحام : ٥— د. ثامن حسان: النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣ .

ونلاحظ التباين في اختيار المصطلح المغير عن الفرض، وبالتالي فإننا نلاحظ أن مصطلح الالتحام مستعار من مؤلفات الأدب، وأعيد نص الجاحظ هنا ثانية لأن له من أهمية في هذا السياق ، يقول: وأجدو الشعر ما رأيه متلاحم الأجزاء سهل المخالج، فلعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراطاً، ومبكّاً واحداً، فهو بجوري على اللسان كما يجري على اللسان: اليان والثبين ٦٧/١. وبجوري نفس الجاحظ على مصطلحين: "السلك" المختار عند د. مصلوح ود. العبد و"الالتحام" والمفضل لدى د. ثامن، إلا أن مصلوح قد أبان ضمّناً عن أن هذا الاختيار جاء ليتنقّ مع ما ورد في التراث العربي، وإن لم يشر إلى الجاحظ وابن منقذ صراحة ، غير أنه كشف عن معنى مادة "سلك" في اللسان لابن منظور، وأما د. ثامن فاكتفى بالاختيار المناسب للتراث كذلك، إلا أنه لم يشر إلى سبب اختياره لا من قريب ولا من بعيد .

ولنا ملاحظة في هذا الصدد فيما ذكره د. مصلوح بإن تبريره لاختيار مصطلح "السلك"؛ لأن له صلة وثيقة بالتراث، فإن ما ذكره الجاحظ، إنما يجري في الواقع على المصطلحين، ورغم هذا ما حدا بالدكتور ثامن أن يختار المصطلح الثاني، فإن رؤيه بأن له صلة بالتراث/الدراسات النقدية ، ينبع على هذه الرؤى ، فيها نظر ، لأن المصطلح الثاني المستعمل عند د. ثامن وارد أيضاً عند الجاحظ، ومن ثم فإن حشيشاته تحتاج إلى إعادة نظر .

أما ترجمة "الربط" الواردة عند د. بجوري فهو عنصر نحوي مستعمل بشكل أكثر في المؤلفات النحوية (ينظر: علم لغة النص هامش ص ١٨٥)، ومن ثم فإن مجمل القول إنما ينتمي إلى تواري الأدب والنقد من ناحية وإلى تيار النحوة من ناحية أخرى، وقد أشار د. مصلوح (المذهب النحوي عند ثامن حسان ص ٢٣)، بأن التضام قد يكون هو المقصود بالسلوك، غير أنه قد أبان عن مغایرة بين هذا المصطلح (السلوك) وما هو عليه د. ثامن حسان (التضام) (المذهب النحوي عند ثامن حسان ص ٢٣)، ومن ثم تكون أمام مصطلحين في مذهب ثامن النحوي أو بغير آخر ، أن كليهما يؤدي الغرض ذاته لديه، وبالتالي فإن المصطلحين عنده يمعنى واحد .

## ١/٢/٥ : قضايا لغوية عامة ودورها في سبك بنيات النص :

ثمة عدد من القضايا التي أشار إليها السيوطي، تدرج كلها ضمن معيار الارتباط، فقضايا مثل التقدم والتأخير من المواطن المتعلقة بظاهر النص عند الباحثين "نحو النص"<sup>(١)</sup>. غير أن ذلك لا ينفك عن المعيار المقابل (الحبل/التلارم)، وتؤدي هذه الرؤية إلى القول بأن التقدم والتأخير كالمعلمة الواحدة، أحد وجهيها السبك والآخر الحبل، لذلك فإنه مظهر ذو صفتين، ومن هنا يقع موقعه وسطاً، لا ينتمي لأحد هما صراحة، وإنما ينتمي إلى السبك أصلية وإلى الحبل بالتهمة .... ويركز هذا الاستنتاج أن السيوطي يرد قضايا التقدم والتأخير، إما إلى مظاهر تتعلق بالحبل، كقضايا : البناء والاتصال والاعتناء بشأنه، وإما لقصد الفتن في المفاصحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب<sup>(٢)</sup>. ويزيد هذه الرؤية توكيداً لعرضه لأسباب التقدم وأسراره، وهي قضايا تتعلق بالتماسك الدلالي أكثر منها بالجانب المسطحي<sup>(٣)</sup>.

على أن قضايا "العموم والخصوص" التي أشار إليها السيوطي منها ما يتعلق بالسبك وآخر بالحبل، ونشر يأخذ إلى القضايا المتعلقة بالارتباط(السبك) كالاستههام والاسم الموصول والجمع المضاف والمعرف بـ(آل) وبسياق الشرط والامتنان<sup>(٤)</sup>. وثمة وجه تحدث فيه السيوطي عن إعجاز القرآن الكريم، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام : قسم لا يصلح إلا للنبي(صلي الله عليه وسلم)، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم يصلح لهما. قال السيوطي، قال بعض الأقدمين: أنزل القرآن على ثلاثين نحواً، كل نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجهاً، ثم تكلم في الدين أصحاب ورفق، ومن لم يعرفها وتكلم في الدين، كان الخطأ إليه أقرب، وهي المكي والمدني، والناسخ والمسوخ، والحكم والتشابه، والتقدم والتأخير، والمقطوع والموصول، والإضمار، والخاص

(1) R. A. de Beaugrande/W.U.Dressler :*Einführung in die Textlinguistik*, S. 50.  
- H. Vater : *Einführung in die Textlinguistik*, S. 32.

(2) السيوطي: المعرفة /١٧١/١.

(3) السابق : ١٧٤/١ : ١٨٠.

(4) ينظر السابق : ٢٠٧/١ : ٢٠٨.

والعسام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام، والأهمة والمحروف المتصروفة، والأعذار والإنذار، واللحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال والقسم<sup>(١)</sup>. ولا شك أن هذا الفرض الموجز ينسى عن ملاحظتين على قدر من الأهمية، أن وجوه المخاطبات، إنما تقع الموقعين، وبالأخرى فيما يتعلق بالجواب الدلالية، ويؤكد هذه الرؤية ما يلي:

- ١— أن قضايا مثل التقاديم والتآخير، والمشابه، والمقطوع والموصول، والسبب والإضمار، والخبر والاستفهام، والأعذار والإنذار واللحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم، إنما يتعلّق بظاهر النص وقضائيه المطلقة بالارتباط بنية اللغة.
- ٢— أن ثانياً المعاجلة، إنما تكشف عن انسياك هذه الظواهر اللغوية، بجوابات دلالية، مما يكشف عن تلاحم بنية السطح مع بنية العمق، ويكون — من خلالها — النص بناءً محكماً متحدداً الأجزاء. فالتعاملك الدلالي للنص مما يشير إليه مصطلح "الأهمة" الموضوع للتخصيم والعظامة والأهمة<sup>(٢)</sup>، وخطاب النم وخطاب الكراهة والإهانة والتهكم وخطاب الجمع بلفظ الواحد والعكس وخطاب الواحد بلفظ الآثنين، وخطاب الآثنين بلفظ الواحد وخطاب الآثنين بعد الواحد، الجميع وخطاب الجميع بلفظ الآثنين، وخطاب الجمع بعد الواحد، وخطاب الآثنين بعد الواحد، وخطاب العين وخطاب الغير والمراد به العين، وخطاب الشخص. ثم العدول إلى غيره، وخطاب التكوين/الالتفات ، وهلم جرا<sup>(٣)</sup>.

ثم ينتقل السيوطى إلى وجوه المخاطبات، غير أنه يريد منها الجانب الدلالي كخطاب التصريح، والتحبب، والمعلول<sup>(٤)</sup>. والوجه السادس والعشرون من وجوه الإعجاز، إيهازه في آية وإطاباه في أخرى .

(١) ينظر تفصيل ذلك في المعرك ٢٢٩/١، ٢٣٩، وقد حاولت الاختصار تجنباً للإطالة المفتوحة.

(٢) ينظر تفصيلاً في السيوطى : المعرك ٢٣٠/١.

(٣) السيوطى : المعرك من ٢٣٢/١ : ٢٣٦/١.

(٤) السابق : ٢٣٧/١.

و واضح أن قضيابا الإيجاز، إما هي قضيابا لغوية تتعلق بظاهر النص، ولا أدل على ذلك أن السيوطي ضمن رأياً لقديمة بن جعفر أن نوعاً من أنواع البديع يسمى "الإشارة"، وقد فسرها قديمة، حسبما نقله السيوطي بأنه: الإشارة بكلام قليل ذي معانٍ جمة، وهذا هو إيجاز القصر يعنيه، وفرق بعضهم بينهما<sup>(١)</sup>.

على أن ما يهمنا أن الإيجاز قريب من الإشارة/إيجاز القصر، وأن التسوية بين ما ينتمي إلى مباحث البديع، إما تقع ضمن إطار سبك النص وحimك، وبالتالي فإن الإيجاز يقع معاوياً/موازياً ضمن ما يتعلق بسبك النص.

ويبيّن أن نشير هنا إلى أن وقوع مثل هذه القضيابا ضمن إطار انسياك النص، فإما تقع كذلك موقعاً آخر ضمن المباحث النص وترتبط أجزائه دلائلاً وتستعين من إشارة السيوطي، حيث ذكر أساساً منها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره والبنية على الزمان يقتصر عن الإنسان بالمعنى، والتضييم والإعطاء لما فيه من الإيهام، والتخفيف لكترة دوراته في الكلام، وكونه لا يصلح إلا له، حياته عن ذكره تشربها، وصيانة اللسان عنه تغيراً له، وقصد العموم، ومنها رعاية الفاصلة<sup>(٢)</sup>.

وهي قضياباً منطقية تتعلق بالبنية العميقـة في الأساس الأول، تتصافـر مع مظاهر السـبك لـتـلاـحـمـ وـالـسـجـامـ بـنـيـةـ النـصـ الـقـرـآـنـ، وـتـفـصـيـلـاـ جـوـابـ السـبـكـ، يـخـالـوـ السـيـوـطـيـ جـوـابـ حـدـفـ المـفـعـولـ الـخـتـصـارـاـ وـالـتـصـارـاـ<sup>(٣)</sup>.

ويـمـحمدـ السـيـوـطـيـ هنا آراءـ النـحـاةـ، خـاصـةـ اـبـنـ هـشـامـ، وـكـانـ يـقـلـ هـذـاـ الـبابـ عـنـ بـرـمـعـهـ، وـيـقـلـ بـعـدـ ذـلـكـ لـلـحـدـيـثـ عـنـ أـنـوـاعـ حـدـفـهـ<sup>(٤)</sup>، وـفيـ كـلـ ذـلـكـ يـعـرضـ الـحـدـفـ عـلـيـ أـبـوـابـ الـسـنـوـيـ، مـضـمـنـاـ الـعـلـالـةـ بـيـنـ مـاـ يـعـلـقـ بـنـيـةـ النـصـ مـعـ ظـاهـرـهـ؛ مـحاـوـلـةـ لـإـقـامـةـ نـصـ مـعـواـزـ/ـمـصـارـ.

(١) السابق: ٤/١.

(٢) السيوطي: المحرك: ٩/٣٠.

(٣) السيوطي: المحرك: ١/٩٣٠ وما بعدها.

(٤) السيوطي: ١/٩٣٢.

وفي مقابل الإيجاز، تناول الإطناب، لتكثير الجمل، ولم يشر فيه إلى كلام كثير، بيد أنه ركز على النوع الثاني، وقسمه إلى: دخول حرف، فاكثر من حروف التاكيد، دخول الأحرف الرنانة ، والتاكيد الصناعي وقسمه إلى: التكرير، والصلة، والبدل، وعطف البيان، وعطف المخاطب على العام، وعطف أحد المتراوفين على الآخر، والإيضاح بعد الإيمام، والتفسير، ووضع الظاهر موضع المضمر، والإغفال، والتيسيل، والطرسود والعكس، والتكميل، والتحريم، والاستفهام، والاعتراض، والتعليل<sup>(١)</sup>.

وهو في كل ذلك، إنما يحاول أن يربط بنيته ظاهر النص المتمثلة في هذه القضايا، ببنيته العميق، كاشفاً عن أوجه التفاعل بين التابعات الجملية(بنيّة النص) وعلمه في نص لا يأنبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن هنا نرى الفصل بين مظاهر السبك والحبك، إنما هو إجراء منهجي في الأساس، فإذا أمكننا الفصل بينهما شكلاً، فإنما على المستوى التطبيقي، إنما تعالج مثل هذه القضايا مجتمعة؛ لأن مثل هذا التلازم المبين على المستوى المسطحي(بنيّة اللغة) الذي يمثل تجسيداً حياً وواقعياً لتلك التي نراها كائنة خلف البنية الظاهرة في النص إلى ما هو أعمق (علم النص) ربط مثل هذه العناصر اللغوية التجسدية في البنية اللغوية،إنما هي الناتجة الفعلية لبنيّة أخرى، تمثل في البنية الدلالية، وإن آية محاولة للفصل بينهما، إنما هو على المستوى التظري؛ ذلك أن الدلالة المسطحة، إنما هي من الروابط والتركتيدات والتفسير والتوضيح والإحال والتقديم في مواضع وهلم جرا، وإن آية محاولة فعلية للفصل بينهما على المستوى التطبيقي .... إنما هي محاولة تقسيطية في الأساس .

وإذا كان قد ربط بين الإيجاز الذي قرنه بما سماه قيادة "الإشارة"<sup>(٢)</sup>، وأدلى بدلونا ثمة، أن الإيجاز إنما يقع موقعين، أعني ارتباطه بشكل أولى بالجانب اللغوي المتمثل في تلك القضايا التي جاءت الإشارة إليها، بما هو ظاهر على صفة القرطاس، فإن هذه الرؤية لا تنفي ارتباطه بالعناصر الدلالية ، وبناء عليها دعمت موقفنا، بأن مظاهر الإيجاز والإطناب، إنما تسمى إلى

(١) السابق: ١/٣٤٣ : ٣٧٣.

(٢) السيوطي: المعرك ١/٤٣٠.

سبك النص وأجزائه أصلية، وإلى جانبه المعنوي بالتبعية، وبناء على المقاربة التي أوردها قدامة في "التسوية" بين الإيجاز والإشارة، فإن الرأي عندي أن الإيجاز والإطناب كليهما واقع لا ريب ضمن إطار سبک وأحبك.

## ٢/٢/٥: دور البديع في سبک النص من منظور الباحثين في الإعجاز:

لمدة عدّد من مظاهر/عناصر البديع المهمة التي أشار إليها السيوطي غالباً إليها عن البلاطغين في سبک البنية اللغوية للنص القرآني، غير أن محاولة أصحاب البحث في الإعجاز تفرق عن معالجة البلاطغين في أن تحويل البلاطغين يتضمن نصوصاً لغوية من النص القرآني، ومن الشعر، وبعض الخطب التشرية، الأمر الذي يعكس مفارقة بين عمل الاثنين .

وإذا كان السيوطي (غالباً الباحثين في الإعجاز) قد أشار إلى مباحث بديعية، فإننا يمكن تقسيمها إلى عدّد من الجوانب، جامعين العناصر المقاربة، بناء على السمات المشتركة ، في صعيد واحد، وكما هم في الوقت ذاته عن دورها في سبک النص التمثيل في التعبارات اللغوية للنص.

و قبل أن أبدأ في تفاصيل العناصر البديعية من وجهة النظر النصية، حيث يبلو موقع السيوطي (الباحثون في الإعجاز) مما هو على النظر هنا، إلا أنني أرى أن قضياء على الرغم من تلك الرؤية المقرحة سلفاً (ينظر : ٣/٣ من البحث) لأن قضياء أراها: معداً خللة إلى الحد الذي يصعب معها الفصل في كثير من الأحيان .

وتدل المصاحبات المعجمية على علاقة من نوع ما، كعلاقة الصناد (التعابين) التي تحدّثها المطابقة، وإن فرق ابن أبي الاصبع بين المقابلة والطباقي، بأن الطباقي لا يكون إلا في صفين فقط ، والم مقابلة لا تكون إلا بما وارد على الصفين . الثاني : أن الطباقي لا يكون إلا بأضداده، والم مقابلة الأضداد وتقريها<sup>(١)</sup> . كان تبدأ هذه بالشمس وتلك بالضحى، أو الترتيب على أساس الأصل، أو التقابل بين المؤمنين والكافررين في عدد من المواضع. وهكذا تعكس هذه العناصر مظهراً مهماً من مظاهر المصاحبات المعجمية .

---

(١) السيوطي : المعرك ٤١٦/١.

كمالاحظ أن السيوطي في هذا الموضع موجز لأراء البلاغيين فيما يتعلّق بالمقابلة، وما يتّسّع عنها، فإذا كان البلاغيون في محمل آرائهم يرون أن المطابقة ثمة، منها مطابقة : إيجاب أو سلب، ومنهم من يدخل التدبيّج في إطار المطابقة، وقد أطلق ابن أبيالاصبع "التردّيد" مدخلاً لإيهام ضمّن المقابلة، وبالتالي فإن كلاماً من : التدبيّج والتردّيد، طباق الإيجاب أو السلب، إنما يشير كان جديراً في صلة إعادة النّفظ داخل إطار الجملة، ليس أكثر من ذلك.

إذا كان التكرار اللغظي، بما يمثل من أنواع مختلفة، فإننا واجدون عناصر أخرى تدخل في هذا الإطار، وتتلرج ضمن أنواعه كالتردّيد<sup>(١)</sup>، وواضح أن رؤيته قائمة على أنه لا يتجاوز أسوار حسدو الجملة الواحدة، وإن لم يأت ذلك صراحة . وإنما من خلال الآية الكريمة(غافر/٦٧) التي استشهد بها .

كما أن (تشابه الأطراف) من تشابة اللّفظ يعمل على سبك النص لغويًا من حيث البنية اللغوية بين جوانب مختلفة من النص، كما أشرت إلى ذلك في قضايا المناسبة في معيار الجيلك. وهذا الربط لـ"تشابه الأطراف" يتجاوز مستوى الجملة إلى آفاق أوسع وأرجح مما هو عليه في "التردّيد" و"الاشتقاق"، اللذين لا يتجاوزان مستوى الآية القرآنية . وبالتالي فإن العنصر الجامع هذه المظاهر الربط، إلا أنه مع "رد العجز على الصدر"، وتشابه الأطراف، يكون أوسع وأحكم ، مما هو عليه في "التردّيد" و "التعطف" ، اللذين لا يبعدان حلود الجملة/ الآية الواحدة . وتعذر عناصر: المشاكلاة والمطابقة والترصيع والمقابلة عناصر تتجاوز الآية الواحدة، يقول السيوطي المشاكلاة : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأ، فالالأول كقوله تعالى(تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك) المائدة/١٦، و(جزء سبعة مثلها) الشورى/٤، ومثال التقديري قوله(صيحة الله ومن أحسن من الله صيحة) البقرة/١٣٨ .

في حين تأتي المطابقة، وتسمى الطباق، وهو الجمع بين المضادين<sup>(٢)</sup>. وما يهمنا هنا هي الأمثلة التي أوردتها السيوطي، كقوله تعالى(ليضعكوا قليلاً ولبيكوا كثيراً) التوبه/٨٢ . وقوله تعالى(وأنه هو أضحك وأبكي وأنه هو أمات وأحيا) النجم/٤٣ . وقوله تعالى(تعلم ما في نفسك

(١) السابق : ٣٩٧/١ : ٣٩٨ .

(٢) السيوطي : المعرك/١ : ٤١٤ .

ولا أعلم ما في نفسلك) المائدة/١٦. ويدرك أن الترسيع : هو القرآن الشئ بما يجمع معه في قدر مشترك، كقوله تعالى(أن لك الألحوح فيها ولا تعرى . وإنك لا تظمها فيها ولا تضحي) طه/١٩:١١٨.

ونلاحظ من خلال عرض النصوص السابقة ما يلي :

- ١- أن خاتم السيوطي حول عناصر : المقابلة والمطابقة والترسيع من الآيات القرآنية ، تشير إلى أنها لا تتجاوز الآية القرآنية الواحدة، من خلال إعادة العنصر المعجمي ذاته داخل الآية، في حين لم تتجاوز الآيات القرآنية التي استشهد بها السيوطي للمشاكلة حدود الآية الواحدة .
  - ٢- يبلي - وأحسبه صواباً - أن التعامل مع عنصر الترسيع أو المقابلة أو المطابقة كعناصر بدئية لا تسعى حلوى حلوى الآيتين على أحسن الفروض، كما مر، بينما رأينا التعامل مع هذه العناصر كمحاجة دلالية من خلال تحليل للتفصيل بعد الإجمال، من خلال مناقشة المطابقة أو تشابه الأطراف، بين بداية السور وختايتها، وكذلك المقابلة وهلم جرا. غير أن معاجلة السيوطي من خلال اعتبارها مظاهر بدئية، يمكن أن تدرج ضمن مظاهر السبك المعجمي اللغطي .
- كما أن تلك العناصر الواردة سلفاً، فيما يتعلق بعنصر التفصيل بعد الإجمال، يمكن الإفادة منها في جوانب أخرى تعامل على سبك أجزاء النص الظاهرة (التابعات الجملية) من منظور التقسيم واللف والنشر، كما يمكن أن نضيف إليها عناصر أخرى، ليست واردة في العناصر السابقة، وذلك مثل المطابقة والمشاكلاة والمقابلة(التضاد) بإعادة العناصر المعجمية ذاتها، وفي ذلك ربط بين بناء النص(بنية اللغة)، أقصد بنية التابعات الجملية الضيقية التي لا تتجاوز مستوى الآية، وإن ظلت على مستوى الآية القرآنية الواحدة، وإن تعمقت في بعض العناصر البدئية إلى الآيتين، غير أنها تظل رغم ذلك تعضد/تفوي هذه البنية الضيقية على مستوى النص.

وهكذا تستكمل عناصر التفصيل بعد الإجمال التي تعامل على مستوى أوسع داخل إطار النص الواحد، مع تلك التي تعامل على مستوى أضيق إلى توثيق العرى بين وحداته(أجزاءه) المباعدة والمقاربة في آن واحد، مما يجعل منه نصاً محكمًا لا يائيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه، على أن هذه العناصر التي تعمل من خلال مستوى أحضق : المقابلة ، المشاكلة ، المطابقة ، الترسيخ، يجمعها رابط واحد دلاليًّا كال التالي :

١— أن - كما أشرت - قسمًا منها لا يمتدى حدود الآية الواحدة، والقسم الآخر يتعداها، و يصل إلى الجملتين الآيتين .

٢— أن هذه العناصر، إنما تعمل من خلال :

أ— إعادة العنصر المعجمي نفسه كالمشاكلة .

ب— ومنها ما يعمل من خلال التضاد، كان يأتي العنصر المعجمي بالمقابلة، كما في المقابلة والمطابقة والتوصيع . ويفزك ذلك العلاقة القائمة بين هذه العناصر البدعية تلك الأمثلة/الآيات القرآنية التي مثل (استشهاد) لها السيوطي، كقوله تعالى (ليضحكوا قليلاً وليسوا كثيراً) (الستورة/٨٢)، و قوله تعالى (وَعَسِّهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقودٌ) الكهف/١٨، من خلال خاتمة المقابلة والمطابقة على السواء .

كما أنسنا - بناء على تصور السيوطي - يمكن أن ندرج عدداً من تلك العناصر الواردة في التاسب بوجه عام من منظور التابعات اللغووية، بناء على الترددات الصوتية فيها، فإذا كان الجمجم والتقطيم، هو جمجم متعدد تحت حكم واحد<sup>(١)</sup>. فإن هذا القسم يقوم في الأساس على تقييمات صوتية تربط بين أجزاء النص الواحد/الآية الواحدة، فيما يقدم سبكًا صوتيًّا. كما أن جمع المؤتلف والمخلف، وهو يزيد التسوية بين مدرجين، فيما يجتمع معانٍ مؤتلفة في مدحها، وإن كان بعد ذلك يروم ترجيح أحد هما على الآخر<sup>(٢)</sup>. وواضح أن التسوية القائمة بين عناصر المدروجين، إنما هي تسوية في التابعات الجملية(اللغوية) والمتمثلة على سطح القرطاس التي كما ينسبك النص . والتطويف الذي يقوم على معانٍ شقي، كل منه في جملة منفصلة عن آخرها في تساور في الزنة، ويكون في الجمل المتوسطة والطويلة والقصيرة<sup>(٣)</sup> .

(١) السيوطي : المترنك ١/٤٠٤.

(٢) السابق : الموضع ذاته.

(٣) السابق : ١/٣٩٤.

وعكّن أن تُحسب أن رؤية المسوطي قائمة على أن هذه العناصر تعمل على انسابك والمحبّك بني النص الصغرى، فيما لا يبعدي الآية أو الآيتين، وهي رؤية مستخلصة (منقوله) من تلك النماذج/ الآيات القرآنية التي قدم تصوراته من خلالها، ولا يقل التقسيم الذي يدل معانه على تلك الإمكانيات الصوتية التي يتيحها بشكل ضمني ودوره في سبك بنية الآية القرآنية الواحدة، ولا تبعدي ذلك، ومن ثم تبني هذه العناصر : المقابلة، المطابقة، الترسيخ، التقسيم، التقويف، التصدير، ورد العجز على الصدر من خلال المقابلة والمطابقة والترسيخ التي أشرنا إليها في سياق التفصيل بعد الإحال في قضايا المناسبة ، المؤلف والمختلف والعكس ، وكلها عناصر بدئعية مهمة في سبك لحوي على المستوى الصوتي للبنية اللغوية للنص لا مناص . وبالتالي لا يمكن إدراج عنصر : الترديد ضمن هذا الإطار، وإنما يدرج مع تلك القضايا الدلالية الصرفية: كالاطراد، والانسجام وحسن النسق، وhelm جرا . وهي عناصر أساسية في المناسبة ويمكن أن يكون قائمًا — بناء على رؤية المسوطي — ليس على إعادة عناصر معجمية بقدر ما يعتمد على إعادة أدوات وحرروف بعيتها في العطف، وهي عناصر — أيها — لا تقل أهمية في الربط اللغوي (التحوي) للتابعات اللغوية الماثلة في التابعات الجملية.هذه الخصوصية هي التي يمكن أن يتميز بها هذا الترديد مفارقاً بذلك العناصر بدئعية الأخرى .

ومن خلال ما سبق يمكن إيجاز ذلك في المطابيات التالية :

- ١— أن ثمة عناصر بدئعية، تقوم على المصاحبات اللغوية، كالللف والنشر، والتصدير، تشابه الأطراف، ورد العجز على الصدر، والجمع والفرق، وجمع المؤلف والمختلف .
- ٢— أن هناك سبكاً معجمياً من خلال عناصر : المطابقة والم مقابلة والترسيخ والمشاكلة والتصدير والتوسيخ ... الخ، وكلها عناصر بدئعية، جاءت الإشارة إليها في موضع سابق (المناسبة) .
- ٣— أن ثمة سبكاً لحويًا على المستوى الصوتي : كالمقابلة والت رديد والتقسيم والتصدير ورد العجز على الصدر والتقويف والترسيخ .
- ٤— إن النظر إلى مباحث البداع، إنما يقع من خلال منظورين في الدراسات النصية :  
أ— أن ينظر إليها من منظور دلالي، وما يمكن أن توذه هذه الألفاظ المشاهدة والمحبّدة، وبالتالي يؤدي إلى الخروج منها بجانب دلالي أصيل .

ب— أن ينظر إليها من خلال التبعات اللغووية الظاهرة على السطح(بيبة النص)، وبالتالي تؤدي إلى أنها تأخذ بظاهر النص وعلاقتها ببعضها في سياق/تفاعل وحداته . وهكذا تقع جملة المحاث البديع، وليس الكل ضمن قضايا المثلث من ناحية، وقضايا الحبل من ناحية أخرى، وهكذا نصل من خلال هذا التصور إلى توكيده تلك النتيجة الأولية، أن قضايا الربط/الارتباط واللاؤم/الانتلاقي(بعبر الباحثين في الإعجاز) المتعلقة بالنص عملياً/ارتباطاً مباشراً، يأتى الفصل بينها كاجراء منهجي، ليس أكثر، وإن أيام محاولة للمساس بماذا التصور، إنما هو محاولة إلغاء أحد وجهي العملة الواحدة، مما يؤدي إلى طمس هويتها (العملة) ومن ثم إلى إهدار قيمتها بشكل واضح .

هـ— أن جملة عناصر البديع في العراث العربي، يمكن أن توظف من منظور المسابيات النصية، وليس كسلها، مما يتعلّق بها له صلة بربط البيات اللغووية الظاهرة والباطنة على السواء . أما عناصر مثل: الإبداع، المواربة، الفرائد، الرغبة، وهلم جرا، فهي قضايا تتعلّق بأوجه الإعجاز الخارجية — فيما أرى — عن حدود المسابيات النصية بشكل أو باخر .

### ٣/٢/٥: تقوم لساني للموافز بين "نحو الجملة" و "نحو النص" من منظور

#### الباحثين في الإعجاز القرآني :

على الرغم من أن قضايا المطابقة ظاهرة معلنة، إلا أن مسائل الخلاف ليست بخالية، وتحتل ثانيةً بين عمل الباحثين في الإعجاز القرآني في "نحو الجملة" وعملهم في "نحو النص" نوجزها في أهم الركائز التالية :

- ١— السمايز بينهم في الإجراءات المنهجية المتّعة للكشف عن الأسرار في "الإعجاز القرآني"، أدى بهم إلى نتائج مقاربة أحياناً، ومتباينة في أحيان أخرى .
- ٢— هناك تباين بين أصحاب اتجاه "نحو الجملة" و "نحو النص" من الباحثين في الإعجاز القرآني، فمن حيث أصحاب "نحو الجملة" جاءت معاجتهم متّأثرة في مواضع عدّة لقضايا بلاغية

- كالتشيه والكتابية والإعجاز والمعنىين ... اخ. أما أصحاب "نحو النص" فإن الاعتماد على تلك الجوابات البلاغية بالمفهوم لدى المتأخرین أصبح أكثر اتساعاً وتوظيفاً لبيان أوجه الإعجاز .
- ٣- عدم وضوح المفاهيم والتصورات بشكل واضح عند الباحثين في الإعجاز من أصحاب "نحو الجملة" بحيث لم تأخذ شكل المصطلح، كما هو واضح عند الخطاطي والرماني، في حين بدأت تأخذ شكلاً محدداً عند أصحاب الاتجاه في "نحو النص" والقاضي عبد الجبار والباقلي من ناحية، والمرجاني من ناحية أخرى .
- ٤- تعدد الأدوات المستخدمة سواء اللغوية منها أم البلاغية محدودة تلك التي يستخدمها الباحثون المعينون بـ"نحو الجملة" مقارنة بذلك التي يحاول من خلالها المعينون بـ"نحو النص" الارتكاز عليها .
- ٥- لم تكن قضايا البديع - بالمفهوم لدى المتأخرین - تشغل حيزاً مهماً في الكشف عن أوجه الإعجاز القرآني، وليس لها أدنى دور عند أصحاب "نحو الجملة" في حين شهدت مجريات البديع وفروعه أهمية كبيرة، بداية بالمرجاني، وتوسيع الأمر شيئاً فشيئاً، حتى بلغ قمته على يد السيوطى في "المعرك" .
- ٦- جاءت معالجة أصحاب "نحو الجملة" في البحث في الإعجاز فيما تشبه الملاحظات العامة، على الرغم من عدم إشمارها جواب بلاغية ولغوية بحثة، حيث قدم كل منهم معالجة للبحث في الإعجاز من وجهة هو، ومن هنا لم يكن توسيع الأمر أكثر، أما الباحثون منهم في الإعجاز والمعينون منهم بـ"نحو النص" . فجاءت إيجائهم في الإعجاز، كمحاورة كافية من جوانب عددة للكشف عن إعجازه .
- ٧- الشابين بين أصحاب الاتجاهين، في أن أصحاب الاتجاه في "نحو الجملة" على الرغم من اتفاقهم العام ، إلا أن ثباتاً المعالجة تكشف الخلاف الجوهرى والمعلول الذى عليه في رد الإعجاز القرآني ، كما يمثله الخطاطي والرماني، بعد أنه كان الأمر كذلك عند أصحاب الاتجاه في "نحو النص" منهم، إلا أنه بدأه من الباقلي، وببدأت ملامحه الجوهرية تتم شخص بشكل واضح، واكتملت أركانه عند الإمام عبد القاهر في نظرية حول "النظم" .

٨ - لم نسطع أن نحدد الصورات والمفاهيم حول "النظم" عند أصحاب "نحو الجملة"، إلا بشق الأنفس ورഷح الجبين وفكك الشفرة اللغوية من خلال استقراء لنصوصهم، بيد أن ذلك في "نحو النص" بدأ يأخذ معانٍ محددة، بداية من الباقلاني، وإن جاء بشكل ضمني، وتتعدد ملاميعها بشكل فمائي عند عبد القاهر في نظرية "النظم".

٩ - تمثل البلاغة/الدبيع عند الباحثين في "نحو الجملة" قضايا عامة وبدون ترتيب أو إجراء منهجي محدود، وفي نطاق ضيق، أما عند المهيمنين بالإعجاز في إطار "نحو النص" فإن البلاغة اكتسبت الساعاً وتحديداً لمفاهيمها وتصوراتها، ويمثل الجانب الأول دراسات أصحاب الرسائل، ويأتي الجانب الثاني متمثلاً فيما جاء عند الباقلاني وابن زملكان، وأتي ثماره الجنيّة — فيما أرى — عند السيوطي في "المعرك" . . .

١٠ - إذا كان المختصون بـ"نحو النص" في الدرس اللساني المعاصر، يرجعون قضيائاه واهتماماته إلى عدد من القضايا كالدراسة الصوتية، ودراسة جوانب المعجم، والتركيب والمساواة المختلفة، فإن معالجة السيوطي مثلاً هذه الجوانب لا تقل أهمية، وإن ترکت بشكل واضح عنده، ولم نر لها ذكرًا عند أصحاب الرسائل.

## ٤/٢: ما يشترك فيه "نحو الجملة" و"نحو النص" عند الباحثين في الإعجاز

### القرآن:

على الرغم من التباين في قضايا خلافية في كيفية التعامل مع البحث في الإعجاز، إلا أن الاتجاهات الفكرية لديهم قد أدت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الاختلاف تارة والمطابقة في أحيان أخرى، غير أن أوجه المطابقة تظل عالقة بين عمل القوم، نوجزها في عدد من النقاط :  
١ - أن الباحثين في الإعجاز جعلتهم قضية الكشف عن أسراره اللغوية والبلاغية، أو غير ذلك من فروع العلوم المختلفة، وهذه رؤية نقروها في هذا الملحظ الأولي .

٢ - أن كلّاً منهم وجه اهتمامه إلى الجانب البلاغي واللغوي، يستخلص منه تبعاً لغيريات المقام الأسرار التي يمكن أن تكشف جوانب ثورية وناصعة للنص القرآني . والمعروف أن المقامات شغلت حيزاً مرموقاً، وليس هامشياً في الحيز البلاغي، وهو ما ظهرت أولياته في الكتاب لمسيبوه، وأتي ثماره الجنيّة في جهد الإمام عبد القاهر ومن بعده الرمخشي والسكاكبي .

٣— أن كلاً منهما ركز بشكل أو باخر على الوقوف على أهداف وغايات التراكيب، مع الأخذ في الاعتبار السياقات المختلفة، وبالتالي فإن التراكيب ناتجة للمعان المعلقة، وإن تشاهد في الإطار العام، تبعاً لاختلاف السياقات .

٤— محاولتهم الدائبة في علم الفصل بين قضايا التعبارات اللغوية وقضايا التماسك الدلالي، وإن بدأت في المرحلة الأولى مثلاً في قضية "اللفظ والمعنى"، غير أنها ما فكت أن غيرت وجهتها تجاه قضية "النظم" بشكل مبكر عند الخطابي .

٥— أن أصحاب "نحو الجملة" و"نحو النص" في الإعجاز القرآني، لم يستطع أحد منهم أن يعالج مثل هذه القضايا مجتمعة، وإنما تشابكت آثارها، وتقطعت أوصال المسألة الواحدة وانتشرت في مواضع عدة، على الرغم من الفصل الذي حدث بعد الإمام عبد القاهر لعلوم البلاغة .

### ٣/٥: المعيار الثالث: الاقتناص/المتشابه (InterTextualität)

بعد الاقتناص (التناص) من الوجوه المهمة ضمن معايير النصية كما حده كل من بوجراند درسLER<sup>(١)</sup>، وإن كان هذا المعيار يتأتي في مرتبة تالية لمعايير النصية الأولين، السبك : **Kohärenz** والحلبك : **Kohäsion**، وعلى الرغم من هذه المقولات المهمة، إلا أن هذا المعيار مهم أيضاً لتحقيق النصية، أو ليصبح الكلام (مفروعاً أو مكتوباً) نصاً متكاملأً، وليس ضرورياً التتحقق الفعلي لكل هذه المعايير، وقد حده المعنون بـ"نحو النص" : بأنه علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة المسؤول بالمحوار وعلاقة التلخيص بالنص المشخص وعلاقة المسودة بالتبييض وعلاقة المتن بالشرح وعلاقة الغامض بما يوضنه، وعلاقة الحتمل بما يحدد معناه . وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة : القرآن يفسر بعضه ببعض<sup>(٢)</sup> .

---

Sche : R. Beaugrande /W.Dressler :Einführung in die Textlinguistik S. 188 : 215 . (1) ينظر :

(2) د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص. ٢ .

وتجدر الإشارة أن السيوطي (المباحثين) في الإعجاز لم يحدد معنى دقيقاً ومحدداً لهذا المعيار، غير أنها يمكن أن تجده شيئاً من هذا القبيل لدى السيوطي في "المعرك" غير عنه، وإن لم يذكر ذلك صراحة، فنجد له ذكر : المشابه، الاقتناص، متشبهات آياته .

وفي توضيح هذه الرؤية ما يمكن تصوره لهذا المفهوم/المعيار بأن الفضة الواحدة ترد في سور شق وفواصل مختلفة، بأن تأتي في موضع مقدماً وفي آخر مؤخراً (قارن بين سورة البقرة/٥٨ والأعراف/٦١) وفي البقرة/١٧٣ (وما أهل به لغير الله)، سائر القرآن (وما أهل لغير الله به) المائدة/٣ . الأنعام/٤٥ . النحل/٩٥<sup>(١)</sup> . كان يأتي بزيادة في موضع (قارن ما ورد في البقرة/٦، يس/١٠) و (السورة/١٩٣ بالأنفال/٣٩)، ومثل هذا الصنف كثير، أورد له السيوطي خلاص متوعة من تعريف ونکير وإضافة وتقدم وتأخير وحلف وذکر<sup>(٢)</sup> . ولعل هذا التصور يتفق مع ما ذهب إليه د. تمام في أحد جوابه بشكل عام . وهكذا نجد الاقتناص(الناسخ) بين النصوص هو ما عناه د. تمام، وقد مثل له السيوطي في عدد من المظاهر المبررة عنه بـ :

- ١- الإجفال في موضع والتفصيل في موضع(سورة) آخر.
- ٢- الزيادة في موضع وفي موضع (سورة) أو بدوسيه، وأرى أن هذا التصور لمفهوم المشابه/الاقتناص، هو الذي غير عنه د. تمام . ولعل ضرب السيوطي لما يمكن أن يكون تناصاً بتوعية متباعدة في المعنى، غير أنها يلتقيان في الاصطلاح .

على أن تعريفاته للممطليجين يشيران إلى توحيد المفهوم، فالاقتناص : هو أن يكون كلام في سورة مقتضاها من كلام في سورة أخرى أو تلك السورة، كما في قوله تعالى(وآياته أجره في الدنيا وإنه في الآخرة من الصالحين) العنكبوت/٢٧، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها، فهذا مقتضى من قوله تعالى (ومن يأته مؤمناً فقد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا) طه/٧٥ وما بعدها<sup>(٣)</sup> .

(١) السيوطي : المعرك ٨٥/١

(٢) السابق ٨٥/١: ٩٤

(٣) السيوطي : المعرك ٣٩١/١

إذن يمكن القول إن المشابه، يعمل على إيجاد علاقة تجمع ضمنياً المشاهدة/الاقتراض داخل نص أكبر يجمعها من خلال مقارنة النصوص أو التراكيب التي أخذت السيوطي على عائقه تباعاً في النص القرآني، وتبين أن هذا المعيار أصيل في النص القرآني، إذ يعمل على ترابط النص القرآني من خلال تلك المقاربات والمقارنات الذي تجعل من تلك النصوص علاقة من نوع ما، ومن ناحية أخرى يظهر أن هذا المعيار كان له دور في كافية بيان الإعجاز القرآني. وربما — في ظني — لهذا المفهوم علاقة بذلك المصطلح: الإجمال بعد التفصيل دلالياً.

ولا أدل على ذلك أن قوماً قدموا مؤلفات فيما لحن حاله، وبعد كتاب الكرماني التكرار في القرآن الكريم، ونكت الأعراب في غريب الأعراب؛ للزغشري، وغيرهما كثير مما هو موضوع النظر هنا، كانت مثل هذه الدراسات كافية عن تلك المشابهات الواردة في القرآن مفسرين ومبينين جوانب المطابقة والمفارقة بين هذه التراكيب وأثر السياقات المقامية واللغوية، وبالتالي يأتي هذا المعيار كمقابل موضوعي لمعيار التناص<sup>(١)</sup>.

من خلال المقاربة المقامية واللغوية وربط هذه العناصر بعضها ببعض، وكذلك الحالات التصورية التي جعلها هارفج (Harweg) الأساس الأول في تكوين النص، وهو الربط حيث عرفه : بأنه سلسلة من التتابعات اللغوية المتباينة من خلال التحمير<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر:

**Sehe: R. de Beaugrande /W. Dressler :Einführung in die Textlinguistik S.1:14.**

وينظر د. ثام حسان : نحو الجملة و نحو النص ص ٧.

**R. Harweg :Pronomina und Text konstitution, S. 48.** (٢)

وينظر:

**K. Brinker :Linguistischetextanalyse Eine Einführung, S. 10** وما يعلمهها

**R.de Beaugrande :Text Grammar Revisited, p. 6.**

ويذكر دوسية هارفج بحث كل من: بيتر كانيزيوس وكذلك بحث كليمانس عن ضمائر الوصل والشخصية والضمير الثالث وأدوات التعريف ودورها في سبك وحلك النص، ينظر:

**Canisius P.Relativpronomi,Personalpronomin,Kongruenz,S.133:160.**  
**Herbermann P.,Clemens:Die dritte person. pronomina und Definitheit, Von 89 bis 132,**

وقد ذكر السيوطى ناقلاً عن الزركشى أسباب ذلك الاختلاف، وقد رده إلى : اختلاف المقامات/الموضوعات، والحقيقة والمجاز، والاختلاف في جهق الفعل<sup>(١)</sup>.

#### ٤/ المعيار الرابع: القصدية (Intentionalität)

لم يشر الباحثون في الإعجاز القرآني إلى هذا المعيار إشارة مباشرة ، ومن ثم لم يرد له تعريف يحدد جوانبه وخصائصه. غير أن الذي يقى واضحًا أن عمل الباحثين في الإعجاز، إنما هو قائم على تقديم تفسير أرحب لجواب من النص القرآني، وهو عمل يعتمد على كشف/شرح وتفسير مقاصد الحكم في كتابه، وبالتالي فإن عملهم، إنما ركز على توضيح قصد المولى تعالى، وهذا استنتاج ضمني واضح نتج عنه عدم وجود مغالطة صريحة. ويرى علماء النص أن هذا المعيار، يقع ضمن المعايير الأربع الأساسية لتحقيق النصية، وهو: اعتقاد المنشى أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجهما يمكن أن تشكل نصاً مسبوكاً... يكون أدلة لتحقيق مقاصد المنشى، كان ينقل معرفة أو يحقق هدفًا جرى توصيفه في إطار خطة موضوعة<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ د. سعيد بحيري من خلال مناقشة آراء بوجراند/درسلر أقماً يشيران إلى أمررين مهمين، الأول : الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعيار الربط والتسلسق، إذ يمكن أن تحافظ على هذين المعاييرين بدرجة ما من خلال صياغة لتحقيق أهداف نصية متغيرة . الثانى : ضرورة محافظاة منتج النص عليها تتضمن حرمه على دوام التواصل، ورغبتها في إيصال مقاصده إلى ملقيه، فإذا تجاوزه تختفي درجة الاتصال بينهما إلى أن يقطع فائلاً آخر الأمر<sup>(٣)</sup>.

(١) السيوطى: المعرك ١٠٠/١ : ١٠٤.

(٢) اختلف الباحثون العرب في ترجمة مصطلح "Intentionalität" لترجمة كل من : د. ثام حسان بـ "القصد". النص والخطاب والإجراءات من ١٠٣، نحو الجملة نحو النص من ٢٠٣. سعد مصلوح : المنصب التحوى عند ثام حسان من ٢٤. وقد أدى به هذا التعريف إلى رفض/إنكار جواب من تصور د. ثام حول هذا المعيار من ٢٤.

(٣) د. سعيد بحيري: المواجهات لغوية معاصرة من ١٧٧؛ لتوضح مدى إلادة بوجراند/درسلر من الاتجاهات النقدية والأدبية، وينظر. حافظ جودة: النص الشعري ومشكلات التفسير من ٤٠: ٤٢.

وترجع هذه الرؤية النظر إلى تلك العلاقة الجوهرية القائمة بين هذا المعيار ومعياري النصية (السبك، الحبک)، ذلك أن محاولة منتج النص عليهما معاً، تتضمن حرصه ورغبته على إيصال مقاصده إلى متلقيه/مستمعه، وليس بخاف أن النص القرآني وسورة آياته مرتبطة فيما بينها بشبكة من العلاقات القائلة . كما وضحته مناقشة معياري النصية الأولين من خلال عمل الباحثين في الإعجاز القرآني بفضل بيان .

## ٥/٥: المعيار الخامس: المقبولية (Akzeptabilität)

يتربى هذا المعيار على مدى قوة الالسجام والارتباط بين المعيار الأول والثاني، ويؤدي في تصورى إلى قبول النص اللغوي، أما إذا حدث خلل بين هذين المعتبرين، فإن عواقب ذلك ليست إيجابية من حيث قبول النص؛ لأن هذا يؤدي إلى تصورات خاطئة، وإن كان هذا لا يتعانق مع النصوص اللغوية عالية المستوى، حيث تكمن قيمة البلاغة في الكشف عن المعانى الإضافية وراء الصياغات اللغوية .

وبالتالي فإن هذا المعيار متربى على المعيار الأول والثاني، ولاشك أن هذه المعايير تعمل متصافحة (مترسبة) للوصول إلى الغاية المرجوة من النص القرآني، وهي إيصال المكاره فيما يتعلق بمحاذيب العقيدة وتشييئها وجوائب أخرى تتعلق بالأمور الحياتية/الاجتماعية، وقضايا أخرى مهمّة اجتمعت فيها (ما فرطنا في الكتاب من شيء) جعلت منه نصاً محكمًا/مبوكًا (لا يأبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ....) تدل فيما تدل على اشتغاله على قضيّات متوزعة غایة في الخصوصية كل ذلك للوصول بالكاره وتصوراته إلى المثلقي . ويترتب على هذه الرؤية أن المثلقي/المستمع حين يسمع القرآن لا يتذكره، وفي موقف الوليد بن المغيرة وكفار قريش حين نزوله دليل على ذلك. بل هو موقف من كان له قلب سليم إلى قيام الساعة .

وقد نتج عن ذلك أن وضوح وجلاء هذا المعيار، يعتمد على وضوح المعايير السابقة عليه، فكلما كان النص مبوكًا معبوكًا، أدى إلى وصول قصد المنتج، الأمر الذي يؤدي إلى قبول المثلقي النص كليّة وعدم رفضه . وهذه الرؤية يحيط بها القرآن بشكل واضح .

يقول د. سعد بحيري : القبول — بعد — له بعد وجهات ثقافية واجتماعية، ويحصل بتحديد موقف المثلقي من الكلام، ومدى تقبله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنها نص قابل

لأن يوصف بالسلك والخطك، وأن له أنواعاً من الجدوى بالنسبة للمتكلفي، كان يكتسب معرفة أو يجيئ موقعاً، أو يفهم باستجابة لإنجاز خطبة، وهلم جرا<sup>(١)</sup>. وقد لمح د. سعيد أن هذا المعيار - بناء على ذلك - يعلق بالمنتج والمتكلفي، بقوله: اختصار علاقة المنتج والمتكلفي بالحدث الكلامي . ومن ثم يختص هذان المعياران بمستخدم اللغة منتج ومتلق، في مقابل معياري الربط والتماسك اللذين يختصان بالنص ذاته<sup>(٢)</sup>. وبناء على ذلك ، فإن المعيار لا يعلق بالسياق اللغوي بقدر ما يرتبط بالسياق المقامي والثقافي .... والأرضية المشتركة بين المنتج والمتكلفي، مما يجعل بهما قدرأً مشتركاً، يجعل المتكلفي يقبل تلك الأحداث الكلامية أو السلسلة اللغوية .

(١) د. سعد مصلوح : المذهب النحوي عند ثامن حسان ص ٢٦ . وينظر : د. سعيد بخوري اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٧ وما يعلوها.

(٢) د. سعيد بخوري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٧ .

## الخاتمة

لا يستطيع المرء ذكر كل الملاحظات التي عنت له في ثانياً البحث والمعالجة ، وبخاصة إذا تعلق الموضوع بمثل ما نحن حاله ، فالقضايا متشعبة ومداخلة في آن واحد ، وقد أدى ذلك إلى أن كثيراً من القضايا جاءت فيما أظن تشبه النتائج ، وقد أدت هذه الرؤية إلى أننا نجعل الخاتمة على غير العادة ، وبالتالي جاءت عارضة للعناصر المكونة للفصول هذا البحث ، تاركين النتائج يستخلصها الباحثون من ثانياً الدرس والمعالجة في البحث .

فقد جاءت مناقشة قضياباً البحث موزعة على عدد من الفصول تسبقها مقدمة وإطار عام . وقد اشتمل الإطار العام على تصورات أولية فيما يتعلق ب موضوع الدراسة ، وأضفنا من خلاله الأورطية الخاصة به .

أما الفصل الأول ، فقد عنى باتجاهات البحث النصي في التراث في الجاهات عدة مختلفة ومتداخلة في آن واحد . وقد أدت هذه الرؤية إلى التداخل في المعاير العامة في أحابين كثيرة ، غير أن السمة الجوهيرية ظلت باقية معلنة .

وقد جاءت معالجة هذا الفصل من خلال موضعين ، الأول : عرض هذه الاتجاهات التالية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تحديد المعاير لديهم واستخلاص النتائج بناء على هذا التصور .

وناقش الفصل الثاني معاير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني ، مركزاً على معاير النص عند أصحاب الرسائل ، وعند أصحاب المؤلفات ، مستخلصاً بعد ذلك قضياباً المطابقة والمخالفـة ومدى إسهام كل منهم ، وموضعين من خلال ذلك عدداً من القضايا ذات الصلة بالاتجاه النصي وعلاقتها به ، وتقويم لسانى للبحث في الإعجاز القرآني . ووضح الفصل الثالث المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بـ "نحو النص" ، محلأً ليها ، ومصنفـاً ومناقشـاً هذه المفاهيم ومحاولة استخلاص ذلك كلـه في ضوء الاتجاه النصي . في حين تناول الفصل الرابع ملاحظات حول بعض معاير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني مناقشـاً إياها في ضوء تحليلاً قـومـاً ووضـعـاً الجوانـب النـاصـعـة لـديـهـمـ ، فيما يقدم إسـهامـاً عـربـاً لـ "نحو النـصـ" العـريـ . ثم الخـاتـمة وـضـعـتـ لـراـجـعـةـ وـعـرـضـ ماـ تـقـدـمـ . وأخـيرـاًـ المـراجـعـ الـتيـ اـعـمـدـ عـلـيـهاـ الـبـاحـثـ .

## المراجع

١/٧ : العربية

١- أبو هلال العسكري :

كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر، حقه وضبط نصه د. مفيد قمحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٤٠٤ - ١٩٨٤ م.

٢- د. إحسان عباس :

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، عمان، الأردن، طبعة مزيدة ومتقدمة.

٣- ابن الأثير: ضياء الدين بن الأثير :

المثل السالى، القسم الثالث، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوى طبانة ، دار نهضة مصر، د.ت.

٤- د. أحمد جمال العمري :

المباحث البلاطية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، لشأنها وتطورها حتى القرن السابع الهجري ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥- ١٩٩٠ م.

٥- د. أحمد عبد الوارث مرسي :

دور البلاغة في الإعجاز عند السيوطي في كتابه : مفترك القرآن في إعجاز القرآن، دار الصفا للطباعة، د.ت، رقم الإيداع ١٥١٨٢.

٦- أسامة بن منقذ :

السبعين في نقد الشعر، تحقيق : د. أحمد بدوى، د. حامد عبد الجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت، الجمهورية العربية المتحدة .

٧- د. إمام أبو غزالة/علي خليل جند :

مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات نظرية روبرت ديبوجراند ولفتحانج دريسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م.

٨- د. البدراوي زهران :

- علم اللغة عبد القاهر الجرجاني، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م .
- ٩— د. بدوي طبانة :  
البيان العربي، دراسة في تطور الفكرية البلاغية عند العرب ومتناهجهما ومصادرها الكبيرى، دار العودة، بيروت، ط٥، ١٩٧٢ م .
- ١٠— برنده شلنر :  
علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة وقتم له وعلق عليه د. محمود جاب الرب، الدار الفنية للطباعة، ١٩٨٧ م .
- ١١— بوجراند :  
النص والخطاب والإجراءات، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ .
- ١٢— د. تمام حسان :  
نحو الجملة ونحو النص، بحث غير منشور، الفن في الموسم الثقافي جامعة أم القرى، ١٩٩٥ .
- ١٣— المحافظ : أبو عمان عمرو بن محرر:  
البيان والتبيين، الجزء الأول، تقديم د. عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة المذاخرات (٨٥)، ٢٠٠٣ م .
- ١٤— د. جعيل عبد الهيد :  
البديع بين البلاغة العربية والمسانيد النصية، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٨ م .
- ١٥— د. حامد صالح خلف الريعي :  
مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤١٠ هـ— ١٩٩٦ م .
- ١٦— د. درويش الجندي :  
نظريّة عبد القاهر في النظم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠ م .
- ١٧— الزركشي : يدر الدين محمد بن عبد الله :

البرهان في علوم القرآن، الجزء الأول، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د. ت).

١٨— د. سعد مصلوح :

— المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث غير منشور.

— نحو أجروية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة لفصول، م ١٠ ، ، ع ٢، ٢، يونيو، أكتوبر، ١٩٩١ م.

— العربية : من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" ضمن الكتاب التذكاري الذي أصدرته جامعة الكويت بعنوان : الأستاذ عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحقاً، ١٩٩٠ م.

١٩— د. سعيد بحيري :

— اتجاهات لغوية معاصرة، مجلة علامات في النقد الأدبي، ع ٣٨ ، ٢٠٠٠ .

— علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٩٣ .

— القصد والتفسير في نظرية النظم (معانٍ النحو) عند عبد القاهر الجرجاني ضمن كتاب : دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٩ م.

— من أشكال الربط في القرآن الكريم ، ضمن كتاب: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩ م.

٢٠— سهويه: أبو عمرو بن بشر:

الكتاب، الجزء الأول ، مكتبة المتبي ، القاهرة، ١٣١٦هـ .

٢١— د. شوقي ضيف :

البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٨١ م.

٢٢— د. صلاح فضل :

بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة، عدد (١٦٤) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.

٢٣— ابن طباطبا العلوي : أبو الحسن محمد بن أحد :

عيار الشعر، تحقيق: د. عبد العزيز ناصر المانع، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٥ م.

- ٢٤— عاطف نصر جودة :  
النص الشعري ومشكلات التفسير، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٨ .
- ٢٥— د. عبد الرؤوف مخلوف :  
الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، منشورات مكتبة المياه، بيروت، د. ط. ١٩٧٨ م .
- ٢٦— د. عز الدين إسماعيل :  
قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول، م ٧، ع ٣، ٤ إبريل ، سبتمبر، ١٩٨٧ م .
- ٢٧— د. عبد الفتاح لاشين :  
— بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- التركيب السحوري من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ ، الرياض، ١٩٨٠ .
- ٢٨— د. عبد القادر حسين :  
أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٢٩— عبد الكريم الخطيب :  
الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة ومعاييرها، دار الفكر العربي، ١٩٧٤، ط ١ .
- ٣٠— د. علي عشري زايد :  
البلاغة العربية تاريخها. مصادرها، منهاجها ، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢ م .
- ٣١— عمر لطفي العالم :  
المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لناهض المستشرقين ، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، ط ١٩٩١، ١ م .
- ٣٢— د. فؤاد علي غنيم :  
—

فلسفة عبد القاهر الجرجاني التحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،  
القاهرة ١٩٨٣م .

٣٣— فرج عجاج هاينه من /ديبر فهميجر :

مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة د. فلاح بن شبيب العجمي، نشر جامعة الملك  
 سعود، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٣٤— محمد خطابي :

لساليات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء /  
 بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م .

٣٥— د. محمد زغلول سلام :

أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع المجري، دار المعارف، القاهرة .  
 ط. ٣. د.ت .

٣٦— د. محمد العبد :

حسبك النص : منظورات من التراث العربي، مجلة الدراسات اللغوية، ٣، ع ٣،  
 ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، المملكة العربية السعودية - الرياض .

٣٧— د. محمد غنيمي هلال :

النقد الأدبي الحديث ، دار فضبة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م .

٣٨— د. محمود السيد شيخون :

الإعجاز في نظم القرآن، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، مكتبة الكليات الأزهرية .

٣٩— د. متير سلطان :

إعجاز القرآن بين المعرفة والأشاعرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م .

٤٠— نعيم الحصبي :

فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبيوية حتى عصرنا مع نقد وتعليق ، مؤسسة الرسالة،  
 عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م .

٤١— وليد محمد مراد :

نظريّة النظم وقيمةها العلميّة في الدراسات اللغويّة عند عبد القاهر الجرجاني، طار  
الفكير، ط١، ١٤٠٣—١٩٨٣ م.

٢/٧ : المراجع الأنجليزية :

- 1- Agricola, Erhard : **Textstruktur Textanalyse informationskern.** VEB Verlag Enzyklopädie, Leipzig ,1979 .
- 2- Beaugrande R. de: **Textlinguistik :Zu neuen Ufern.** [http : Beaugrande bizland. Con / zu neuefern. htm.](http://Beaugrande.bizland.com/zu_neuefern.htm)
- 3- Beaugrande R. de: **Text Grammar Revisited.** Loyos and language, special issue, 2001.
- 4- Beaugrande R. dc / W. U. Dressler : **Einführung in die Textlinguistik,** Niemeyer, Tübingen, 1981.
- 5- Brinker, Klaus : **Linguistische Textanalyse, Eine Eiene Einführung in Grundbegriffe und Methoden.** Erich Schmidt Verlag, Berlin, 1988.
- 6- Canisius,Peter: **Relativpronomina, Personalpronomina, Kongruenz, Von 133 bis 160 , in die:Text und Grammatik Festschrift für Roland Harweg zum 60 eburtstag herausgegeben von Peter Canisius, universitats verlag Dr. Nobert Brockmeyer. Bochum.** 1994.
- 7- Coseriu, Eugenio : **Textlinguistik Eine:Einführung.** Gunter Narr verlag Tübingen, 1981.
- 8- Lexikalische Solidaritäten, Lekturekolleg zur Textlinguistik, Band 2 : Reader.
- 9- Gulich Elisabeth und Andre : **Linguistische Textanalyse,** Helmut Buske verlag , Hamburg ,1979.
- 10- Hartmann Peter : **Textlinguistik als linguistische aufgabe, von 93 bis 105 ,in die :Textlinguistik (Hers.)**

- von Wolfgang Dressler, Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1979.**
- 11- Harweg Roland:Pronomina und Textkonstitution, Wilhelm Fink verlag, München, 1968.**
- 12- Herbermann P.,Clemens:Die dritte person. pronomina und Definitheit, Von 89 bis132, in die :Text und Grammatik Festschrift fur Roland Harweg zun 60. Geburtstag herausgegeben von Peter Canisius, universitats verlag Dr. Nobert Brockmeyer. Bochum. 1994.**
- 13-Junker,H.:Rhetorik und Textgrammatik. Von 378 bis 382 , In: Romantische Forschung, 1976.**
- 14- Kalver kamper,H. :Orientierung zur Textlinguistik, Tübingen, 1981.**
- 15- Koch A. Walter : Einige Probleme der Textanalyse von 106 bis 122, in die Textlinguistik Herausgegebe von Wolfgang Dressler, Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1978.**
- 16- Petöfi, J. S. :Transformationsgrammatiken und die grammatische Beschreibung derText (1971) Von 300 bis 327, In :Textlinguistik (Hrsg.) von Dressler, W. 1978.**
- 17- Plett F. Heinrich:Textwissenschaft und Textanalyse, Quelle, Meyer, Heidelberg, 1975.**
- 18- Schmidt, S. J.:Texttheorie, Wilhelm Fink verlag, München, 1976.**
- 19- Silman Tamara:Probleme der Textlinguistik Quelle, Meyer, Heidelberg, 1974.**
- 20- Titzman, Michael: Strukturelle Textanalyse Theorie und Praxis der Interpretation, Wilhelm Fink verlag München. 1977.**

- 21- Van Dijk, T. A.: Aspekte einer Texgrammatik, in :  
Textlinguistik (Hrsg.) von Dressler, W. 1978, 268 bis  
299.
- 22- Text and Context, Longman, London and New York  
1977.
- 23- Textwissenschaft. Eine interdisziplinare : Einführung.  
München 1980.
- 24- Vater, Heinz : Einführung in die Textlinguistik  
Struktur, Thema und Referenz in Texten. Wilhelm  
Fink verlag. München, 1994.
- 25- Weirich Harald :Die Textpartitur als heuristische  
Methode, Von 391 bis 412. In : Textlinguistik (Hrsg.)  
von Dressler W. 1978.
- 26- Wolfgang Dressler: Einführung in die Textlinguistik.  
Max Niemeyer verlag, Tübingen, 1973.
- 27-Textlinguistik(Hers.)von Wolfgang Dressler  
Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1978.



## الفهرس

### الصفحة

١ : جـ	٢٧
٤ :	٢
١٣ :	٥
٦ :	٥
٧ :	٦
٧	
٨ :	٧
٩ :	٨
١٣ :	١١
٣١ :	١٤
١٥ :	١٤
١٩ :	١٥
١٥	
١٦ :	١٥
١٧ :	١٦
١٨ :	١٧
١٨	
١٩	
٣١ :	١٩
٢٠ :	١٩
٢٠	

تلميم :

المقدمة

٠/١ : الإطار العام

١/١ : مهاد

٢/١ : موضوع البحث

٣/١ : أسباب اختيار البحث

٤/١ : أهداف البحث

٥/١ : مادة البحث

٦/١ : الدراسات السابقة

بدايات

٠/٠ : الاتجاهات النصية الفراغية

١/٠/٢ : اتجاه البحث النقدي

٢/٠/٢ : اتجاه البحث البلاغي

٣/٠/٢ : اتجاه البحث في علوم القرآن

٤/٠/٢ : اتجاه البحث في التفسير

٥/٠/٢ : اتجاه البحث اللغوي

٦/٠/٢ : اتجاه البحث في الإعجاز القرآني

٦/٢ : معايير النص في الاتجاهات الفراغية

٧/١/٢ : معايير النص في الاتجاه النقدي

٧/١/٢ : معايير النص في الاتجاه البلاغي

الفصل الأول : اتجاهات البحث النصي في التراث

- ٣/١/٢ : معايير النص في اتجاهي الباحثين في علوم القرآن والتفسي ٢٠ : ٢١  
 ٤/١/٢ : معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني ٢١  
 ٥/١/٢ : معايير النص في الاتجاه اللغوي ٢١  
 ٦/١/٢ : ملحوظات ٢٢  
 ٣١ : ٢٢
- الفصل الثاني : معايير النص عند الباحثين في الاتجاه القرآني ٣٢ : ٣٠  
 ١/٣ : معايير النص عند أصحاب الرسائل ٣٢ : ٣٥  
 ١/١/٣ : معايير النص عند الزماني في النكت في إعجاز القرآن ٣٣ : ٣٤  
 ٢/١/٣ : معايير النص عند الخطابي في بيان إعجاز القرآن ٣٤ : ٣٥  
 ٣/١/٣ : معايير النص عند الجرجاني في الرسالة الشافية ٣٥  
 ٤/١/٣ : مسائل عالقة ٣٦ : ٣٩  
 ١/٤/١/٣ : جمع وتخلص ٣٦ : ٣٨  
 ٢/٤/١/٣ : مسائل المطابقة ٣٨ : ٣٩  
 ٤/٣ : معايير النص عند أصحاب المؤلفات ٣٩ : ٤٠  
 توطئة
- ١/٢/٣ : معايير النص عند الباقلاني في إعجاز القرآن ٤١ : ٤٢  
 ٢/٢/٣ : معايير النص عند الجرجاني في دلائل الإعجاز ٤٢  
 ٣/٢/٣ : معايير النص عند الجرجاني في أسرار البلاغة ٤٢ : ٤٣  
 ٤/٢/٣ : معايير النص عند الرازي في نهاية الإعجاز في دراسة الإعجاز ٤٣ : ٤٤  
 ٤/٢/٣ : معايير النص عند الزملکاني في الجيد في إعجاز القرآن الجيد ٤٤  
 ٦/٢/٣ : معايير النص عند السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن ٤٥ : ٤٧  
 ٧/٢/٣ : جمع وتخلص ٤٧ : ٤٩  
 ٨/٢/٣ : مسائل الاتفاق والاختلاف بين الباحثين في الإعجاز القرآني من أصحاب  
 المؤلفات ٤٩ : ٥٨  
 ٣/٣ : نحو النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني

- ١/٣/٣ : نحو النص بين أصحاب الرسائل وأصحاب المؤلفات ٥٨ : ٦٠
- ٢/٣/٣ : المقارنة المهجية بين الباحثين في الإعجاز القرآني والمعينين بـ "نحو النص" ٦٠ : ٦٦
- ٣/٣/٣ : تقوم لسانى للبحث في الإعجاز القرآنى ٦٦ : ٦٦
- ٤/٣/٣ : نحو النص : الخواص الأسلوبية عند الباحثين في الإعجاز القرآنى ٧١ : ١٠٧
- الفصل الثالث: المفاهيم والصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآنى وعلاقتها بـ "نحو النص" ٧٩ : ٨٨
- ١/٤ : مدخل ٧١ : ٧٩
- ٢/٤: المفاهيم والصورات عند الباحثين في الإعجاز القرآنى وعلاقتها بـ "نحو الجملة" ٧٩ : ٨٨
- ٣/٤ : المكون البلاغي في نظرية نحو الجملة من منظور الباحثين في الإعجاز القرآنى ٨٨ : ٩٠
- ٤/٤ : المفاهيم والصورات عند الباحثين في الإعجاز القرآنى وعلاقتها بـ "نحو النص" ٩٠ : ١٠٤
- ٥/٤ : المكون البلاغي في نظرية "نحو النص": من منظور الباحثين في الإعجاز القرآنى ١٠٤ : ١٠٧
- الفصل الرابع: ملاحظات حول بعض معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآنى ١٠٨ : ١٥٩
- ١/٥ : المعيار الأول : التلازم/التأليف ١٠٨ : ١٢٤
- ١/٦/٥ : عناصر المناسبة ١٠٩ : ١٢٢
- ٢/١/٥ : عناصر البديع ١١٥ : ١٢٢
- ٣/١/٥ : المعطيات ١٢٢ : ١٢٤
- ٤/٥ : قضايا البلاغة وعلاقتها بـ "نحو النص" عند الباحثين في الإعجاز القرآنى ١٢٥ : ١٤٠

- ٥/١٥ : وجوه المطابقة بين اللسانيات النصية والبلاغة القديمة ١٢٩ : ١٢٥
- ٦/١٥ : رؤية أولية للباحثين في الإعجاز القرآني لدور البديع ١٣٣ : ١٢٩
- ٥/٧ : دور مباحثت البديع في حبك النص من منظور الباحثين في الإعجاز القرآني ١٤٠ : ١٣٣
- ٥/٢/٥ : المعيار الثاني : الارتباط/الربط عند الباحثين في الإعجاز القرآني ١٤١ : ١٤٠
- ١/٢/٥ : قضايا لغوية عامة ودورها في سبك بنيات النص ١٤٦ : ١٤١
- ٥/٢/٥ : دور البديع في سبك النص من منظور الباحثين في الإعجاز القرآني ١٤٦ : ١٤١
- ٣/٢/ : تقسيم لساني للوالز بين "نحو الجملة" و"نحو النص" من منظور الباحثين في الإعجاز القرآني ١٥٣ : ١٥١
- ٥/٤/٢/ : ما يشترك فيه "نحو الجملة" و"نحو النص" عند الباحثين في الإعجاز القرآني ١٥٤ : ١٥٣
- ٣/٥ : المعيار الثالث : الاقتصاد / التناص ١٥٧ : ١٥٤
- ٤/٥ : المعيار الرابع : الفقصدية ١٥٨ : ١٥٧
- ٥/٥ : المعيار الخامس : المقبولية ١٩٥ : ١٥٨
- الخاتمة ١٦٠
- المراجع ١٦٨ : ١٦١
- العربية ١٦٦ : ١٦١
- الأجنبية ١٧٢ : ١٦٦
- الفهرس ١٧٢ : ١٦٩